الجمهورية الجزائرية الشّعبيّة الدّيمقراطيّة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران
كليّة الآداب واللغات و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

التأثيلية في معجم كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

رســـــالــة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في المعجمية العربية

إعـــــداد الطالب:
قدور بن نابـــــي

إشراف الأستاذ الدّكتور:
عبد الـملك مرتــاض

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذة الدكتورة صفية مطهري	رئيسة	جامعة وهران
الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض	مشرفا و مقررا	جامعة وهران
الدكتور محمد ملياني	عضوا مناقشا	جامعة وهران
الدكتور عبد الحليم بن عيسى	عضوا مناقشا	جامعة وهران

السّنة الجامعيّة: 2010 ـ 2011.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد الله وحده، والصلاة والسلام على من لا بني بعده، وبعد :

فقد عرفت العلوم اللغوية تطورا كبيرا في ظل اللسانيات الحديثة بعد أن تبلورت مناهجها، واتسعت مجالات دراستها، فتعددت حقولها، وكثرت تخصصاتها. وقد أفاد الباحثون العرب من جهود اللسانيتين الغربيين إفادة لا تجحد، غير أنهم لم يكونوا على مقام واحد من الانتفاع بها؛ فمنهم من أقبل عليها بنهمة متجاهلا كل ما اختزنته الحياة العلمية عند العرب الأولين القدماء من غزارة استقراء للغة، ودقة ملاحظة لأسرارها. و منهم من حاول الاعتدال في الأخذ، فاستحضر التراث و ضم إليه ما أتاه من عند الباحثين الغربيين، غير غافل عن خصائص كل لسان. و من هنا كان التأثر مختلفا، وحظوظ الفروع اللغوية متفاوتة في الانتفاع والمقاربة.

ولئن كانت التأثيلية في المعجمية العربية موضوعا لرسالة ماجيستر، فإن الولوع بهذا الموضوع، والرغبة في التماس طريق إلى البحث فيه ظلاّ طموحا وهّاجا، يجيش في النفس ويشغل الفكر منذ إنهائي مرحلة ما قبل التدرج، لما وجدته في الدراسات المعجمية من حيوية وسعة أفق، وتجسيد لما تمتاز به اللغة العربية عما سواها. فالمعجم (lexique) أبرز مظهر للسان، وأكثر مستويات اللغة اشتراكا بين الناس، وأول صورة لاختلاف الألسن. والتأثيلثه أعمق الحقول المعجمية دراسة، وأشدها بالإنسان صلة، وأوسعها مجالا؛ فهي تأخذ من كل العلوم وتنفتح عليها جميعها لما ترمي إليه من تمثل للرصيد اللغوي الأقدم، وتصور كيفية تكوّن كلماته، وتتبع مسار تطورها في تاريخ الأمة الطويل، وتفاعلها مع غيرها الذي يتجلى في ظاهرة الاقتراض اللغوي. فلا شيء يسجل حياة الشعوب وحضارتها كاللسان الذي به تبين، ولا علم يتقفّى أثر هذا اللسان ليعرف أطواره كالتأثيلية. ومما عمق في نفسي الرغبة في دراستها ما وجدته ـ في حدود اطلاعي ـ

في المعجمات العربية القديمة عامة، وفي كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي خاصة من نضج في تصور المنهج التطوري للغة، و أصالة في طرحه، و سبق إلى تجلية كثير من جوانبه. و مما زاد من شغفي بالخوض في هذا الموضوع ما لاحظته من حاجة المكتبة اللغوية، و البحوث الأكاديمية إلى تناول المعجمات القديمة بالدراسة، و جمع ما تناثر، بين ثناياها من قيم تأثيلية، و تأسيسها علميا، عسى أن يكون هذا سببا إلى استشراف المعجم العربي التاريخي أو التأثيلي الذي تفتقر لغة الضاد التي تعتبر اللسان القديم الوحيد الذي ليس له هذا النوع من المعجمات في العالم.

و لست أزعم تحقيق هذه الغايات النبيلة كلها، أو الإتيان بها على الوجه اللائق بها، و ما كان لبحث صغير كالذي أنجزت أن يدعي ذلك، و لم يدّعه جهابذة في حقل المعجمية العربية المعاصرة ك: محمد رشاد الحمزاوي ، و حسين نصار، و البكوش الطيب، و الأستاذ عبد الحق فاضل الذي ظهر من خلال الدراسة أنه في التأثيلية العربية أرسى قدما من هؤلاء جميعا، غير أن الناس لم يقوموا به.

و تنبني إشكالية البحث على قدرته على تأسيس تأثيلية راسخة في المعجماتية العربية، آخذة بما وصلت إليه مباحث المعجميين الغربيين.و لما كان التطرق إلى المعجمات العربية جميعها عسيرا على دراسة في خطواتها الأولى، توجه الاختيار إلى " كتاب العين "لأنه أول المعاجم العربية تأسيسا، و أكثرها سعة في معالجة نظام اللسان العربي، و خبرا لمعالم تطوره، و لاغرو فصاحبه الخليل بن أحمد، رائد العلماء العرب جميعا في المعجمية، و أسبقهم إلى تأسيس الصوتيات، و العروض، و النحو، حتى كاد يكون اللغويون جميعهم عيالا عليه.

لهذه الأسباب كلها كان موضوع هذه الرسالة: "التأثيلية في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي".

وقد قسمتها على مقدمة و مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة. أما المقدمة فأودعتها بيان سبب اختيار الموضوع، و طرحا لإشكاليته الأساسية، وعرضا لفصوله، وأنواع مراجعه، و صعابه، وبعض مقارباته المنهجية.

و جعلت المدخل حول تأسيس مصطلح التأثيلية العربي، ذلك أن استعماله بهذه الصيغة بدا غير محدد علميا، و غير شائع استعمالا، و قد بدأت تتبع هذا المصطلح من عند الإغريق الأقدمين أول واضح له ضمن حقول معرفية شتى، ثم حاولت استقراء مادة " أثل " في التراث العربي، لتجلية ما تحمله أسرتها الاشتقاقية من معالم مؤهلة للوضع الاصطلاحي، ثم تتبعت هذه المادة في المعجمات العربية قديمها، و حديثها، عربيها الخاص، و مزدوج اللغة، و بعد هذا كله استفرغت جهدي في تقصص أول استعمال علمي اصطلاحي للفظ التاثيلية عند الباحثين العرب، عسى أن أكون بذلك كله مؤثلا لكلمة " التاثيلية " في اللسان العربي، و مبينا أنها أهل لتقابل مصطلح "Etymologie" الأجنبي.

أما الفصل الأول فعقدته لطرح التأثيلية من متطور لغوي عام، متبدئا بتعريفها، وبيان مهامها، وأهميتها، ثم تناولتها ضمن المقربتين: التاريخية و البنيوية، باعتبارها أكثر المقاربات كفاءة في البحث التأثيلي القائم في جوهره على: التأريخ (datation) ، و التعليل (motivation) ، و تأتي فائدة المقاربة التاريخية من حيث أنها المنهجية التي تتبع ظهور اللفظ، و كيفية نتوئه، و تطوره، و هي التي أكدت معظم الدراسات أهميتها، أما المقاربة البنيوية فتتولى الجانب التعليلي للظواهر اللغوية، و سبب وضع المفردات، و يُعتبر اعتمادها ضمن المباحث التأثيلية من أحدث ما تبناه المعجميون، و الذين يقدُمهم في هذا الطرح الباحث الفرنسي " بيار غيرو "(P.Guiraud).

و قد رُمتُ من خلال عقد هذا الفصل الربط بين المدخل التأسيسي للتأثيلية، و العرض المفصَّل لقيمها عند الخليل في كتاب العين.

وأما الفصل الثاني فجعلته عرضا للآراء التأثيلية الخليلية من على المستوى النظري ، الملتمسة من مقدمة " كتاب العين "ذات القيمة العلمية النفيسة خاصة في تناولها الصوتي ، واللغوي (المعجمي) ، ومن منهج الفراهيدي في تبويب معجمه . وقد بدأت هذا الفصل بمبحث حاولت أن أرصد فيه ما سبق الخليل من جهود تأثيلية ،تحقيقا لمتطلبات المنهجية ، فمن الضروري معرفة حدود التأثر والتأثير في أول المعجمات

العربية تأليفا . وبعد تقديم كتاب العين ، تناولت ما رأيتُ أنه احتوى عليه من أبعاد تأثيلية نظرية من خلال المستويات : الصوتي ، والإحصائي ، والاشتقاقي .

وأما الفصل الثالث فخلصت فيه إلى الجانب التطبيقي من البحث ، وهو تتبع مداخل معجم " كتاب العين " واستخراج ما تحمله تعريفاته من إشارات تأثيلية، قسمتها على الجوانب اللغوية التي تُعنى بها الدراسات المعجمية تخصيصا ، وهي : كيفية بناء الكلمة واللغة الأم ، والاقتراض اللغوي ،والتطور الدلالي للكلمات ، والجغرافية اللغوية. و حرصت على أن أبدأ كل جانب تطبيقي بخلاصة نظرية تؤسس لمحتويات المداخل الخليلية وتبين حظها من التاثيلية الحديثة .

ومن حيث مراجع البحث، ففي مقدمتها المعجمات اللغتين العربية والفرنسية؛ أما العربية فكان الرجوع غالبا إلى لسان العرب باعتباره جمعا لما حصله " ابن منظور" من المعجمات السابقة له، مما يغني الباحث عن تصفحها جميعها. وأما الفرنسية فكان منها العام والتأثيلي (Etymologique)، إضافة إلى مصادر قديمة كالمزهر للسيوطي، والصاحبي لابن فارس، ومراجع حديثة. غير أن الملاحظ أن هذه المراجع لم تخصص التأثيلية بكتاب خالص لها؛ فكان لزاما عليّ قراءة ما بين دفتيها لاستخراج ما له صلة بالموضوع، وكثيرا ما يكون نزرا يسيرا. ومما تطلّبه البحث الرجوع إلى كتب أجنبية خصّصتُ منها الفرنسية مراعاة للغة، ولم تكن هذه متوفرة بالقدر الذي يسهّل جمع مادة البحث، وما حصلت عليه بذلت في سبيل ذلك، ما أحسبه كبيرا مستعملا كل الوسائل الممكنة من علاقات عامة، وخاصة مهنية وعائلية. ولم تكن الترجمة بالتي تسهل الاقتباس الاستنباط، خاصة أنّي لم أجد من ترجم المراجع التي وقعت بين يدي فاعتمدت على جهدي الخاص.

أما من حيث المنهجية المتبعة، فقد آليت على نفسي الالتزام بالتركيز، وتجنب الاستطراد، والتوجه بالبحث نحو ما يؤسس للتأثيلية، ويحدد معالمها في الدراسات اللسانياتية، ويمحضها للمعجماتية. وما أدعي امتلاك ناصية منهج لغوي لأزعم تطبيقه بحذافيره، وما قد يلاحظ من لمسة وصفية أو تاريخية فهي مقاربة غير تحديد، وتلقائية غير تحقيق؛ فلمّا يستو عودي في البحث الأكاديمي.

وأما الصعاب، فأبرزها يتعلق بالمراجع وقد سبقت الإشارة إليها، إلى جانب خلو ساحة البحث من دراسات خاصة بالتأثيلية العربية أتخذُها قدوة، إلا ما كان من رسالة دكتوراه للباحث الجزائري حلام الجيلالي ـ رحمه الله ـ، غير أنها تناولت التأثيل والتاريخ كليهما في فصل من الأطروحة، و من جانب أنهما نوعان من التعريف المعجماتي، لأن موضوعها كان عن تقنيات التعريف في المعاجم العربية الحديثة. مما جعلني أكاد أتيه في المادة المتناثرة و مطالبه المتعددة، غير أن الباحث يركب الصعب والذلول.

ولا يسعنى في ختام هذه المقدمة سوى تسجيل الشكر والامتنان والعرفان لأستاذي المشرف : الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض على تبنّيه هذا البحث، و صبره عليّ وقتا طويلا صارعتُ فيه عوائق شتى، وتوجيهه الذي أنار طريق البحث و أوصله إلى غايته. كما أوجه الشكر الجزيل لمن أعانني على تحمل أعباء هذه الرسالة خاصة كتابتها إعلاميا، وإنجاز ذلك في الموعد المرجو.

و الله أسأل أن يجعل لهذا البحث ما بعده، و ييسر أسباب الاستمرار في إعطاء هذا التخصص مزيدا من العناية والتحقيق العلمي خدمة للسان العربي المبين، و إسهاما في إحياء الذاكرة اللغوية العربية من زخم الكتب والمعجمات.

مدخـــــــل:

حول تأسيس مصطلح التأثيلية

ـ تمهيـــــد؛

1 ـ ظهور مصطلح التأثيلية و تطوّر دلالته عن الغربيين؛

2 ـ استعمال مادة "أثل" و مشتقاتها في مصادر اللسان العربي؛

3 ـ تجليات المفهوم الاصطلاحي للتأثيلية في المعجمات العربية؛

4 ـ استعمال مصطلح التأثيلية عند اللغويين العرب.

ـ تمهيـــــد:

أضحت التأثيلية (Etymologie) أحد الفروع المهمّة في اللسانيات الحديثة عامّة، و في الدراسات المعجمية خاصة، و ممّا يميّزها استقلالها بمعجمات خاصة تسجّل فيها نتائج مباحثها النظرية و التطبيقية معا.

و لئن كان شأن التأثيلية (Etymologie) عريقا في المعارف الأجنبية، يرجع إلى أقدم العهود الإغريقية، فإنّ تمحيضها للحقل اللغويّ حديث بالنسبة إلى غيره، و شأنها عند العرب أكثر تأخرا؛ ذلك أنّ استعمال المصطلح نفسه لا يكاد يَبين، و البحوث المتعلقة به تكاد تُحصى بأصابع اليد. و ليس مردّ هذا إلى خلوّ الدراسات اللغوية العربية من أيّ توجّه إلى إرصاد نشأة المفردات، و تطوّرها، و إتباع ذلك بتعليل الظواهر و أشكال الصيغ، و التأريخ لمراحل مسار الكلمات ممّا هو من مهام التأثيلية، و إنّما هي بحاجة إلى تأسيس و قراءة استقرائية قد تُفضي إلى ضبط معالم التأثيلية العربية من رصيدها العلمي: تراثه و حداثيّه.

و لمّا كانت العلوم إنّما يُبدّأ أمر مصطلحها، اتجهت منهجية البحث إلى متابعة تأسيس مصطلح (Etymologie) عند الغربيين، ثمّ جمع المعالم التي تمدّ صيغة التأثيلية بما يجعلها أهلا لتكون نظيرا للكلمة الأجنبية ضمن الدراسات اللسانياتية، و ربّما طفحت بأكثر ممّا تزخر به المفردة المستعملة عند الغربيين.

و هذا ما سيُلزم البحث باستقراء مادّة أثل و ما اشتُقّ منها من صيغ في اللسان العربي من أقدم نصوصه المدوّنة إلى العصر الحديث، و التخليل في المعجمات قديمها و حديثها لاستجلاء ملامح البعد الاصطلاحي من مضامين لفظ التأثيل، و إتباع ذلك باقتفاء أثر الباحثين العرب من حيث توظيفهم لكلمة التأثيلية ضمن مفهومها اللغويّ الدقيق. و هي محاولة تأثيلية لمصطلح التأثيلية نفسه عند العرب.

و هذا ما يكوّن المدخل الذي دعت الطبيعة المنهجية لإشكالية البحث إلى الوقوف عليه قبل معالجة قضايا التأثيلية في المباحث اللغوية، ثمّ محاولة استخراج مكتنزات معجم كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ذات البعد التطوّريّ التأريخيّ، الذي إن تجلّى منه شيء فسيكون ثمرة دانية يعتزّ بها البحث و يفخر.

1 ـ ظهور مصطلح التأثيلية وتطور دلالته عند الغربيين:

لم يستخدم مصطلح " التأثيلية " في اللسان العربي إلاّ في أواخر القـــرن العشرين كما سيأتي بيانه ضمن هذا الفصل، بينما يرجع استعماله عند الغربيين إلـــى الإغريقيـــة القديمـــة علـى يد الرواقـيين [1] بزعـــامة " زينون ديلي" (ZENON D'ELEE) في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، بصيغته الأصلية "ETUMOLOGIA" (Etumologia) المأخوذة من "ETUMOS" (Etumos) و هي صفة بمعنى حقيقي أو صحيح، و "Logia" التـي تعني بحث أو دراسة، و هو ما يجعل دلالة المصطلح الأولى: البحث عن الحقيقي.[2]

ثمّ استعمل المصطلح "أفلاطون"(428 ق.م - 347 ق.م) في أعمالـه التي أثّل فيها لكثير من الكلمات، خاصة أسماء الآلهة.[3]

و ظلّت اللفظة تحمل هذا المدلول حتى القرن السابع الميلادي حين ألّف "إيزودور دو سيفيل" (Isodor De Séville) مصنّفه: " إيتيمولوجيا" و أصل كتابته باللاتينية (Etymologiae) وهو مأخوذ من (Etumologia) الإغريقية. و ممّا أضفاه استعمـال " إيزودور" (Isodor De Séville) علـى مدلول المصطلح؛ أن أخذت مفردة (Etumos) الإغريقية وظيفتها الاسمية بعد أن كانت صفة، و صار معناها: العنصر الحقيقي و الأصلي للكلمة. [4]

و بهذا يمكن تسجيل تطور مهم لمدلول التأثيلية (Etymologie) في هذه المرحلة من مسارها التاريخي حيث اتخذت بعدا وصلها بالكلمة مباشرة، و أمكن أن يصير معناها: البحث عن الحقيقي للمفردة. ممّا يعتبر خطوة جديدة تمكن من خلالها "إيزيدور" (Isodor De Séville) من جعل التأثيـل وسيلـة لمعـرفة الحقيقـــة

1-Encyclopædia UNIVERSALIS, Paris, 1996, corpus 9, p.5.

2-Ibid, p.5

3-Encyclopédie Philosophique Universelle : Les notions philosophiques, Dictionnaire, 1.Press Universitaires de France, 1990, Tome1, p.900.

4-Dictionnaire Historique de la langue Française, sous la direction de Alain Rey, Le Robert, Paris .1992, v1, p.745.

المطلقة للأشياء.[1] فقد عقد أول صلة بين الحقيقة التي كانت غاية الفلاسفة السياقيين و مرتكزهم في استعمال مصطلح التأثيلية (Etymologie) والكلمة التي صارت الوسيلة، و مجال البحث عن تلك الحقيقة.

و لعلّ هذا التوجّه كان مبتدأ الالتفات إلى تشكيل ثنائية: كلمات/ أشياء (mots et choses) التي تبلورت فيما بعد عند اللسانياتيين والفلاسفة خاصّة مع مطلع القرن العشرين حين اعتُبرت "معرفة الأشياء، و المعطيات الثقافية الاجتماعية (socio-culturelles) أمرا ضروريا للعمل التأثيلي، و البحث اللغوي النفسي، و الدراسة اللسانياتية الجغرافية على قدر واحد من الأهمية". [2]

و من أولئك من اعتبر التأثيلية حقلا جامعا بين تاريخ الكلمات، و تاريخ الأشياء و الأفكار فلا يتم أحدهما إلا بالآخر.[3]

و على الرغم من بلورة مؤلف (Isodor De Séville) لمدلول التأثيلية (Etymologie)، فإنّ المقاربة التي أفضى إليها تبدو أقرب إلى نمطية فكرية منها إلى تخصص علمي. و هو ما جعل التأثيل حتى عصر النهضة من النّاحية العلمية مقتصرا على مقابلة الكلمة بأخرى أو بمجموعة من الكلمات، لترسّم العلاقة بينهما، غير أنّ هذه العلاقة كانت في الغالب مثالية أكثر منها واقعية. و من الأمثلة عى هذا التوجّه شرح كلمة "Homo" التي كانت تدل عند اقتراضها من اللاتينية على الإنسان بمقابلتها مع "humus " اللاتينية التي تعني أرض أو تراب؛ فربّما كان رجوع الإنسان في تكوينه إلى التراب مسوّغا لعقد هذه المقابلة،

1- Dictionnaire Historique de la langue Française, v1, p.745.

2- Alain Rey, Initiation à la linguistique : la lexicologie, Edition KLINCKSIEK, Paris. 1970, p.171.

3- Voir :

- Ibid, p.171.
- Albert DAUZAT : Précis d'histoire de la langue et du vocabulaire Français.Paris1949 p.118..

و غيرها من القابلات التي ظلّت معيـار التأثيليـة الغربية المنتهجة من قبل باحثين كثيـرين منهم: " بابياس" (Papias) خلال القرن التاسع، و" أوسبارن فلوسيستيـر"(Osbern Gloucester)، و" جان دو بال" (Jean De Bâle) خـلال القـرن الثالث عشر، و كلهم علل طريقته فـي التأثيـل بوضوح الكلمة الثانيـة المقابـل بـها مقارنـة مع الأولى المـراد شرحها. [1] و لعـلّ هذا التصور نـابع عند هؤلاء من تشابه الحروف بين الكلمتين أو خاصية الأشيـاء المعبّر عنها ، و هو ما استعان به القسيسون و الرهبان على شرح كلمات الكتاب المقدس.

و علـى الرّغـم من خلـوّ هذا النّمط من التّأثيـل من أيّ تصوّر تـاريخي تطوّري، فإنّه ساهم في دعم الحركة المتنامية لعمل التأثيليين الذين انتقلوا به من الشرح و التأويل إلى التعليل (motivation des mots) من خلال بدء الربط بين شكل الكلمة و مضمونها الذي مهّد الطريق للاشتقاق، ثمّ إلـى النّظرة التطورية للّغة (diachronie) المتبـلورة فيما بعد على يد " دو سوسير " (De Saussure).

ومـع بداية عصر النهضة الأوربية ، بدأت تتـراجع الأبـعاد الفلسفيـة لمصطلح التأثيلية (Etymologie) ليتبوّأ مقعده من اللسان (Langue)، فيصير أقرب إليـه منه إلى الفكر، و يحمل دلالة جديدة تجعل مفهومه يتسع إلى علاقة الكلمة مع غيرها من العناصر اللغوية، و نتج عن هذا استعمال عبارة: تأثيلية الكلمة: (L'étymologie du mot) التي شاعت عند اللغويين، و اقترنت في كثير من الأحيـان بعبـارة : أصـل الكلمـة (Origine du mot) [2] ممـّا جعـل التأثيلية تهتم بأمرين لم يدرجا معا من قبلُ ضمن انشغالات الممارسين لها، وهما: الكلمة، و التاريخ. أمّا الكلمة فقد عني بها

1-Voir :

- Encyclopædia UNIVERSALIS : Etymologie, corpus 9, p.5.
- Encyclopédie Philosophique Universelle, tome 1, p.900.

2-Encyclopædia UNIVERSALIS : Etymologie, corpus 9, p.5

تأثيليا خلال القرنين السابع عشر، و الثامن عشر من حيث شكلها، و ما يطرأ عليه من تغيّر بالاشتقاق و التركيب [1] ، فاتجهت الدراسة نحو تخصص علمي شامل هو: علم الشكل (Morphologie) ـ المعروف عند اللغويين العرب بالصرف ـ الذي صار في هذه الفترة مرادفا للتأثيلية (Etymologie) في كثير من المباحث اللغوية [2] و أمّا التاريخ، فقد توطدت صلته بالكلمة بعد العهد الكلاسيكي حين برزت الرؤية التاريخية للّغة، و ظهرت دراسات تبتغي رصد التواصل بين اللّغات القديمة و الحديثة و تعاقبها. و بدأ استخدام التأثيلية (Etymologie) بمفهوم يُعْنى بالتتابع الواقعي لكلمتين محددتين، فكثُر الحديث عن تأثيلية الكلمة (L'étymologie d'un mot) خلال الفترة بين 1550 و1650 ميلادية [3] ، و هو ما ينزع بالدراسة إلى اكتساب ملامح التقنية الجامعة بين المفردة، و مسارها التاريخي.

و بهذه الخطوة، توفّر للعمل التأثيلي عنصران أساسيان هما: الكلمة، و التاريخ، غير أنّ البعد الدلالي ظلّ مهملا، فؤبّما ظنّ اللغويون في هذه الخقبة أنّ التغيير لا يكون إلاّ في شكل الكلمة بفعل الإبدال، أو القلب، أو الحذف، أو الزيادة... و هذه رؤية تغلّب فيها المنطق الرياضي على المنطق اللّسانياتي، و ذلك من خلال هيمنة فكرة الثابت و المتغيّر، فكأنّ الدلالة ثابتة و الشكل متغيّر.

و لم تعرف التأثيلية تطورا في مفهومها ، وأبعادها، إلاّ على يد " تورغو " "Turgot" حين سجّل مقاله : التأثيلية " Etymologie " في الموسوعة الكبرى(La grande Encyclopédie) سنة 1756 ميلادية ، و الذي استطاع أن يغيّر كثيرا من مفاهيم و يعرّف بالجانب العلمي الحديث للتأثيلية، مبرزا غايتها و طرائقها، كما مهّد لكثير من مصطلحاتها، كإرجاعه مصطلح " Etymologie " إلى "Etymon" المقترض من الإغريقي"Etumon " و الذي

1- الاقتصار على: الاشتقاق و التركيب يتوافق مع اللغات الأوربية، و للعربية في توليد الكلمات شأن أوسع.

2 - Encyclopédie Philosophique Universelle, tome 1, p.900.

3 - Dictionnaire Historique de la langue Française, p.745.

يعني الشكل الأوّل للكلمة. كما أنه أضفى الطبيعة العلمية على الدرس التأثيلي، فأخرجه من الحسّ الفنّي القائم على شيء من الابتكار النابع من فرضيات قد لا تجد لها تعليلا مقنعا.[1]

و مع ظهور الصوتيات التاريخية خلال القرن التاسع عشر، و التي ترتكز على وضع نظام تطوّري لتغيّر الأصوات عبر العصور داخل اللغة، كانت التأثيلية " Etymologie" أوّل من أفاد من تقنياتها، لتوجّهها السابق إلى ربط الكلمة بالجانب التاريخي.[2]

أمّا في القرن العشرين، فقد قدمّ تطوّر الدرس اللّغوي إلى التأثيلية مجالا أوسع لعملها بعد ظهور ما عرف بالجغرافية اللّغوية.[3]

و مع هذا كلّه، ظلّت الدلالة مبعدة عن الحقل التأثيلي حتّى سنة 1930 ميلادية حين تبلورت المفاهيم السوسيرية على يد " ج. تريي" (J. Trier)، و التي بمقتضاها اعتبر شكل الكلمة و دلالتها وجهين لشيء واحد، و صار التأثيليون ينظرون إلى الكلمة على أنها نقطة التقاء مجموعات دلالية، و أقيسة شكلية، و تجارب واقعية فردية أو جماعية، و ممارسات فكرية . . . جاعلين كلّ هذه العناصر محلّ اهتمامهم ، بإيجاد تعليلات لها جميعها عند تحديد أصل الكلمة.[4]

و بهذا تصير التأثيلية " Etymologie " دالّة على علم يكاد "يأخذ من كلّ العلوم و ينفتح عليها جميعا فتأخذ منه"[5] ، و يستطيع مفهومها الحديث أن يتّسع لكلّ المفاهيم السابقة، ذات المحطّات المختلفة، ليجمعها و يضيف إليها ما زوّده به التطوّر العلميّ سواء أ كان ضمن حقول اللّسانيات المحضة أم خارجا عليها.

---

1 - voir: Dictionnaire Historique de la langue Française, v1, p. 1337.

2 - voir: Encyclopædia UNIVERSALIS : Etymologie, corpus 9, p.5.

3 ـ دي سوسير، فردينان: علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطلبي، بيت الموصل، العراق، ط2، 1988، ص.

4 - voir: Encyclopædia UNIVERSALIS : Etymologie, corpus 9, p.6.

5 ـ الطيب، البكوش. بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم التاريخي، مجلة المعجمية، عن جمعية المعجمية العربية، تونس، 1990/1989، العددان، 5 و6، ص391.

2 ـ استعمال مادة "أثل" و مشتقاتها في مصادر اللسان العربي:

يبدو جليا من خلال متابعة مسار كلمة " Etymologie " في اللسان الأجنبي أن استعمالها يرجع إلى أقدم العصور الإغريقية، بيد أن مدلولها لم يخرج عن الحقل المعرفي، فقد وُضعت مصطلحا علميا منذ نشأتها الأولى، و لم يُعرف لها استخدام لغويّ عامّ في التخاطب اليومي.

أمّا مفردة "التأثيلية" التي أضحت مقابلة لـ " Etymologie " ضمن الحقول اللسانياتية العربية الحديثة، فإنها حديثة عهد بالوضع الاصطلاحي ـ كما سيأتي بيانه ـ. غير أنّ لها استعمالا عتيقا في اللسان العربي، و إن لم ترد على شكل المصدر الصناعيّ (تأثيلية)، فالعربية لم تُعدِم استخداما لبعض ما ينتمي إلى عائلتها الاشتقاقية المستخرجة من المادّة اللغوية "أثل". و هو ما ينبغي تتبّعه فيما دوّنته النصوص القديمة و المعجمات العربية ابتغاء استقراء الكلمات المختلفة أشكالُها و دلالاتُها، و ابتغاء الوقوف على المعالم التأسيسية لمصطلح عربيّ جدير بأن يكتنز مفاهيم المفردة الأجنبية " Etymologie " أو يزيد عليها، إذ يصير شأنه الانتقال من معنى لغويّ عامّ إلى وضع اصطلاحيّ خاصّ، ممّا يهبُه القدرة على دلالة أوسع من مقابله الأعجميّ.

و لعل أوّل مجال يستحسن تبديؤه في استقراء مادة "أثل" و ما يدور حولها من مشتقات؛ القرآن الكريم؛ فهو ـ قبل أيّ اعتبار آخر ـ كلام الله تعالى الذي يمثّل الاستعمال الأرقى، بل المعجز لمفردات اللسان العربي، و هو محفوظ من التحريف و التصحيف، فنصوصه متيقن من صحة نقلها دون أدنى ريب لتواترها نقلا، و حملها عبر الأجيال حفظا، و توثيقها كتابة.

و طبيعي أن يُشفَع القرآن الكريم بالسنّة النبوية، فهي بيانه التفصيلي، و صاحبها ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ أفصح العرب، و أنقاهم لسانا، و هو المميّز من بين الخلق بجوامع الكلم، هذا إضافة إلى اشتغال المسلمين بجمع أحاديثه، و سيرته و تصحيح سندها، و التثبت من سلامة نقلها من أيّة علّة قادحة، ممّا يجعل العين تَقَرّ لاتخاذها مصدرا ثانيا لمفردات اللسان العربي.

و بعد هذين المصدرين المقدّسين، يأتي الشعر الذي هو"ديوان العرب، لأنّهم كانوا يرجعون إليه عند اختلافهم في الأنساب، و الحروب، و لأنّه مستودع علومهم، و حافظ آدابهم، و معدن أخبارهم" [1]

2 -1- القرآن الكريم:

لم يرد فيما بين دفّتي المصحف لفظ من مادة " أثل" سوى كلمة "أثل" بسكون الثاء في قوله تعالى من سورة " سبإ ": (و بدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أُكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل). [2] و الآية جزء من سياق تناول قصة أهل سبإ، و هي تبين ما آل إليه حالهم بعد أن كفروا بنعم الله التي أصبغها عليهم، و التي منها توفر الماء، و طيب الهواء، و خضرة الأرض، و رغد العيش، قال تعالى: (لقد كان لسبإ في مسكنهم آية: جنّتان عن يمين و شمال، كلوا من رزق ربّكم و اشكروا له: بلدة طيّبة و ربّ غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم، و بدلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا، و هل نجازي إلاّ الكفور). [3]

و لم تختلف أقوال المفسرين في شرح "الأثل" بأنّه "شجر يشبه الطرفاء، غير أنّه أعظم منها."[4] و لم يستوقف أكثرَهم هذا اللفظُ لانشغالهم بما تحمله الآيات من مضمون، يبيّن هول البَوَار الذي حلّ بدار قوم أهل حضارة و ترف بعدما بدّلوا نعمة الله كفرا.

ولم يكد أحد من المفسّرين ينتبه إلى بقاء الأثل و السدر من بين أشجار شتى زخرت بها أعظم جنّات الأرض في تلك الحقبة مع ما يمكن أن يشير إليه ـ ولو من بُعْدٍ ـ من ثبات هذا الشجر، و رسوخه في الأرض، و ربّما كان صاحب "تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم" قد استجلى هذا المعنى، و إن لم يصرّح به حين قال:" أثل: شجر ثابت الأصل. و شجر

---

1 - السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة و أنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص. 344.

2- سورة سبإ، الآية: 16.

3- سورة سبإ، الآيات:15-16-17.

4- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت 310هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، لبنان، 1988، المجلد 12، ص.82.

متأثل: ثابت ثبوته."[1] فقد جعل أهمّ شيء في الأثل ثبوت أصله، بل لمّح إلى أنّ كلمة "مُتأثّل" واصفة لكلّ شجرة ضاهت الأثل في أصله الثابت، و هذه الإضافة جديرة بالتنويه، إذ تمثّل سبقا لغويا لم يتفطّن إليه أصحاب المعجمات العربية أنفسهم في كلّ تعريفاتهم.

و للقرطبي وقفة يسيرة عند لفظ "أثل"، حملت سمة القوّة و المتانة لهذا النوع من الشجر، في قوله:" و للأثل أصول غليظة يتخذ منه الأبواب"[2] و لعلّ الأصول تعني في هذا التفسير الجذوع، إذ هي التي تُنشَرُ ليصنع منها ما يحتاج إليه الناس من أثاث، و ليست الجذور و هو ما يسمح بتصوّر لغوي يجعل للكلمة ثلاثة مستويات:

ـ الجذور: و هي الأصول الأولى التي خرجت منها الجذوع أو "الأثلات".[3]

ـ الجذوع: التي تمثّل الأصول التي اشتُقت منها الصيغ المستعملة.

ـ الفروع: التي هي الكلمات المشتقة.

و هكذا يمكن أن تساهم هاتان النظرتان من مفسرَيْن للقرآن الكريم، في إمداد دلالة الأثل بما يهيّئه لمفهوم الرسوخ، و القوة.

و في إضافة أخرى للقرطبي ما يضفي على الأثل قيمة النفاسة في قوله: "هو شجر النضار، النضار: الذهب...، و منه قدح نضار"[1].

2 ـ 2 ـ الحديث النبوي:

لم يرد استعمال لفظ "أثل" أو ما انتمى إلى عائلته الاشتقاقية في الجانب القولي من السنّة النبوية من خلال ما أمكن الوقوف عليه. و إنّما وردت مفردة "الأثل" في السيرة بيانا للجنس الذي اتُّخِذَ منه أوّل منبر صعد عليه الرسول ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ في المدينة المنوّرة. فقد ثبت عن " سهل بن سعد" أنّ أناسا " تماروا في المنبر من أيّ عود هو؟ فسألوه عن ذلك فقال: و الله إنّي لأعرفه مِمَّهُ، و لقد رأيته أوّل يوم وُضِع، و أوّل يوم جلس عليه رسول الله ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ. أرسل رسول الله ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ إلى

---

1 ـ عاطف الزين، سميح: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم (مجمع البيان الحديث) الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط3، 1994،ص.63.

2 ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985، ج14، ص.287.

3 ـ يُقترح لفظ "أثلة" مقابلا لـ (Etymon) الأجنبية كما سيبيّن لاحقا.

فلانة ـ امرأة سمّاها سهل ـ أنْ مُري غلامك النّجار أن يعمل لي أعوادا أجلس عليهنّ إذا كلّمت النّاس."[2] و لمّا أراد " سهل" بيان نوع الخشب قال:" من أثل الغابة" [3]
و هو دالّ على الشجر الذي ذُكر في القرآن الكريم و الذي كانت غابة منه قريبة من المدينة المنوّرة، كانت العرب تصنع منها الأقداح و القصاع الجياد.

أمّا اللفظ ألآخر المشتقّ من مادّة "أثل" فهو "متأثّل"، و قد جاء ذكره في صحيح البخاري في باب: "الوكالة في الوقف و نفقته، و أن يطعم صديقا له و يأكل منه" على النحو الآتي: "حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا سفيان عن عمرو قال: في صدقة عمر رضي الله عنه ليس على الولي جناح أن يأكل و يؤكل صديقا له غير متأثّل مالا، فكان ابن عمر هو يلي صدقة عمر، يهدي لنّاسٍ من أهل مكّة كان ينزل عليهم." [4]
و ليس في كلام عمرو ـ راوي النّص ـ ما يبيّن إن كان القول لعمر بن الخطّاب نفسه، أم لغيره. و مع هذا فالمؤكّد عدم صدورها من النّبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ كما يمكن أن يُتوهّم من رواية الإمام البخاري له.

و في معنى "متأثّل" في السياق المذكور قال ابن حجر العسقلاني: "قوله غير متأثّل بمثناة ثمّ مثلّثة أي غير جامع." [5] و هو أحد المعاني التي حملتها التعريفات المعجماتية للفظ " متأثّل" ـ كما سيأتي بيانه ـ.

---

1 ـ المصدر السابق، ج 14، ص.287.

2 ـ أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق الاسفرائي (ت 316هـ) مسند أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت، مج2، ص.147- 148.

3 ـ الشافعي، محمد بن إدريس، مسند الإمام الشافعي، دار الطاسيلي للنشر و التوزيع، الجزائر، 1989، ص.58.

4 ـ البخاري، عبد الله محمّد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، ط1، 1427هـ/ 2007م، ج1، ص. 519.

5 ـ العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، مراجعة و ضبط و تعليق طه عبد الرؤوف سعد و مصطفى محمّد لبهواري و السيّد محمّد عبد المعطي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة، 1398هـ/ 1987م، ج10، ص. 62.

2 ـ 3 ـ استعمال الشعراء العرب للأبنية المتفرعة من مادة "أثل":

الشعر هو المجال الأوسع الذي يمكن أن تُستَقرأ منه مادة "أثل" بكل ما يدور حولها من مشتقات، إذ هو ديوان العرب، و مختَزَنُ تجارهم، و هو أرقى بيان جادت به قرائح الموهوبين منهم، و أعلى مستويات الفصاحة فيما تداولته ألسنتهم.

و سيُحرَص في هذا المبتغى على محاولة استفراغ الجهد في استنطاق المنظوم من اللسان العربي، لتقصّي ما أمكن من استعمال لإحدى مفردات الأسرة الاشتقاقية المتفرعة من الأصل "أثل". كما سيُوجَّه الاهتمام إلى ترتيب كلّ النصوص الشاهدة حسب التعاقب الزمني لتداولها من قِبَل الشعراء اعتمادا على تاريخ وفاة كلّ منهم، حتى يتجلّى تطوّر التوليد اللغوي للفروع المختلفة شكلا و دلالة.

و لا يمكن زعم استيفاء هذه المحاولة كلّ الاستعمالات الفعلية، و إنّما هي خطوة أولى ـ قد تكون مقصّرة محدودة ـ في طريق إحصاء كلّ ما سبق مصطلح "التأثيلية" من توظيف لغوي عام على ألسنة الشعراء. و فيما يأتي تصنيف لما تيسّر جمعه مبدوءا بأصغر الوحدات، و منتهيا بأكبرها من حيث عدد الحروف.

و حتى لا يتسع مجال استقراء كلّ ما يرجع اشتقاقا إلى مادّة "أثل" فيأخذ من البحث ما ينبغي لغيره بحسب مقتضيات المنهجية المتبعة، فإنّه سيُكتفى بذكر البيت الذي عُثر على أنّه استُعملت فيه اللفظة للمرّة الأولى، و يُشارإلى ما وُقف عليه من بعدها بذكر الشاعر و تاريخ وفاته، خاصّة إن لوحظ عدم تغيّر الدلالة.

1- أثْـــل: بفتح الهمزة و سكون الثاء، و هي الصيغة الأجدر بتصدّر قائمة الكلمات المستقرأة لاحتوائها على الأحرف الأصلية الثلاثة لمادة "أثل" مجرّدة.

و أوّل من استخدم في شعره كلمة "أثل" فيما توصّل إليه البحث: " عمرو بن كلثوم" (ت نحو 584 م) شاعر بني تغلب و سيّدهم و فارسهم في قوله:

قِرَاعُ السّيوف بالسّيوف أحلّنا بأرضٍ براحٍ ذي أراك و ذي أثل[1]

---

1 ـ عمرو بن كلثوم: ديوان عمرو ن كلثوم، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت (لبنان)، ص.45.

و المقصود بـ "الأثل" في البيت " شجر يشبه الطرفاء، إلا أنّه أعظم منه و أكرم و أجود عودا "[1]، و وردت كلمة "أثل" بسكون الثاء أيضا عند طفيل الغنويّ (ت 610م)[2]، و الأخطل (ت 710م)[3]، و عمر بن أبي ربيعة (ت 712م)[4]، و جرير (ت 733م)[5]، و النابغة الشيبانيّ (ت 743م) [6]، و البحتري (ت 879م)[7]، و أبو العلاء المعرّي (ت 1057م) [8]، و محمود سامي البارودي (ت 1904م). [9]

و ممّا يمكن استنتاجه من استخدام الصيغة الثلاثية لمادة "أثل" في الشعر العربي أنها لم تخرج عن مجال التسمية، و لم يُعثَر ـ فيما أمكن الوقوف عليه ـ على فعل " أثّلَ"، و هو ما يشير إلى أن الاهتمام في الوضع اللّغوي الأوّل انصرف إلى تعيين نوع من الشجر، و لم يحمل في دلالته معنى الحدث.

2 ـ أثـــلَة: و هي واحدة الأثل، غير أنّ أوّل استعمال لها في الشعر دلّت فيه على الحسب، ذلك أنّ العرب إذا استخدموها مفعولا لفعل "نَحَتَ" قصدوا بها هذا المعنى، فقد أُثر عنهم قولهم: "فلان ينحت في أثلتنا: إذا قال في حسبه قبيحا ". [10] و البيت الشاهد للأعشى (ت 628م) قال فيه:

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا و لست ضائرها، ما أطّت الإبل[11]

---

1 ـ ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص.10.

2 ـ رواية البيت: المرجع نفسه، ج11، ص. 9.

3 ـ الأخطل التغلبي: شرح ديوان الأخطل التغلبي، تصنيف و شرح إيليا الحاوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1968، ص. 233.

4 ـ عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح و تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس ، بيروت، دت، ص.371.

5 ـ جرير: ديوان جرير، تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، ص.270.

6 ـ النابغة الشيباني: ديوان النابغة الشيباني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1996م، ص. 109.

7 ـ البحتري: ديوان البحتري، تحقيق و شرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1965م، المجلد 3، ص ص. 1820-1832.

8 ـ المعري، أبو العلاء: اللزوميات، تحقيق جماعة من الأخصائيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/ 1986م، ج2، ص. 135.

9 ـ البارودي، محمود سامي: شرح ديوان محمود سامي البارودي، شرح و تقديم حجر عاصم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان/ ط1، 2002م، ص. 262.

10 ـ ابن منظور: لسان العرب، ج 11، ص. 9.

11 ـ الأعشى، ديوان الأعشى، دار القلم، بيروت، لبنان، دت، ص.177.

ثمّ استُخدمت كلمة "أثلة" بمعناها الأصليّ عند كثيّر عزّة (ت 723م)[1]، و الفرزدق (ت 728م) [2]، و طُريح (ت 871م) [3]، و المتنبيّ (ت 962م)[4]، غير أنّ أبا الطيب استعمل "دار أثلة"، و هي ـ كما نصّ شارح ديوانه ـ موضع بظهر الكوفة.[5]

3 ـ أثيـــــل: بضم الهمزة، و فتح الثاء، و سكون اللام، و هي تصغير "أثلة" و أصلها الذي هو "أثيْلة" لم يُعثر عليه بهذه الصيغة، إذ لم يستخدمها الشعراء إلاّ مرخّمة، و أوّل استعمال سجّله البحث يرجع إلى عمر بن أبي ربيعة (ت 712م) في قوله:

فبعض البعــاد يــا أُثَيْــلَ فإنّني تروكُ الهوى عن الهوان بمعزل[6]

و قوله:

أولئـك آبائــي و عزي و معقلــي إليهــم أُثَيْـلَ فاسألي أيّ معقل[7]

ثمّ استعمل اللفظة أبو العلاء المعريّ (ت 1057م) [8]، و عند الشاعرين "أُثَيْل" علم لامرأة. و دلّت "أثبل" على اسم واد بنواحي المدينة المنوّرة في بيت لابن الفارض (ت1235م).[9]

4 ـ آثـــــل: على وزن فاعل: صيغة اسم فاعل، غير أنّه لم يُعهد عند العرب استخدام فعل "أثَلَ" في لسانهم القديم، ممّا يسمح بافتراض اشتقاقهم لاسم الفاعل من الاسم "أثل" ، و هو أمر دأبوا عليه في كثير من توليداتهم اللغوية، خاصة القديم منها. و أوّل ما أمكن العثور عليه من استعمال لكلمة "آثل" في الشعر العربي، قول "رؤبة بن العجاج" (ت762م):

---

1 ـ كثيّر، ديوان كثيّر، شرح و تحقيق: د. رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط 01، 1996، ص.156.

2 ـ الفرزدق، ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت (لبنان)، 1960، ص.227.

3 ـ رواية البيت لان منظور: لسان العرب، مادة "أثل"، ج11، ص.10.

4 ـ المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين، موجز ديوان المتنبي، شرح اليازجي، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، طبعة شباط1984، ص. 65 .

5 ـ المرجع نفسه، ص. 65.

6 ـ عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح و تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت(لبنان)، ص.371.

7 ـ المرجع نفسه، ص371.

8 ـ المعري، أبو العلاء: سقط الزند، تحقيق و شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2007م/1428هـ، ص. 305.

9 ـ ابن الفارض: ديوان ابن الفارض، تحقيق و دراسة د. عبد الخالق محمود، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، مصر، ص311.

ربـــابة رُبَّت، و مُلْكـــا آثلا فقل لأروى إذا رأتني ذاهلا [1]

و هذا الاستعمال دال على حسّ لغوي كبير لدى "رؤبة"، فقد أخذ من ثبات و قدم و علو شجر الأثل ما سوّغ له اشتقاق كلمة "آثل"، ابتغاء وصف الملك الذي ذُكر من قبلُ، وهذا ما يؤكد بقاء "آثل" ضمن الصيغة الاسمية المحضة، و عدم تعلقها بالحدث. و ربما كان "رؤبة" أوّل من ولّد هذا اللفظ، و هو أمر غير مستبعد عن رجل قال "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بعد تشييعه:"دفنّا الشعر، و اللغة، و الفصاحة". [2]

أمّا الاستعمال الثاني، فيُعزى لفيلسوف الصوفية محيي الدين بن عربي (ت 1240م)، و هو في قوله:

و اعكف على علـــم الحقيقة كلٌّ إلى علـــم الحقيقة آثـــل[3]

و في هذا السياق يتخذ لفظ "آثل" الدلالة على الحدث، إذ يمكن من غير تكلّف استبدال فعل "يأثل" به. و هكذا فإنّ القرون المتوالية بعد وفاة " رؤبة"، و الظروف المحيطة بالأمّة أيام "ابن عربي" كانت محفّزا لصاحب "الفتوحات المكيّة" ليضفي دلالة الفعل على ما وظّفه "ابن العجاج" صِفَةً، فيحسن الإفادة من كلّ معاني "الأثل" السابق بيانها، ليستخرج منها ما يدعو إلى توظيفها ضمن معنى الغوص في أعماق الأصول لتجلية حقائق عدّة، و في هذا بداية استشراف للمعنى الاصطلاحي لحقل التأثيلية في العصر الحديث، و تهييء لمفردة أخرى تدخل حقل المصطلحات المدمجة في علم التأثيلية و هي "أثِيل".

5 ـ أثيـــــــل: بفتح الهمزة، و كسر الثّاء و مدّها، و هي صيغة وصفية (صفة مشبهة باسم الفاعل على وزن فعيل)، لم يُعثر عليها ضمن أشعار القدامى ـ فيما توصّل إليه البحث ـ و إنّما جاء استعمالها عند شاعرين من العصر الحديث، أولهما "حافظ إبراهيم" (ت1932م)، و ثانيهما "معروف الرّصافي" (ت1945م)، فأمّا الأول فقال:

فمن نُبْـل إلى مجد أثيـــل إلى علـــم إلى نفع عميـــم [4]

1 ـ رؤبة بن العجاج، مجموع أشعار العرب و هو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، صححه و رتبه "وليم وين الورد william AHLWARDT" البروسي، برلين، 1903/ص 122.

2 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج2/ص304.

3 ـ ابن عربي، محيي الدين، ديوان ابن عربي، مكتبة المثنى، بغداد، ص 245.

4 ـ إبراهيم، حافظ: ديوان حافظ إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ج1/ ص107.

و أما الثاني فقال:

ليس يغني فيها عن المرء شيئا شرف بـــاذخ و مجد أثيـــل [1]

و في كلا البيتين جاءت كلمة "أثيل" وصفا للمجد تدلّ على أصالته،و قدمه، و كثرته. و هذا توليد دلالي طوّر به الشاعران مدلول لفظ أثيل الذي عُرف في المعجمات العربية بأنه اسم لموضع في بلاد "هذيل" بتهامة.[2] فكأنّ كلا الشاعرين تأثّل هذه الصيغة، و استعان بها على تلبية حاجته إلى التعبير عن مفهوم التأصيل المشحون بقيمتي القدم و العظمة في زمن حاولت أيد أثيمة كثيرة تجريد الأمّة العربية و الإسلامية من أي شأن حضاري عريق، و التعتيم على كلّ معلم له.

و قد يكون هذا الاستعمال المتطور من قبل رائدين من رواد النهضة العربية و أدبها في العصر الحديث، هو الذي حفّز اللغويين المعاصرين على وضع مصطلح "أثيل" لتعيين الكلمة ذات الجذر المتأصل في اللسان، يكون في دلالته مقابلا بالنّقض لمصطلح "دخيل". و على هذا فإنّ لفظ "أثيل" في الحقل المعجمي متوَسَّمٌ فيه أن يكون ذا شأن في العربية لما تزخر به من مفردات متجذرة فيها، ترجع إليها نشأة و تطوّرا. و قد بادر بعض المهتمين بالدرس المفرداتي باستعماله ضمن هذا المفهوم، و أثاروا ثنائية (أثيل/دخيل)[3].

و لعلّ هذا يجسّد شكلا من خصوصيات المعجمية العربية، التي ينبغي أن تبرز بوضوح، و لا يمكن أن يكفيها العربَ المعجميون الغربيون في شيء. فالتباين جوهري بين الألسن الأجنبية و اللسان العربي المبين، إذ ترجع تلك في عمومها إلى لغات أخرى قديمة، بينما لم يشقّ هذا إلاّ منه، فالفرنسية ـ مثلا ـ تكونت من رصيد جذوره في اللاتينية، و هذه من الإغريقية القديمة، و أبعد ما يمكن أن تصل إليه من حيث بدء ارتسام معالمها القرن التاسع الميلادي.[4] أما أقدم نص عربي فقد سبقنا بما يزيد عن سبعة عشر قرنا دون أن يختلف عن اللسان المعاصر الفصيح إلاّ من أوجه يسيرة. و لا شيء يُعرف عمّا كان قبله.

---

1 ـ الرصافي، معروف: ديوان معروف الرصافي، شرح و تعليق يحيى شامين، دار الفكر العربي، ط2002،1م، ص504.

2 ـ يراجع: ابن منظور: لسان العرب، ج4/ ص10، و، الزبيدي: تاج العروس، ج7/ ص203.

3 ـ و هو الباحث العراقي عبد الحق فاضل في سلسلة: دخيل أم أثيل التي نُشرت في أعداد من مجلة "اللسان العربي" كما سيبيّن لاحقا.

4 - Pierre Guiraud: L'ancien Français, Collection Que Sais-je? Presse Universitaire de France (PUF) Paris, 1965,N 1056, p. 15.

و لهذا قد لا يجد الباحث رواجا لمصطلح لسانياتي دقيق و واضح الدلالة في الفرنسية ـ مثلا ـ يقابل لفظ "أثيل"، و إن استعمل "ميّي" (A. Meillet) كلمة "Indigène" عند قصده الكلمة التي يرجع أصلها إلى اللغة المستعمِلة نفسها.[1]

و هو لفظ يمكن أن تتنازعه كثير من الحقول الدلالية و العلمية [2] و مثل هذا الارتباك غير معهود في "المصطلحاتية" (Terminologie) الفرنسية، و هو ما يمكن تعليله بضآلة مجال الأثيل في اللغات الأوربية خاصّة اللاتينية منها كالفرنسية، لذا لم يعقّب أحد على "ميّي"(A. Meillet) حين أطلق عليه لفظ "Indigène".

6 ـ أثـــــال: (بضمّ الهمزة)، أقدم ما تمكن الوصول إليه في استعمال الشعراء لصيغة "أُثال"، بيت لـ "عنترة بن شدّاد العبسي" (ت نحو 615م)، قال فيه:

و بني صباح قد تركنا منهم جزرا بذات الرِّمْث فوق أُثال[3]

و "أُثال" ههنا: جبل بديار "عبس" قبيلة الشّاعر، كما هو ثابت في معجم "تاج العروس"

و لئن كان في هذا تخصيص لجبل محدد في بلاد العرب، فإنّ "الزبيدي" أضاف إليه ضمن الشروح عبارة:" كأنّه أثال أي مجده كأنه الجبل و هو مجاز"[4]، ففي هذا ما يسوّغ احتمال توسّع مدلول "أثال" من مسمّى بعينه، إلى جنسه عموما، فشمل المعنى كلّ جبل.

و من بعد "عنترة" ظلّ استعمال "أثال" عند الشعراء اسما علما، لكن لمُسَمَّيات أخرى غير الجبل، منها :

ـ اسم فرس[5] لـ "ضمرة بن ضمرة النهشلي" (عاصر النعمان في الجاهلية).[6]

---

1 – Voir: A. Meillet: Linguistique Historique et Linguistique Générale. Edition: champions, Paris, 1982, p103.

2 ـ تستخدم كلمة "Indigène" في الفرنسية للدلالة على الفقر الشديد، و وصف من بعقله ضعف، و في علم النبات يقصد بها النبتة المتأصلة في المنطقة التي تحيى بها، و في علم الاجتماع و السكان يعنى بها من هاجر إلى فرنسا قبل استقلال بلاده. ينظر:

-Dictionnaire: Encyclopédique, tome1, Noms communs, Larousse, Paris (France) 1994, p545

3 ـ العبسي، عنترة بن شداد: ديوان عنترة، دار صادر، بيروت، لبنان،1385هـ/1966م، ص. 192.

4 ـ الزبيدي: تاج العروس، ج7/ ص. 202.

5 ـ المرجع نفسه، ج7، ص. 202.

6 ـ يراجع: ترجمة الشاعر ضمرة بن ضمرة عند: د.عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء الجاهليين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص. 193.

ـ اسم عيون ماء: عند كلّ من ربيعة بن مفروم الضبّي (ت 637م)[1]، و كثيّر عزّة (ت 723م) [2]، و أبو العلاء المعري (ت 1057م).[3]

ـ اسم علم للذكور عند "الحطيئة" (ت 678م).[4]

و قد يكون العرب استأنسوا بما في دلالة لفظ "أثال" على الجبل، من شموخ و قوة و ثبات، فجعلوه أحد أعلام الذكور تفاؤلا، و أملا في تحقق هذه الصفات فيهم.

7 ـ مـأثـــــول: و هي صيغة اسم مفعول من: أثل، يأثل، ولم يُعثر فيما تهيّأ الوقوف عليه ضمن هذه المتابعة سوى على بيت واحد لـ "كثيّر عزّة"(ت723م) استعمل فيه لفظ "مأثول"، فقال:

فلمّـا أن رأيت العيس صبّت بذي المأثـول، مجمعة التوالي[5]

و الملاحظ أن كلمة "مأثول" وردت مركبّةً مع الاسم "ذي" مما يجعلهما معا يدلاّن على شيء واحد، و هو وادٍ معروف ـ كما نصّ عليه الزبيدي ـ[6]، و هنا أيضا لم تتجلّ ملامح الحدث في صيغة "مأثول"، و إنّما يغلب عليها التمحيض للاسمية.

8 ـ أثّـــــــــلَ: تمثّل هذه الصيغة الصورة الحقيقية للدلالة الفعلية على (الحدث) المولّدة من الأثل، ممّا يؤهلها لتكون الأصل لاشتقاق جديد من بعد أن كان توليد المفردات راجعا إلى الاسم "أثل" كما سبق بيانه.

و أقدم ما أمكن الوصول إليه من شعر احتوى على فعل "أثّل" المضعّف، بيت لـ "طفيل الغنويّ" (ت 610م) قال فيه:

فأثّل و استرخى به الحطب بعد ما أساف[7]، و لولا سعيُنا لم يُـــــؤثّـــل [8]

---

1 ـ يراجع: الزبيدي، محمّد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1306هـ، ج7/ ص. 202.

2 ـ يراجع: المرجع نفسه، ج7/ص. 202.

3 ـ المعري، أبو العلاء: سقط الزند ، ص. 239.

4 ـ الحطيئة: ديوان الحطيئة، دراسة و تبويب د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م/1424هـ، ص154.

5 ـ كثير عزة: شرح ديوان كثير عزة، شرح و تحقيق د. رحاب مكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط11996، ص191.

6 ـ الزبيدي: تاج العروس، ج7، ص. 165.

7 ـ أساف: أي هلك ماله، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج9/ص165.

8 ـ رواية البيت عند الزبيدي: تاج العروس، مادة "أثل"، ج7/ص203، و ابن منظور: لسان العرب، مادة "أسف" ج9/ص165، و مادة "أثل"، ج11/ص9.

و معنى "أثّل" في البيت: كثّر ماله كما تنصّ عليه أكثر المعجمات العربية.

و ورد هذا الفعل في بيت استشهد به "ابن الأعرابي" اللغويّ (ت 845م)، هو قول الشاعر:

تؤثـــــل كعب عليّ القضاء فربِّـــي يغيّـــر أعمـــالها[1]

و ورد بعد هذا، بيت لـ "ابن الرومي" (ت1061م) قال فيه:

العَلاء المبني شَـمَّ العُلا فوق ما أثّل قحطان و هود[2]

و في هذا الاستعمال لم يخرج فعل "أثّل" عن الدلالة على بناء المجد، و تأصيله.

و على الرغم من عدم تداول الشعراء فعل "أثّل" كثيرا، و ربما كان هذا في غير الشعر أيضا، فإنّه يكتسب أهمية بالغة في اعتباره محفّزا لغويا وُجد بالفعل لتتولّد منه كلمة التأثيل التي هي مصدر الفعل، و المادة الأساسية لمصطلح التأثيلية (Etymologie).

9 ـ تَأثّـــــــل: و هو الفعل الخماسي المولّد من الرباعي "أثّل"، الذي يسبقه كثيرا في استعمال الشعراء، فيما يمكن زعم الوصول إليه، إذ وُظّف في بيت لـ"أبي ذؤيب الهذلي" (ت648م) وصف فيه قوما حفروا بئرا، (قليبا)، فقال:

و قد أرسلوا فرّاطهم[3]،فتأثّلوا قليبا سفاها**كالإمـاء القواعـد[4]

و معنى "تأثّلوا" ههنا : "حفروا بئرا"[5]

و كاد يختفي فعل "تأثل" من نظم الشعراء عبر العصور لولا أن استعمله محمود سامي البارودي (تـ 1904م) قوله:

أرض تأثّـل فيها الظّلم و انقذفت صواعق الغدر بين السّهل و الجبل[6]

و في هذا البيت توليد دلالي واضح، حيث اكتسب الفعل معنى أعمّ، فبينما كان المدلول

---

1 ـ رواية البيت عند الزبيدي: تاج العروس، ج7/ص202.

2 ـ ابن الرومي:ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروتلبنان، ط1، 1994، ج1/ص489.

3 ـ الفرّاط: جمع فارط، هو السابق إلى الماء ـ ** السفا: تراب القبر. يرجع إلى ابن منظور، لسان العرب، ج14/ص389.

4 ـ رواية البيت عند: الزبيدي: تاج العروس، ج7/ص202.

5 ـ ابن منظور: لسان العرب ج11/ص 9.

6 ـ البارودي، محمود سامي: شرح ديوان البارودي، شرح و تقديم حجر عاصي، دار الفكر، بيروت،ط1، 2002م، ص233.

عند أبي ذؤيب ماديّا يقوم على إزالة الرّكام لاستخراج ما طُويَ بالتراب، اتّسع عند البارودي ليشمل مفهوما معنويا، و هو الظلم المتأثّل بغرسه في المجتمع و محاولة تثبيته.

و هكذا يهزّ هذا الفعل كسابقه جذع شجرة مادة "أثل" لتسّاقط المعاني التي تفضي إلى مفهوم صيغة التأثيل المبتغاة بهذه المحاولة الاستقرائية للشّعر العربي، غير أنّها عزّت في الاستعمال و أبت أن تُصقَلَ بقرائح الشعراء، و كأنّها آثرت تمحيضها لمدلول لغوي دقيق، و محدد، يؤهلها أكثر من غيرها لوضع اصطلاحي واضح المعالم، و واسع الآفاق.

3 ـ تجلّيات المفهوم الاصطلاحي للتأثيلية في المعجمات العربية:

لا شكّ في أنّ استقراء ما أمكن من استعمال مادة "أثل" و مشتقاتها في اللسان العربي ضمن أهم مصادره، قد رشّح في طريق البحث شيئا من التصوّر اللغوي لآفاق دلالة كلمة "أثل" و ما تولّد منها من أبنية، من خلال ما استُنْتِجَ من القسم السابق من هذا الفصل.

و بهذا يتهيّأ الأمر للتوجّه إلى المجال المعجماتي الخالص، ابتغاء تجلية المعالم التي تفضي إلى تأسيس مفهوم عربي محض للتأثيلية، على غرار ما تحمله كلمة "إتيمولوجيا" (Etymologie) الأعجمية من مدلول. و من المفيد الرجوع إلى المعجمات العربية القديمة لاستجلاء ما يمكن من مختزناتها التي تفتح آفاقا من خلال تعريفاتها المتنوعة لتصوّر مدلول اصطلاحي للتأثيلية (Etymologie).

و ممّا تحقّق بعد استقراء استعمال اللسان العربي لجذر "أثل" و ما يرجع إليه من مفردات، أنّ السّبق في الوضع كان للصّيغة الاسمية "أثل" ـ بسكون الثّاء ـ و هو ما يفسّر ابتداء المعجماتيين لمحتويات المدخل: "أثل" بها. على غير ما دأبوا عليه من تبديء الصيغ الفعلية الدّالة على الحدث.

و قد يكون المدلول الاسمي للأثل هو الذي ألهم أصحاب المعجمات القديمة تصوّر معنى الحدث، و وضع فعل " أثل، يأثل، أثولا" قياسا لا استعمالا كما أسّسه الفيروزآبادي.[1]

---

1 ـ يراجع: الفيروزآبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م، ج3، ص. 446.

و ربّما كان هذا التصوّر القياسي هو الذي أتاح لـ "ابن فارس" الاسترسال في نظريته الدلالية، التي يقوم عليها اجتماع الحروف في الأبنية، حيث قال:" الهمزة، و الثاء، و اللاّم يدلّ على أصل الشيء، و تجمّعه".[1]

و على هذا يمكن اعتبار الفعل الثلاثي المجرد أصلا للفعلين المزيدين: أثّل، و تأثّل، مع أن مسار الاستخدام العربي يفيد أن الخماسي"تأثّل" أوّل أفعال مدخل "أثّل" توظيفا، و ربما وجّهت هذه الظاهرة علماء اللّسان إلى التفكير في احتمال أن يشتق الثلاثي ممّا هو أكثر منه حروفا فيما يشبه هذه الحال ـ على الأقل ـ، حيث سبقت الصيغة الاسمية الصيغة الفعلية الدّالة على الحدث، فالفعل ههنا مشتقّ من الاسم، و الزائد على ثلاثة أحرف أصل بفعل الاستعمال، و ثلاثيُّه أصل للاشتقاق بالقوّة التي يكتنزها اللّسان، و يفضي إليها القياس اللّغوي المحض.

و هو ما يمكن توسمه من طريقة تعريف "الفيروز آبادي" نفسه، فعلى الرغم من أنّه تفرّد بابتداء المدخل "أثّل" بالفعل الثلاثي، فإنّه قال:" أثل ـ يأثل ـ أُثولا، و تأثّل أي تاصّل." و هو ما يشير إلى خلو ذهنه من أي شاهد على تداول الفعل الثلاثي"أثّل"، ممّا اضطرّه إلى عطف "تأثّل" عليه قبل أن يشرحه، و هو الذي أفضى به إلى إشراكه له في معنى واحد، فكانّ هذا الفعل اتُّخِذَ سبيلا من قبل صاحب القاموس المحيط إلى افتراض بناء مجرّد ثلاثي قياسا ترجع إليه مشتقات المادة اللغوية.

أمّا لفظ "التأثيلية" المقابل لـ (Etymologie) الأعجمية، فإنّه من حيث صيغته الصرفية مصدر صناعي للفعل الرباعي الضعّف "أثّل" الذي يعني ـ حسب ما اجتمع من المعجمات العربية ـ : تأصّل، و كثُر، و جُمِعَ، و تجمّع، و قدم، و ثبت، و عظم.[2] غير أنّ التعريفــات المعجماتية ربطت هذه المعاني بالمــال و المجد ابتداء، و لم يتيسر صرفها إلى

---

1 ـ ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1991 ج1، ص. 85.

2 ـ يراجع: ـ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1، ص. 58- 60.

ـ الجوهري، إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990، ج4، ص. 1620.

ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة و النشر و التوزيع، استنبول، تركيا، ط2، 1392 هـ/ 1972م، ج1، ص6.

ما يقرّبها من الحقل اللغوي إلاّ بعد تتبع دقيق، و تصحّف لكلّ ما أُضيف إلى التعريف الأوّل من قبل المعجماتيين، مع محاولة لقراءة غير المكتوب أحيانا، و النظر إلى المفهوم لا المنطوق، و مقتضى القول لا حرفية نصّه.

و مع هذا، فإنّ طريق البحث عمّا يمكن أن يجنح بدلالة التأثيل للمفهوم اللّسانياتي لم تضمّها كلّ المعجمات العربية على الرغم من كونها مؤلفات جليلة، و مصابيح تنير مسار لغة الضاد و تضبط استعماله. و لهذا سيُقتصر ههنا،على ذكر المعجمات التي حملت في تعريفاتها قبسا يُجلّي صورة للمتأمّل أو يجد عندها هدًى.

و أهمّ المعجمات التي أمدّت البحث ببعض ما رنا إليه: لسان العرب، و معجم مقاييس اللّغة، و القاموس المحيط، و تاج العروس شارح القاموس، و معجم متن اللّغة، و المعجم الوسيط بدرجات متفاوتة من حيث مقدار الإفادة، أمّا عرضها فسيخضع لتسلسلها فسيكون بحسب تعاقبها، مع الإشارة إلى ما اشتركت فيه المعجمات في الهامش، حرصا على الاختصار و عدم التكرار، و ما لم يحمل إضافة لافتة لم يُتَوقّف عنده ضمن هذا العرض.

3-1 ـ معجم مقاييس اللّغة:[1]

قرّر "ابن فارس" أوّل ما عقد بناء "أثل" أنّ " اجتماع الهمزة، و الثّاء، و اللام يدلّ على أصل الشيء، و تجمّعه." [2] و هو أوّل تعريف معجماتي يفتح للباحث بابا كان مقفلا بسبب جعل مدلول التأثيل محصورا في جمع المال، و تأصيل المجد. فقد أثرى صاحب المقاييس الحقل الدلالي لمادة "أثل" من ناحيتين:

ـ الأولى: تعميم معناه [3] باستخدام كلمة "الشيء" التي تسمح بتصوّر فضاء آخر يحلّق فيه التأثيل غير المال و المجد.

ـ و الثانية: إرجاع الأشياء المتفرقة إلى أصل واحد، من خلال إضافة عبارة: و "تجمّعه"، فكأنّه أراد القول إنّ الأصل الواحد تمتدّ أطرافه، و تتعدّد فروعه دون أن تنفصل عنه.

و في هذا ما يجعل "ابن فارس" أوّل من يسّر الطريق إلى استجلاء أهمّ الأبعاد اللغوية

1 ـ معجم مقاييس اللغة، أول المعاجم الأربعة من حيث الترتيب الزمني، إذ ألفه "أحمد بن فارس" المتوفي سنة 395هـ خلال القرن الرابع الهجري، العاشر و الحادي عشر ميلادي.

2 ـ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1 / ص. 58.

3ـ فائدة التعميم وردت أيضا عند ابن منظور في قوله:" و كلّ شيء له أصل قديم....فهو مؤثل" لسان العرب، ج11 / ص. 9.

لمفهوم الأثل (أو الأثلة) الذي يعتبر أصلا أصيلا، و جذرا لعدّةٍ من أشكال أُخَر.

3 ـ 2 ـ معجم لسان العرب لابن منظور:

سبقت الإشارة إلى أنّ ابن فارس بادر بتعميم معنى التأثيل، غير أنّ ابن منظور عمّق إفادة العموم أكثر، و جعلها أكثر إطلاقا من خلال قوله: " و كلّ شيء له أصل قديم، أو جمع حتّى يصير له أصل فهو مؤثّل."[1] حيث أنّه أضاف كلمة شيء (و هي نكرة) إلى "كلّ" و هي من الألفاظ الأكثر دلالة على العموم في اللسان العربي، و يعتبر هذا رفعا للقاعدة التي أرساها من قبلُ تعريف ابن فارس.

و لم يتوقّف إثراء ابن منظور لهذه المادّة اللّغوية عند هذا فحسب، و إنّما تفطّن إلى أمر أهمّ يتمثّل في توقّع عدم وضوح الأصل القديم، و ضرورة الجمع و التأصيل للوصول إليه. و هذا معلم آخر يتجلّى من خلال عبارة "...أو جمع حتّى يصير له أصل فهو مؤثّل."

و ممّا يسجّل إسهام ابن منظور في ترسيخ جذور المفهوم الاصطلاحي للتّأثيل قوله: "و التّأثيل: التأصيل، و تأثيل المجد: بناؤه."[2] فتّأصيل إرجاع إلى الأصل، و قد يسير هذا المعنى في اتّجاه الحفر و النّبش السابق ذكره، و أمّا عبارة "بناؤه" فتحمل ما يوحي ببذل الجهد، مع التخطيط، و التدرّج في الإنجاز تساميا إلى تحقيق غاية نبيلة بصرح مشيد. و هذه هي المعاني التي يختزنها لفظ "البناء". و ممّا يطرحه تبلور هذا الفهم أنّ أثلة[3] الكلمة لا تكون معروفة دائما، و كثيرا ما تختفي معالمها، و لا يكاد يُجزم بها إلاّ نادرا ـ خاصّة في اللسان العربي ـ و هذا ما يجعل ارتسام بنائها، و معرفة شكلها و معناها الأقدم غير متاح إلاّ من خلال بحث تأثيلي، و تأسيس لسانياتي و تاريخي يتجشّمه المعجميون بعناء.

و بعد هذه القراءة البسيطة لما أُتيح رصده من معالم دلالية، يمكن استثمارها في تجلية مفهوم لغوي لكلمة التأثيل، من خلال بعض المعجمات العربية، فإنّ التأسيس العلمي يقتضي حصر المعاني الطافحة من التعريفات المتعدّدة، و التي يمكن تمحيضها لتحديد

---

1 ـ ابن منظور: لسان العرب، ج11 / ص. 9.

2 ـ المرجع نفسه، ج11/ ص. 9.

3 ـ المقصود بالأثلة ما يقابل (Etymon) الفرنسية أي أقدم صيغة توصّل إليها للمفردة المستعملة.

التصوّر الاصطلاحي للتأثيلية، و بما يمكن ضبطه من دلالات اكتسبتها لفظة التأثيل بفضل جهود المعجماتيين؛ من إمكانية ارتباط التأثيل بمفهوم لغوي بفعل تعميم دلالته، التي انحصرت من قبلُ في المجد و المال، و احتمال دلالة التأثيل على استقراء اللّغة، و تتبع أصولها من كلماتها المتداولة إلى الجذور التي ينبغي الوصول إليها.

و وفاءً لفضل المعجمات العربية في إمداد حقل التأثيلية بمعالم اصطلاحية، يتعيّن ذكر ما تناثر فيها من كلمات و أهّلتها التعريفات لتتبوّأ مقعداً في الحقل الاصطلاحي للّسانيات الحديثة ضمن تخصّص المعجمية وهي:

ـ أثلـــــة: التي يمكن أن تكون مقابلا دقيقا للمصطلح الأعجمي (Etymon) الذي يعني أقدم صيغة يمكن الوصول إليها تكون الأصل الأوّل للكلمة. فقد نصّت بعض المعجمات على أنّ "الأثلة من كلّ شيء: أصله"[1]، و هذا تعميم إيجابي للدّلالة بعد أن كان قد حُدِّد معناها بأنّها واحدة الأثل[2] الذي هو شجر يشبه الطّرفاء.

و هذا التعريف على قِدَمِهِ، حمل قيمة تساعد على تمحيض الكلمة للمصطلح تتمثّل في مدلولها الإفرادي. و يدعم ترشيحها بدلا من "أثل"[3] الذي أثار بعض الباحثين توظيفه مقابل (Etymon). غير أنّ دلالته على كلّ شجر المنتمي إلى الطّرفاء و المتميّز عنها ببعض الجودة بجعله ينصرف إلى الجمع في إفادته للمعنى، و كان استعماله في هذا الاتّجاه سابقا و شائعا عند العرب، ممّا يوجّه إلى إيثار "الأثلة" للّمسة الإفرادية التي رافقتها عبر العصور، و نصّت عليها المعجمات.

ـ أثيـــــل: و يصلح أن يوضع للدّلالة على الكلمة التي تكون أثلتها ـ أي ترجع أقدم صيغة تولّدت منها ـ إلى اللّسان نفسه الذي ينتمي إليه. و هو ما يضاد في المعنى مصطلح الدّخيل، إذ نصّت بعض المعجمات على أنّ الأثيل هو القديم المتأصّل كقول الزمخشري :"و شرف مؤثّل و أثيل"[4] و إن بدا ربطه بالشّرف أساسا، فإنّه يمكن تمحيضه لمفهوم لغوي.

1 ـ رضا،أحمد: معجم متن اللّغة، منشورات دارمكتبة الحياة،بيروت ، لبنان ،1377ه-1958م ،ج1 ، ص. 10.

2 ـ يراجع: ـ ابن منظور: لسان العرب، ج1 /، ص ص. 9 ـ 10.

ـ الزبيدي: تاج العروس، ج7، ص ص. 200- 203

3 ـ و منهم: عبد الحق فاضل في مقالاته في مجلة اللّسان العربي، و الجيلالي حلام في رسالة دكتوراه موسومة بـ "تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة"، (جامعة وهران).

4 ـ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1965، ص. 12.

و لعلّ تبنّي هذه الكلمة في الاصطلاح يجعل العرب يبادرون إلى وضعه متأثّلين إيّاه غير مضاهين اللّسانياتين الأعجميين، الذين يبدو أنّهم لم يجدوا في لسانهم ما يستحثّهم على وضع مصطلح بهذا المعنى في ألسنتهم كما سبقت الإشارة إليه فيما سبق.

و من المحفزات على اعتماد التأثيلية مصطلحا عربيا مقابلا لـ "Etymologie"، قِدَمُ كلمة التأثيل و قلّة تداولها، و هذان عنصران يجعلانها تُؤثّرُ على غيرها في الوضع الاصطلاحي؛ فهما يرسّخان تخصيص الدّلالة، و يكفلان قبوله مصطلحا، و سرعة تنبيه من قبل المتخصّصين و غيرهم، متى نقص الالتباس بتنازع مفهومه حقول دلالية متعدّدة. و المتأمّل في المصطلحات الأعجمية يجد أنّ من أهمّ أسباب تمكنّها في الاستعمال و تمحّضها للمدلول العلمي المتخصّص، أنّ واضعيها اقترضوها من الرّصيد الإغريقي و اللاّتيني القديم غير المستعمل، و ركّبوا مفرداته الدّالة على الشّيء الموضوع للبحث مع لواحق من الرّصيد نفسه حسب مجال دراسته كلّ علم، و من ذلك وضع مصطلح "Etymologie" الذي هو محلّ اهتمام هذا البحث من "Etumos" الإغريقية، و التي كانت تعني الحقيقة، و "Logos" التي تعني العلم أو الدّراسة. و هذا ما عناه "ألبير دوزا"(Albert DAUZAT) حين بيّن أنّه يتمّ "تجديد اللّغة (Lexique)، إمّا بتوليد كلمات جديدة، و إمّا بتبنّي القديمة"[1]

و مع هذا كلّه ظلّت صيغة التأثيلية غير مذكورة ضمن المعجمات اللغوية القديمة، و مثلها الصيغة المصدرية "تأثيل".

3 - 3 - المعجم الوسيط: و يُعدّ أهمّ و أقدم إنجاز معجماتي في العصر الحديث، و هو كالمعجمات القديمة لم يدرج ضمن مداخله لفظ تأثيل، و اكتفى بذكر فعل "أثّل" دون أن يضيف جديدا، فكان تعريفه له بأنّه يعني "كثُر ماله"، و أنّ أثّل الشيء: أصّله."[2]

1- Albert DAUZAT: Précis d'histoire de langue et du vocabulaire français, Librairie Larousse, Paris, 1949. p.117.

2 - مجمع اللّغة العربية (القاهرة): المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزّيّات، حامد عبد القادر، محمّد علي النّجّار. المكتبة الإسلامية للطباعة و النّشر و التّوزيع، استنبول (تركيا)، ط 2، 1392هـ/1972م، ج1، ص. 6.

و قد لوحظ ضمن مادّة "أثل" في المعجم الوسيط ذكر تعريف له صلة بالعلوم التجريبية الحديثة في مدخل "أثيل" نصّه: "الأثيل (في الكيمياء) مجموعة أحادية التكافؤ، مكوّنة من ذرّتين من الكربون، و خمس ذرّات من الإيدروجين."[1] و ظاهره يوهم أنّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة وضع مصطلحا تأثّله من اللسان العربيّ العتيق، غير أنّ انقطاع الصلة بينه و بين دلالة التأثيل اللغوية دعا إلى تتبّع المصطلح في مصادره ليزول الإشكال و يتضح أنّ ما أثبته المَجْمعيون و رسموه "أثيل" ما هو إلاّ نقل حرفي للمصطلح الإنغليزي "Ethyl"[2]، و الفرنسي "Ethyle" المركّب من "Eth" و "yle"، و الذي صيغته "C_2H_5" حسب ما جاء في موسوعة الكيمياء.[3] و لو أنّ واضعي المعجم الوسيط التزموا بما تعهّدوا به لما التبس الأمر؛ ذلك أنّهم قرّروا أن يُرتّب اللفظُ الدخيلُ حسب حروفه الهجائية، فما كان لهذا المصطلح أن يُدمج في مشتقات "أثل"، و ما كان رسمه ليأتي على شكل "أثيل" التي هي صفة مشبّهة عربية مشتقة، و إنّما كان ينبغي أن يُكتب حسب نطقه في لغته الأصلية فيكون: "إيثيل" بكسر الهمزة و مدّها، و الأكمل أن تسجّل صيغته الأجنبية بين قوسين.

و هذا الأمر يجب تداركه قبل أن يشيع في المعجمات و المراجع الحديثة مثلما وقع في معجم :" لغة العرب: معجم مطوّل للّغة العربية و مصطلحاتها الحديثة."[4]

3 - 4 - المعجم العربي الأساسي: كاد يظلّ أمر التأثيلية و التأثيل كليهما على ما هو عليه في تعريفات المعاجم العربية الحديثة، لولا أن صدر عن المنظّمة العربية للتّربية و الثّقافة و العلوم، "المعجم العربي الأساسي" الذي جاء فيه:" تأثيل:1- مصدر أثّل، 2 - [في اللّغة] دراسة أصل الألفاظ و تاريخ تطوّرها و يسمّى كذلك ايتمولوجيا."[5]

1- المرجع السابق، ج1، ص. 6.

2 - يراجع: يوسف محمّد علي الأشقر، و الدكتور محمّد خير الحوراني: قاموس الكيمياء العامّة: إنجليزي- عربي، دار الشروق للنّشر و التوزيع، عمّان (الأردن)، ط1، 2000، ص.113.

3- Voir : Jacques ANGENAULT: La chimie, dictionnaire Encyclopédique, Edition DUNOD, Paris, 2éme Edition 1995. p.157.

4 - يراجع: جورج متري عبد المسيح: لغة العرب: معجم مطوّل للّغة العربية و مصطلحاتها الحديثة، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى1993م، ج1/ ص.11.

5 - المنظّمة العربية للتّربية و الثقافة و العلوم: المعجم العربي الأساسي، لاروس (Larousse) 1989م،ص70.

و في هذا تخصيص واضح لمدلول التأثيل، و تمحيض له للمفهوم اللّغوي الاصطلاحي.

3 - 5 - المعجمات المزدوجة: و يُقصد بها خاصّة المعجمات: فرنسي/عربي، لأنّها أكثر توفّرا في بلاد المغرب العربيّ لحاجة الناس إليها بسبب شيوع الفرنسية عند شعوبها، كما أنّ لمصطلح "التأثيلية" مفهوما واحدا في اللّغات الأوربية كلّها.

و أهمّ ما لفت الانتباه عند تفحّص ما وضعته هذه المعاجم مقابلا لـ"Etymologie" أنّها جعلت التأثيل مقابلا لـ (capitalisation) التي تعني جعل الشّيء رأسماليا و هو ما ذهب إليه معجم "القاموس: عربي/فرنسي" الذي أعدّه مكتب الدراسات و البحوث بلبنان.[1] و هذا إقصاء للفظ التأثيل من الحقل اللّغوي. كما وقفت بالتأثيل عند مستوى الاشتقاق، و لا يسلم أصحاب هذا التوّجه من تأثّر باللّغات الأعجمية التي تعتبر كلماتها اللاّتينية، أو اليونانية هي الأثول (Les Etymons) التي ينتهي إليها البحث التأثيلي، ممّا جعلهم يتوهّمون أنّ الأصول التي ترجع إليها مفردات العربية اشتقاقا - من قدمها - هي أثلات المفردات المستعملة آنيا، و هو ما حمل "جوزيف بودوان" "Joseph BAUDOUIN" على أن يقول إنّ "دراسة التأثيلية (L'étymologie) العربية يرجع إلى دراسة الاشتقاق في اللّسان العربي."[2]

4 - 6 - معجمات المصطلحات اللغوية: ممّا تجدر الإشارة إليه ضمن هذا المبحث ندرة المعجمات المتخصّصة في علوم اللّسان، و هو ما يجعل حاجة المكتبة العربية إليها ملحّة، و هو أمر ينبغي أن يلتفت إليه المشتغلون بالبحث اللّغوي، ليزيلوا شيئا من الاضطراب الكبير الذي يَسِمُ مصطلحات فروع اللّسانيات كلّها.

و مع هذا، فقد اتّجهت همّة بعض الباحثين إلى وضع معجمات خالصة لما تبنّته الدّراسات اللّغوية الحديثة من مفردات، و لعلّه يكون من أبرزهم محمّد رشاد الحمزاوي

---

1 - مكتب الدراسات و البحوث: بمشاركة فريال علوان (لغة فرنسية) و جورج سيمون (لغة فرنسية)، و محمّد سعيد (لغة عربية)، و ميشال ساسين (مراجعة): القاموس: عربي/فرنسي: قاموس عام لغوي علمي، دار الكتب العلمية - بيروت - (لبنان)، الطبعة الثانية، 1425هـ/2004م، ص.197.

2- Joseph BAUDOUIN: L'ETYMOLOGIE DE LA LANGUE ARABE, Revue " Bulag " Presses universitaire de Franche-Comté, Université de Franche-Comté, N:31, Année 2006. p.136.

الذي وضع معجما، جمع فيه شتاتا ممّا اقترحته نخبة من اللّغويين المحدثين مصطلحات لغوية ضمن مؤلّفاتهم، و دعمها بما انتهت إليه جهودهم التي لا يمكن تجاهلها، غير أنّه لم يهتدِ إلى ما يقابل (Etymologie) في اللّسان العربي، و إنّما اكتفى بتبنّي ما استعمله تمّام حسّان في كتابه (مناهج البحث في اللّغة)، و هو اللّفظ الدّخيل غير المعرّب:"إيتيمولوجيا" مبيّنا أنّ مهمّته تتمثّل في أن " تقول إنّ هذه الكلمة كانت في القرن الفلاني كذا، و أصبحت فيما بعد كذا..."[1] و هو تعريف يهتمّ بمسار الكلمة عبر التّاريخ و يغفل عن أثلتها التي هي أحد أهمّ مطالب التّأثيلية (Etymologie).

هذا، و إنّ الذي كان أكثر توفيقا في اقتراح نظير لمصطلح "Etymologie" الأعجميّ في اللّسان العربي، فهو عبد السلام المسدي، في: "قاموس اللّسانيات، عربي فرنسي و فرنسي عربي"، حيث جعل مفردة "تأثيل" مقابلة لـ "Etymologie"[2]، و إن لم يتبع ذلك تعريفا لمجال بحث هذا التّخصص، لكنّه خطا خطوة كبيرة هدته إلى المصدر العربي الذي يدلّ على عمل التأثيليين، و لولا أنّه اكتفى بالصيغة المصدرية الدالّة على الحدث، لتوصّل إلى لفظ "التأثلية" (المصدر الصناعيّ) التي تتمحّض لتخصّص علميّ.

و الخلاصة بعد تفحّص ما تيسّر من المعجمات العربية الحديثة عامّها، و متخصّصها و مزدوجها، أنّها جميعها لم تُثبت صيغة المصدر الصناعي "تأثيلية" التي تضاهي في مدلولها المصطلح الأعجميّ "Etymologie"، و مع هذا فقد احتوى اثنان منها على ما يقاربها، و هو لفظ "التأثيل" مصدر "أثّل"، و هذان المعجمان هما:

- المعجم العربي الأساسي الذي أصدرته المنظّمة العربية للتربية و الثّقافة و العلوم، سنة 1989.
- و قاموس اللّسانيات عربي فرنسي و فرنسي عربي لـعبد السلام المسدي، و الصّادر سنة 1984.

---

1 ـ الحمزاوي، محمّد رشاد: المصطلحات اللّغوية الحديثة في اللّغة العربية: معجم عربي أعجمي و أعجمي عربي، الدّار التّونسية للنّشر (تونس) و المؤسّسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، 1987، ص.27.

2 ـ المسدي، عبد السّلام: قاموس اللّسانيات عربي فرنسي و فرنسي عربي، الدّار العربية للكتاب، 1984، ص. 223.

4ـ استعمال مصطلح التأثيلية عند اللّغويين العرب:

من المؤكّد أنّ استخدام لفظ "التأثيلية" ضمن مصطلحات علوم اللّسان تأخّر عند العرب، و حتّى لا يوّلي البحث وجهة غير التي تنبغي له، سيُكتفى في هذا القسم منه بتتبّع استعمال الباحثين العرب للفظ التأثيلية مصطلحا لغويا بالمفهوم نفسه الذي تعنيه مفردة "ايتيمولوجي" (Etymologie) الفرنسية، و التي لا تختلف عن "Etymology " الإنغليزية في شيء.

و قد تبيّن بعد محاولة استقراء أعمال اللّغويين العرب المهتمين بالجانب التأثيلي من الدّراسات المعجمية، أنّ أوّل من اجتهد في وضع نظير عربي يحمل مدلول المصطلح الإنغليزي "Etymology "، هو الأستاذ عبد الحق فاضل[1] في مقالاته التي نشرتها مجلّة اللّسان العربي، و التي تدلّ على قدرة هذا الباحث العربي ـ و إن لم تكتب له الشّهرة ـ على ركوب الصّعب في سبيل التوصّل إلى "أثلات" (Etymons) كثير من الكلمات بقوله: "فأمّا التأثيل فعلم لغوي معروف عن الأوربيين، و اسمه بالإنكليزية "Etymology " و قد ترجمه بعض اللّغويين العرب "علم أصول الألفاظ" لكنّي وحدت هذا الاسم طويلا، فاقترحت تسمية علم التأثيل باعتبار أنّ الأثلة في المعجم تعني الأصل، فأنا مسؤول عن تسمية العربية و حسب."[2]

و يرجع استعمال الأستاذ عبد الحق فاضل للتأثيل مصطلحا لغويا إلى سنة 1966، حيث نشرت له مجلّة "اللّسان العربي" مقالا ظهرت مفردة التأثيل في وسمه بـ "لمحات من التأثيل اللّغوي"، و هو ما شهد عليه محمّد محمّد الخطّابي في أحد أعداد المجلّة نفسها.[3]

1- هو باحث عراقي، تولى تدريس علوم اللغة لسنوات كثيرة بجامعة الرباط بالمملكة المغربية، و كان من الكتّاب الدائبين على نشر مقالات علمية في مجلّة اللّسان العربي ، و كان اهتمامه مركزا على البحث في أصول كلمات اللّسان العربي، و تمييز الأثيل من الدّخيل ضمن سلسلة مشهورة ب: "أثيل أم دخيل".

2 ـ فاضل، عبد الحق: "حول المغامرات اللغوية " ، مجلّة اللّسان العربي، المكتب الدّائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، المنظمة العربية و الثقافة و العلوم (جامعة الدول العربية) – الرباط- المملكة المغربية، المجلّد التاسع، ذو القعدة 1391هـ / يناير 1972، ص.332.

3 ـ محمّد محمّد ، الخطّابي: أسرار الضمائر ، أو رأي في جذور الضمائر، مجلّة اللّسان العربي، المجلّد الثال عشر، 1396هـ/1976م، ص.105.

و لم يتألق عبد الحق فاضل بسبق استعمال فحسب، بل يميّز بحسّ لغويّ تجلّى من تعليله لاقتراح لفظ التأثيل؛ فقد أشار إلى استخدام بعض اللّغويين العرب عبارة: "علم أصول الألفاظ"، لكنّه رغب عنها لما فيها من طول، و في هذا تفطّن إلى إحدى أهمّ دعائم التأسيس العلمي للمفردات، و هو بذل الجهد في أن يكون المصطلح كلمة واحدة.

كما أظهر عبد الحق فاضل رغبة في استيفاء كلّ مدلول المصطلح الأوروبي (Etymologie) من خلال إضافة "تأثيل" إلى "علم" في أول تسمية له، و كأنّه أراد أن ينبّه إلى انزياح كلمة التأثيل عن معناها اللّغوي العام، و اختصاصها بمفهوم علمي، و لو أنّه استوقفته مكتنزات صيغة المصدر الصّناعي لاستوفى معالم المصطلح، و لأوجز و أجمل، و لكان اهتدى إلى لفظ " التأثيلية ". و ممّا يزيد من إدراك جوانب التفوّق الاصطلاحي لدى " عبد الحق فاضل " أنّه بادر إلى استعمال مفردتين جديرتين بأن توضعا ضمن تسميات علم التأثيلية و هما:

- أثيـــــل: التي تكرّر ظهورها في عنوان سلسلة علمية رافقت مجلّة اللّسان العربي أعواما، و كانت صيغتها دخيل أم أثيل. و قد قصد بها الباحث، اللّفظ الذي يعود جذره إلى اللّسان العربي الأقدم و ليس مقترَضا من غيره.

- أثـــــل: التي تكرّر استخدامها ضمن السلسلة نفسها، و التي قصد الباحث وضعها ترجمة للفظ "Etymon"، و عنى بها – كما هو مدلول المفردة الأعجمية – الصورة الأوليّة للكلمة في اللّسان، و في هذا من السّبق، و التميّز في إدراك آفاق الحقول الدّلالية للمفردة ما لا يجده أحد، و لو أنّ "عبد الحق فاضل" استبدل بالأثل الأثلة لكان أدقّ و أكثر تخصيصا، إذ تحمل هذه من الدّلالة على الإفراد ما لا يتبادر إلى الذهن من لفظ الأثل الغالب استعماله جمعا، و هو ما نصّ عليه "الجوهري" بقوله: " فالأثل: شجر، و هو نوع من الطرفاء، الواحدة [منه] أثلة [...] و منه قيل للأصل أثلة"[1].

و من أهمّ المحاولات التي كانت ترنو إلى وضع مصطلح عربي ترجمة لـ"Etymologie"، ما صنعه الباحثان التونسيان الطيّب البكوش و رشاد الحمزاوي؛ أمّا

---

1 - الجوهري،إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية،تحقيق أحمدعبدالغفور،دارالعلم للملايين،بيروت ،لبنان،ط1404،3ه، ج4، ص.1620.

الأوّل فلم يُضف جديدا إلى ما انتهى إليه "عبد الحق فاضل"، فهو لم يزد على أن اقترح "التأثيل" نظيرا في اللسان العربي "Etymologie". و قد أبان عن روح علمية جديرة بالتقدير، في قوله: "و لما كان المعنى اليوناني الأصلي للكلمة الفرنسية هو حقيقي (Etumus)، فإن المنهج اللساني يتمثل في الأصل في معرفة المعنى الحقيقي للكلمة أي المعنى الأصلي. و هو ما تدل عليه في العربية صيغة "التأثيل" أي الرجوع إلى الأصل الأصيل."[1] و من المستغرب أن لم تستوقف هذا الباحث اللاحقة "logie" التي رُكبت مع "Etymon" في الفرنسية، فإن مدلولها يظل مفقودا عند الاقتصار على التأثيل.

و أمّا الثاني (الحمزاوي)، فقد آثر استعمال مبنى لغوي آخر حين قال: "و الأصولية علم حديث [...] مرتكزا على فرضيات لا تؤديها نصوص و لا حفريات، و يعتبر المعجم التاريخي مجال هذه الأصول."[2]

أراد أن يلتمس ما هو أبعد من الاشتقاق، فترك ما يتعلق به من مفردات كالتأصيل ـ مثلا ـ و اختار لفظ "الأصول" الذي يبدو أنه أراد ان يقابل به "Etymons" و وصل به الياء و الهاء (أو التاء) ليسد ما تقتضيه صيغة "logie".

غير أن شيوع كلمة الأصولية في لغة الصحفيين، و السياسيين، و المثقفين، بل و عامة الناس في كثير من الأحيان، و استحالتها إلى تهمة خطيرة في السنوات القريبة، تسم من وُصف بها بالرجعية و إقصاء الآخر. كل هذا يجعلها غير مؤهلة لتتبوأ مقعدا من التسميات الاصطلاحية للعلوم اللغوية.

و كان الحمزاوي قد بدا أكثر توفيقا حين قال مترددا: " الأصولية (أو الأثلية)، و لها شأن في اللسانيات"[3]، فكلمة "أثلية" التي اقترحها مرادفة للأصولية ـ حسب استعماله ـ، و التي جعلها بين قوسين، ذلك أنّها تمحض مدلول "Etymon"، و تحدد التخصص العلمي، فكما أن Etymologie = Etymon + logie، فإن أثلية = أثل + ية. و مع هذا فإنّ هذه الصيغة لا تسلم من هنات؛ فالأثل اسم جمع ـ كما سبق ـ و استخدام "الأثلة" أدقّ

---

1 ـ البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم التاريخي، ص ص. 390 – 391.

2 ـ الحمزاوي، محمد رشاد: المعجم العربي: إشكالات و مقاربات،بيت الحكمة،قرطاج ،تونس ،1991، ص. 208.

3 ـ المرجع نفسه، ص. 207.

في الدلالة على ما تعنيه كلمة "Etymon "، و بهذا تصير عبارة: "أثلاتية" أقرب إلى الحس اللغوي في وضع المصطلح من "أثلية"، و إن كانت ل تشير إلى إنجاز علمي كالذي تدلّ عليه صيغة المصدر في اللسان العربي، و التي تظل الأجدر بالتوظيف مما سواها، و المتمثلة ههنا في بنا التأثيلية.

و بعد هذه المحاولة التأثيلية لاستعمال الترجمة الدقيقة إلى العربية لمصطلح "Etymologie "، يتوجب التنبيه إلى ان البحث ركز في تتبعه لذلك على اللغويين الذين اهتموا بالمباحث المعجمية عامة، و التأثيلية خاصة، و عنوا بوضع المصطلح، و بذلوا وسعهم، فمنهم من اخطأ، و منهم من قارب، و منهم من سدّد، و كلهم مجتهد غير مليم.

أما ورود كلمة "تأثيل" ـ مثلا ـ في سياق حديث معجم، أو ذكر لبعض التخصصات اللغوية دون جعلها موضع بحث و دراسة، فإنّ البحث لا يقطع بعدم وجود باحثين حملت مؤلفاتهم بعضه، و إنّه لمن العسير أن تستقرأ مفردة "تأثيل" أو "تأثيلية" من كل ما نشر، فما مرّ عابرا لا يمكن أن يكون بحث كهذا له من المتوسمين، خاصّة أن كثيرا مما عثر عليه منه لم يكن في الغالب جازما باستعمال لفظ "التأثيل" أو ما يقاربه، بل كثيرا ما أشار إلى تردّد في تبنّيه، كالذي يُفهَم من حسن ظاظا و هو يقول عند تصنيفه لأنواع المعاجمات: "المعاجم الاشتقاقية أو التأصيلية (و يسمّيها بعضهم التأثيلية) و هي التي تبحث في أصول ألفاظ اللغة."[1] فمن الظاهر أنّه يرجّح الاشتقاقية، أو التأصيلية، أمّا التأثيلية فمحلّ نظر بالنسبة إليه مادامت تكتنفها حاضنتان، و تُذكر منسوبة إلى "بعضهم".

1 ـ ظاظا، حسن: كلام العرب: من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1976، ص. 125.

الفصـــل الأوّل:

التّأثيلية بين اللسانيات و المعجماتية

ـ تمهيـــد؛

1 ـ التأثيلية لسانياتيا؛

2 ـ التأثيلية معجماتيا.

كان ما سبق من البحث عملا تأثيليا لمصطلح التأثيليّة (Etymologie) نفسه عند الغربيّين و العرب، و قد كلّف من الجهد ما لا يتحمّله سوى صاحب أمل في أن تلوح له في الأفق بصائص نور تهديه إلى تصوّر تأسيسيّ لعلم لمّا تكتملْ معالمه لمن رسخوا في علوم اللّسان، فكيف بمبتدئ في التماس طريق البحث؟ و هذا الذي قد يجعل هذه الدّراسة مُليمَة منهجيّا ـ على الأقلّ ـ عند أهل البصائر، غير أنّ شافعها أنّها لم تألُ جهدا، و لم تدّخر وسعا كان عليها أن تستفرغه طلبا للحقيقة، و تجلية لكلّ ما يسهم في توضيح مفهوم التّأثيليّة (Etymologie) للمشتغلين بالحقول المعجميّة من الباحثين العرب خاصّة.

و من القصور أن يتصوّر صاحب هذا البحث أنّ ما أُنجز من تتبّع للفظ التّأثيل تاريخيّا، و استعمالا لغويّا، و تعريفا معجماتيّا ـ قديما و حديثا ـ، و توظيفا اصطلاحيّا لدى الدّارسين العرب؛ يقدّم شيئا ذا بال في معالجة ما يتعلّق بإشكالية مفهوم التّأثيليّة، بل إنّه عند ذوي الهمم لا يتجاوز عتبة بابها، و بداية طريقها، و إن لم يُعْدِم تحصيل شيء من نفعها في توضيح الرّؤية قبل الممارسة الحقيقيّة، و التي تتّجه إلى المباحث التّأثيليّة ذاتها، و مجالاتها، و مقارباتها ضمن انشغالات اللّسانيات الحديثة عامّة، و المباحث المعجميّة خاصّة. و هو ما يبتغي البحث تناول بعض جوانبه غير مدّع توفيته حقّه، رانيا ـ على الأقلّ ـ إلى إثارة أسئلة عن إشكاليات قد تكون آفاقا للمقتدرين من أهل العلم.

و على هذا فستطرح التّأثيليّة (Etymologie) من خلال محورين أساسين: اللسانيات و المعجماتية. أمّا المحور الأوّل فيتناول التأثيلية من حيث أنّها علم يهتمّ بالتطوّر التاريخي للمفردات و يحلّل صيغها المتعاقبة محاولا الوصف و التعليل، و من هنا صُنّف هذا المبحث إلى مقاربتين: تاريخية و بنيوية.[1] و أمّا المحور الثاني فهو تمحيض للدراسات اللغوية إلى صناعة المعجم التأثيلي العربي، و عرض ما أمكن من الإشكالات و الوسائل و المصادر و التقنيات المتعلّقة به. فعسى أن تفضي معالجة هذين المحاورين إلى استخلاص قيم تأثيليّة تُمَحَّض للعربيّة، و تشكّل ثمرة طيّبة يجنيها البحث تكون فألا محفّزا للاستمرار في مقاربة القضايا المعجميّة العربيّة مستقبلا.

---

1 ـ لا يُقصد باقتراح المقاربتين تحقيق ما تمحّضت إليه كلّ منهما في إطارها التخصّصي: التاريخ، و البنيوية، و إنّما قُصد بالمقاربة معناها اللغويّ العامّ، أيّ محاولة الاقتراب تطوّرا و تحليلا للصيغ (البُنى اللغوية).

1 ـ التأثيلية لسانياتيا:

1 ـ 1 ـ حول المفهوم اللغوي للتّأثيليّة:

تجعل التّعريفات الأولى للتّأثيليّة قائمة على أحد أمرين: إمّا "بيان الأصل المفترض أن يكون أثلة (Etymon) الكلمة، و إمّا [تحديد] العناصر التي أدّت إلى تكوين المفردة."[1] و هو أمر يجعلها من الحقول المعجميّة (Lexicologie)، و لو امتدّ بحثها إلى معرفة الفصائل اللّغويّة المختلفة و المشتركة التي انحدرت منها لغة من اللّغات، فإنّ هذا لا يسوّغ اعتبارها من اهتمامات اللّسانيّات المقارنة كما ظُنّ الباحث التّونسيّ رشاد الحمزاويّ[2]، و إنّما يُوسّع مجالها بما ينبغي أن يكون من تخصّصاتها.

و ممّا يجدر بالبحث، عند تحيد معالم التّأثيليّة ضمن المباحث اللّسانياتيّة، أن لا يغفل عن ركيزة ثالثة تضاف إلى الاثنتين اللّتين ذُكرتا، و هي التّأريخ الذي ينبني على إثبات "الوقت الذي ظهرت فيه الكلمة في النّصوص المكتوبة."[3]

و بهذا يتّضح ما يواجه التأثليين من صعاب؛ فليس من السّائغ إيجاد الأصل الأوّل الذي تكوّنت منه الكلمة، لأنّه لا يكون دائما ضمن الواقع اللّغويّ الموجود بالفعل، و إنّما على الباحث ـ إن لم يجده مثبتا و مؤرّخا ـ، أن يبيّنه من خلال خبرته بالتّطوّر الصوتي و الشّكليّ و الدّلاليّ للكلمات.[4] ممّا يجعل التّأثيليّة مقاربة تعاقبيّة(Diachronique) تهتمّ بـ"أصل الكلمة ذات الشّكل و المعنى اللّذين يمكن أن يكونا مرتبطين بكلمة أكثر قدما، و هي أثلتها [Etymon] التي تنتمي إلى اللّسان و قد لا تكون"[5] منتمية إليه أصالة.

و مثل هذا التّوجّه يجعل الدّلالة مرافقة للشّكل في العمل التّأثيليّ، بل قد تكون من

---

1 – Aïno Niklas-Salminen: LA LEXICOLOGIE, Ed. Armand Colin/Masson, Paris, 1997; p.99

2 ـ يراجع: الحمزاوي، محمّد رشاد: المعجم العربيّ، إشكالات و مقارنات، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991، ص. 207.

3 - Aïno Niklas-Salminen: LA LEXICOLOGIE, p. 99.

4 ـ يراجع: ـ الحمزاوي، محمّد رشاد: المعجم العربيّ، إشكالات و مقارنات، ص. 207.

et : - Alise Lehmann-Françoise-Barthet: INTRODUCTION A LA LEXICOLOGIE SEMANTIQUE ET MORPHOLOGIQUE, Ed, NATHAN/HER, 2000,Paris, 1998, p. 101.

4 – Marie Françoise Mortueux: LA LEXICOLOGIE ENTRE LANGUE ET DISCOURS, Collection CAMPUS, Ed. SEDES, Paris, 1997, p. 25.

انشغالاته الأساسيّة، فربّما كان هدف التّأثيليّة عند كثير من الباحثين الوصول إلى المعنى الحقيقي للكلمة الذي هو معناها الأصليّ قبل أن تتقلّب في حقول دلالية عدّة، و قد تكون "هذه الفكرة نفسها مستقرّة في أذهان أولئك الذين اصطنعوا مصطلح التّأثيليّة (Etymologie) [الأجنبيّ] من الإغريقيّ "étumon" الذي يعني حقيقيّ"[1]، و هذا ما اعتبره "الطيّب البكوش" متطابقا مع دلالة صيغة التّأثيل في العربيّة، أي الرّجوع إلى الأصل الأصيل.[2]

و هكذا صارت التّأثيليّة دالّة على "دراسة نشأة الكلمات و تطوّرها، من أجل الوقف على البنية الأصليّة لها، و الصّيغ التي تفرّعت عنها صوتيا أو صرفيا أو دلاليا، و على الانتماء اللّسانيّ أو الحضاريّ للمفردة."[3]

- مهامّ التّأثيليّة:

بدت مهامّ التّأثيليّة شاقّة لما يتطلّبه كلّ من إعادة بناء الأصول غير المعروفة، و وضع تاريخيّ محددّ لظهور الكلمات في اللّسان من جهد. فالأولى تحتاج إلى إلمام بقوانين التّطوّر الصّوتي، و الشّكليّ، و الدّلاليّ للمفردات، و ما رافق مسار الكلمات من معطيات تاريخيّة، و الثّانية تستلزم قراءة شاملة للنّصوص العلميّة و الأدبيّة و الدّينيّة لمعرفة الوقت الذي تشكّلت فيه الكلمة و دخلت هذا الحقل الدّلاليّ من اللّسان أو ذاك، و مع هذا فإنّ تحمّل هذا العناء لا يضمن للباحث الدّقّة في تأريخه لأنّ "ظهور كلمة من الكلمات في نظام لسان من الألسن يسبق في أغلب الأحيان الاستعمالات المسجّلة [...] لذلك فإنّ التّواريخ التي نجدها [...] نسبيّة تقريبيّة تسجّل أوّل استعمال مكتوب بينما المقول أسبق من المكتوب."[4] و ربّما كان هذا السّبق بمدّة طويلة خاصّة إذا تعلّق الأمر بلسان ممتدّة جذوره في غابر الزّمان كاللّسان العربيّ.

---

1 – Jespersen Otto: NATURE, EVOLUTION et ORIGINE DU LANGAGE; Traduit de l'anglais par. L. Dahan et A. Hamm, Ed. PAYOT, Paris, p. 304.

2 ـ يراجع: البكوش، الطيّب: بعض الإشكالات المنهجيّة الخاصّة بالمعجم التّاريخيّ العربيّ، مجلّة المعجميّة، العددان 5 و 6، ص ص. 390-391.

3 ـ حلام، الجيلالي: تقنيات التعريف في المعاجم العربيّة و المعاصرة، رسالة دكتوراة، جامعة وهران، الجزائر، 1997، ص. 326.

1 ـ البكوش، الطيّب: بعض الإشكالات المنهجيّة الخاصّة بالمعجم التّاريخيّ العربيّ، مجلّة المعجميّة، العددان 5 و 6، ص. 390.

و من قلّة الوسائل المعينة على التيقّن من الحقيقة، فإنّ التّأثيلية ـ على الرّغم من بحثها عن حقيقة الكلام، و بالتّالي حقيقة الفكر الإنسانيّ ـ تتوغّل في المجهول حتّى بدت كأنّها بحث شبه ميتافيزيقي، و هو ما أدّى بالتّأثيليّ الفرنسيّ الأوّل ـ في تقدير البحث ـ "بيار غيرو" (Pierre Guiraud) إلى اعتبار التأثيليّة: علم الاحتمالات.[1] و إنّه لشيء عجاب أن يجتمع العلم و الاحتمال في عبارة واحدة لدى هذا الباحث المقتدر، فقد جعل عمل التّأثيليّ مأخوذا بالجنوح إلى الخيال و الحلم أحيانا، و في الوقت نفسه ملجوما بالوقوف عند التّحقيق العلميّ. و هو ما حمل محمّد رشاد الحمزاويّ على أن يقول عن التّأثيليّة إنّها "علم حديث، صعب المراس؛ إنجازاته جليلة، لكنّ مهاراته نابعة من الخلافات القائمة حول نسب و حسب الألفاظ المدروسة، لاسيما إذا كان ذلك مرتكزا على فرضيات لا تؤيّدها نصوص و لا حفريات."[2]

و قد تكون التّأثيليّة الفرع اللّسانيّاتي الوحيد الذي يسمح باجتماع العلم و الفنّ، فهو علم من حيث أنّه يخضع لمقاييس دراسيّة، غير أنّه حين يبتعد عنها أحيانا و يبيح شيئا من الحدس، و تَمَثُّل الحقيقة بما قد يشبه الفراسة و التّوقّع و التّصوّر، هنالك، يمكن وصفه بأنّه فنّ. و قد تمثّلت هذه الازدواجيّة في أعمال أكثر التّأثيليّين رسوخا، و إيجازا و تحقيقا.[3]

ـ أهميّة التّأثيليّة:

بناء على ما سبق، لا يجوز تبرير قلّة الواقفين على باب التّأثيليّة، من الباحثين بضآلة نفعها. بل كلّما تعمّق الباحث في حقيقتها أدرك أهمّيتها، و جزيل عطائها، من خلال تعدّد مجالاتها، إذ "التّأثيليّة، بمدلولها الحديث، حياة الكلمة، [Biographie] و ما ميلادها الذي اهتمّت به التّأثيليّة القديمة قصرا، سوى نقطة انطلاق."[4] فقد اغتدى اللّسان المعاصر حصيلة لمسار تطوّر صوتيّ، و شكليّ، و تركيبيّ، و دلاليّ، يوشك أن يمحو ملامح صورته الأولى، ممّا يجعل التّأثيليّة "علم أثريّات لغويّة يستهوي العقل متحدّيا له أن يصل

---

1 – Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, Ed. PAYOT, Paris, 1986, p.08.

2 ـ الحمزاوي: المعجم العربيّ: إشكالات و مقاربات، ص. 208.

3 ـ من هؤلاء، مثلا، ـ الأستاذ "عبد الحقّ فاضل" في مقالاته المنشورة في مجلّة اللّسان العربيّ ، و "بيار غيرو"(Pierre Guiraud).

4- Alain Rey: Initiation à la linguistique: la lexicologie, Editions KLINCKSIECK, Paris, 1970, p. 154.

إلى أصول معاني الكلمات"[1] فيقف على عناصر لغة قديمة تكون بالنّسبة إلى اللّسان المتداول اليوم "حفريّات (fossiles) صرفميّة* (morphonologiques)، أو تشاكليّة (morphosyntaxiques)، شاهدة على وضع سابق للّغة."[2]

و قد ضرب"ألان راي" (Alain Rey) مثلا غير بعيد عن هذا الذي سبق، حيث الكلمة "كالوجه الذي محا الزّمن بعض ملامحه، و تدعو نسبة الشّبه فيه عن عائلة صاحبه، و التّعرّف إلى أبوابه، و هذا البحث يستدعي بحثا أخرى غيره؛ إذ الكلمات كالعائلات يجب الوقوف على قصّة حياتها قبل التّوصّل إلى أصلها."[3]

و هكذا يجد المعجميّون أنفسهم ـ ضمن العمل التّأثيليّ ـ مضطرّين إلى اتّخاذ منحى تاريخيّ في دراستهم، يدعم البحث عن الأصل الأوّل (الأثلة: Etymon) للكلمة، و يصدّق مآلاته.

---

1 – BAUDOUIN Joseph: Etymologie de la langue Arabe, Revue Bulag, N: 31, p. 133.

* اعتمد في استخدام هذين المصطلحين العربيين على "قاموس اللسانيات: فرنسي – عربي" لعبد السلام المسدي.

2- Marie Françoise Mortueux: LA LEXICOLOGIE ENTRE LANGUE ET DISCOURS, p. 24.

3- Alain Rey: Initiation à la linguistique: la lexicologie, p. 154.

1 ـ 2 ـ المقاربة التاريخية للتأثيلية:

إذا كان التّوصّل إلى أصل الكلمة و ميلادها نقطة انطلاق فحسب في الدّرس التّأثيليّ ـ كما سبق ـ، و إذا كان هذا ما أهمّ الباحثين قديما؛ فإنّ التّأثيليّة تعني "بالمعنى الحديث رسم حياة الكلمة (Biographie du mot)."[1] و قد تبلور هذا المفهوم بصفة بارزة بعدما أثار "دي سوسير" (De Saussure) فكرة التّمييز بين علمين للغة: آني وصفيّ (Synchronique)، و تعاقبي تطوّري (Diachronique).[2] و هو ما وسّع الآفاق اللّسانياتية في كلّ الاتّجاهات مع مطلع القرن العشرين، و حمل المعجميّ على أن لا يكتفي بمعرفة أصل الكلمة، و إنّما صار يحرص على "معرفة المسار الذي اتّخذته المفردة، و التّغيّرات المتعدّدة التي تعرّضت لها أيضا."[3] و من آثار هذا التّحوّل أن اعتبر "أنطوان ميّي" (Antoine Meillet) السّؤال الذي ما اعتاد العامّة توجيهه إلى اللّغويّ، و هو: "ما أصل الكلمة؟" سؤالا لا معنى له، ذلك أنّ "الأساس في معجم تأثيليّ، بيان المسارات التي انتهجتها الكلمات [و أضاف ميّي Meillet، أنّه] من أجل تأثيل كلمة، يجب [...] معرفة كيفيّة دخولها إلى اللغة [...] و في أيّ الأوساط استُعملت."[4]

و لم يتَح لأيّ فرع من فروع اللّسانيات أن يتبوّأ من التّاريخ منزلة كالتي بلغتها التّأثيليّة، فهي تمارس العمل التّأريخيّ فعلا، حتّى قال "ميّي" (Meillet):" إنّ تأثيل رصيد معيّن، هو وضع تاريخ لهذا الرّصيد اللّغويّ بين حقبتين."[5] و قال في تقديمه لمعجم تأثيليّ (Etymologique) فرنسيّ:" اللّسانياتيّ الحديث الذي يؤثّل لا يبحث عن المعنى[...]، لكن يجتهد في تتبّع تعاقب الوقائع [...] التي أخذت الكلمة من خلالها شكلها و قيمتها. و في

1- Alain Rey: Initiation à la linguistique: la lexicologie, p. 153.

2 ـ يراجع: دي سوسير، فرديناند (Ferdinand De Saussure): علم اللّغة العامّ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، ص ص. 118-202.

3- Alain Rey: Initiation à la linguistique: la lexicologie, p. 154.

4- Antoine Meillet: LINGUISTIQUE HISTORIQUE ET LINGUISTIQUE GENERALE, Ed. CHAMPIONS, Paris, 2ème Edition, 1982, p. 292.

5- Ibid, p. 292.

مثل هذه المادّة فاللّسيانياتيّ مؤرّخ و ليس إلاّ مؤرّخا."[1]

ـ تفاعل التّأثيليّة مع التّاريخ أخذا و إضافة:

و مع ممارسة التّأثيليّة للتّاريخ فهي تأخذ منه أحيانا، و تضيف إليه أحيانا أخرى. و ممّا تأخذه ما يتعلّق بالوقائع و الأحداث التي أدّت إلى دخول الكلمات من لغة إلى أخرى[2]، أمّا ما تضيفه التّأثيليّة إلى التّاريخ نفسه إنّما يحصل من خلال تحقيقها أحد أهمّ أهدافها و هو إعادة تركيب تاريخ الكلمات انطلاقا من أصل استعمالها الأوّل و مرورا بتوجيهاتها المختلفة. و قد قدّم المعجميّ الفرنسيّ "بيار غيرو" (Pierre Guiraud) في كتابه: "صيغ تأثيليّة للّغة الفرنسيّة" (Structure étymologique du lexique Français) نماذج على ذلك منها: ما توصّل إليه بتتبّع مسار كلمة "Poubelle" حيث تحقّق من أنّ اللّفظ دخل الحقل الدّلاليّ لسلات المهملات و فضائل المنازل سنة 1884، حين فرض المحافظ "بوبال" (Poubelle) على سكّان مدينة باريس استعمال علبة للقمامات، التي أخذت اسمها من اسم الآمر باتّخاذها في البيوت.[3] و بهذا يكون تأثيل الكلمة قد نفض الغبار عن حقيقة كان يجهلها الفرنسيّون المعاصرون، و أمدّهم بحدث تاريخيّ يدخل ضمن تسيير المدن الكبرى خلال القرن التاسع عشر، ما كان لهم أن يعرفوه لولا العمل التّأثيليّ.

كما تضيف التّأثيليّة إلى التّاريخ حينما تأخذ على عاتقها التّأريخ للمفردات من حيث ظهورها، و للغات من حيث مساراتها بين حقبتين محدّدتين، فهي، ضمن مباحثها هذه، تقدّم معلومات عن الأشياء و النّاس قد لا تسترعي مؤرّخا محترفا. و لا جرم أن يكون لدراسة تطوّر اللّسان هذا الفضل، فإنّه "يمكن التّأريخ لعلاقات الشّعوب من خلال مقارنة معجم ألسنتهم."[4] لذا أكّد "ألان راي"Rey (Alain) قائلا: إنّ "تاريخ كلماتنا، هو تاريخ ثقافتنا: و فكرنا الجماعيّ."[5]

1- Dictionnaire étymologique de la langue française, O.BLOCH et W.V.WARTBURG, Press Universitaires du France, Paris, 4éme Ed, 1964, Préface D' Antoine Meillet p. 40- 40

2- Voir: Ibid, p. 292.

3- Voir: Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 17.

4 ـ البّكوش، الطيّب: بعض الإشكالات المنهجيّة الخاصّة بالمعجم العربيّ التّاريخيّ، مجلّة المعجميّة، العددان 5-6، ص. 385.

5- Alain Rey: Présentation de Structures étymologiques du lexique français, Pierre Guiraud, p. 15.

أمّا فوائد التّأثيليّة بالنّسبة إلى العلوم اللّسانياتيّة، فيمكن إجمالها في الجوانب الآتية:

ـ تصحيح العمل التّأثيليّ: انطلاقا من اعتبار الطّابع التّاريخي مميّزا لعلم اللغة في العصر الحديث، فقد نأى الباحثون عن اعتقاد "أنّ اللسان، أو الكلمة معطى نهائي، و لكنّه حصيلة تطور سابق، و في الوقت نفسه، نقطة انطلاق لتطور لاحق."[1] و هو ما يجعل التّسلّح بالمنهج التاريخي في تأثيل الكلمات أمرا ضروريا و إلاّ و قع في كثير من الأخطاء منها: تجاوز مراحل تاريخية و التعجل في نسبة كلمة إلى لغة قديمة دون تتبع وقت ظهورها، و معرفة البيئة التي نشأت فيها. و هو ما جعل "يسبرسن"(Jespersen) يردّ على من أرجع كلمة "Boche" إلى أصل "آري" انطلاقا من افتراض أغراه به تقديسه للأصول الآرية، و يبيّن أنّ اللفظة نطق بها العامّة من الفرنسيين، و جعلوها لقبا لكلّ ألمانيّ، و أنّ ظهورها كان سنة 1914 مع بداية الحرب العالمية الأولى.[2] و هو ما حمله على محاولة وضع حدّ لتداخل التّخمين و التّحقيق في العمل التّأثيليّ، منبّها على أنّ كثيرا من الكلمات تخبّئ للباحث مفاجآت لا تستطيع "أيّة <سذاجة>[3] علميّة إظهارها إذا لم تتعرّف إلى الوقائع التّاريخيّة."[4]

و من الأمثلة المؤيّدة لهذا، تأثيل "يسبرسن" (Jespersen) لكلمة "grog" الفرنسيّة و التي تعرّف في معجم "Nouveau Petit LAROUSSE" بأنّها: "مشروب مركّب من <ماء الحياة>[5] و <الرّوم> (Rhum)[6]" أو من "ماء ساخن محلّى و ليمون"[7]، و قالت بعض المعجمات الفرنسية/العربية إنّها:" مشروب ساخن."[8] فقد لاحظ هذا اللّغويّ

1- Jespersen Otto: NATURE, EVOLUTION et ORIGINE DU LANGAGE; p. 15.

2- Ibid: p. 296.

3 ـ "سذاجة": هنا مقابلة لـ "Naïveté" المستعملة في النّصّ الفرنسي.

4- Jespersen Otto: NATURE, EVOLUTION et ORIGINE DU LANGAGE; p. 296.

5 ـ هذه ترجمة حرفية لعبارة:" Eau-de-vie" الفرنسية التي تعني نوعا من الخمور، يحصل عليه بإخضاع بعض المشروبات الكحولية إلى التبخّر، و جمع ما ينتج منها لتناوله.

6 ـ Rhum: نوع من الخمور يحصل عليه بعد إخضاع قصب السّكر إلى التخمّر و التبخّر.

7- LAROUSSE (Nouveau Petit), Dictionnaire de la langue française, Librairie LAROUSSE, Paris, 1970, p. 488.

8 ـ المنهل الوسيط: قاموس عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1981، ص. 415.

أنّ المفردة أخذت طابع الاسمية العامّ، و أغفل النّاس أنّها في الأصل مأخوذة من لقب نبز به بعض أعضاء البحرية البريطانيّة "الأميرال: Vernon" و هو "Old Grog" لارتدائه دثارا (Manteau) وجه قماشه الخارجيّ مشكّل كحبّات القمح. و علاقة هذا الاسم بالشّراب المذكور أنّ هذا الأمير أمر سنة 1740م أن يقدّم الخمر مخلوطا بالماء و ليس عتيقا، فأخذ الشّراب المحصّل عليه ("Rhum" + ماء) اسم "grog".[1]

و حسبنا هذان المثالان في هذا الجزء من البحث، و إلاّ أدّى الاستطراد إلى إجحاف بالمحاور الأخرى التي أُزمع طرح التّأثيليّة من خلالها ضمن المنظور اللّغويّ العامّ.

ـ تحديد اشتقاقية المفردات: ممّا تضفيه التّأثيليّة على البحث اللّغويّ أنّها تفسّر الأشكال المفرداتية تاريخيا، إذ أنّ "التّأثيل و التّأريخ هما اللّذان يوجّهان العلاقة الاشتقاقية، و يبيّنان أنّ الكلمة بُنيَت من قبل"[2] في لغة من اللّغات. و كثيرا ما تتفوّق النّظرة التطوّريّة (التاريخيّة) على النّظرة الوصفيّة (التي تلغي عامل الزمن و التاريخ) في الفصل في الاختلاف حول تشكّل الكلمة، خاصّة إن تعلّق الأمر باللّغات الأوروبيّة، فعدد كبير من "الكلمات في الفرنسيّة الحديثة التي هي كلمات مُبْتناة (construits) تعاقبيا (diachroniquement) تعتبرآنيا (synchroniquement) كلمات بسيطة (simples)."[3]

و من تلك المفردات كلمة "biscuit" التي ينظر إليها اللّغويون المعاصرون على أنّها وحدة بسيطة، بينما يثبت تاريخ تطوّرها أنّها مركّبة من كلمتين "bi" (بمعنى: اثنين)، و "cuit" (نضج)، و معناها على هذا يصير: المطهوّ مرتين.[4]

و لولا أن العرب فاتهم التأريخ للمفردات و اللّغات؛ لسبقوا إلى استجلاء فوائد جمّة في دراساتهم القديمة، تبرز ما للتأثيل من قدرة على بيان كيفية تكوين الكلمات، و تحديد الأصول التي اشتقّت منها. و حسبنا ما فصّله "ابن جنّي" من أنواع الاشتقاق في كتابه

1- Jespersen Otto: NATURE, EVOLUTION et ORIGINE DU LANGAGE; p. 296.

2- Alise Lehmann-Françoise Martin-Barthet: Introduction à la lexicologie sémantique et morpholocique, p. 104.

3- Aïno Niklas-Salminen: LA LEXICOLOGIE, p. 45

2- Voir: Jespersen Otto: NATURE, EVOLUTION et ORIGINE DU LANGAGE; p. 296.

"الخصائص"[1] و التي منها الاشتقاق الكبير القائم على إضافة صوت ثالث للأصول الثنائية، و هو ما سمّاه بعض اللغويين من بعدُ الإلحاق[2]، و قد استحال إلى نظرية لغوية بنى عليها ابن فارس معجمه "مقاييس اللّغة"[3]، و هي فكرة بادر إلى الإشارة إليها الخليل بن أحمد في أوّل معجمات اللّسان العربيّ تأليفا: "كتاب العين"، من خلال تبويبه له حسب أبنية العربيّة، و هو طرْحٌ شاهد على مرحلة من مراحل تكوّن الأصول الثّلاثية التي يمكن اعتبار الثنائي أثلة (Etymon) لها ـ كما سيأتي بيانه عند تناول "كتاب العين في الفصل الثاني من هذا البحث ـ .

كما يبرز مظهر آخر لطرائق تكوين المفردات في اللّسان العربيّ من خلال الاشتقاق الأكبر ـ عند ابن جنّي ـ و القائم على تقليب الأصول الثلاثة للحصول على كلمات جديدة، و هو المسمّى عند اللغويين القلب الذي عرّفه "ابن فارس" بقوله:" و من سنن العرب القلب. و ذلك يكون في الكلمة [...] فقولهم: <جذب و جبذ> و <بكل، و لبك> و هو كثي، و قد صنفه العلماء"[4]، و للخليل في هذا فضلُ سبق أيضا، فقد أقام تبويب معجم كتاب العين على تقليب أصول كلّ جذر لغوي و إحصاء المستعمل منه و غير المستعمل.[5]

و ممّا يتوغّل بنا في صلب الدراسات التأثيلية، موضوع النحت و هو اختصار لكلمتين أو أكثر في كلمة واحدة، و قد جعله ابن فارس من دعائم معجمه "مقاييس اللغة" حيث قال: "اعلم أنّ الرباعي و الخماسي مذهبا في القياس، يستنبطه النظر الدقيق. و ذلك أنّ أكثر ما تراه منه منحوت. و معنى النحت أن تؤخذ كلمتان و تُنحَت منهما كلمة تكون آخذة منهما

---

1 ـ يراجع: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1424هـ/ 2002م، ج 1، ص ص. 490 – 494.

2 ـ هادي، نهر: تاريخ الكلمة العربية، و تطورها في الدّرس اللغوي عند العرب، وقائع النّدوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية ـ تونس ـ نوفنبر 1989، المطبوعة تحت عنوان: المعجم العربي التاريخي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991، ص ص. 450 ـ 451.

3 ـ يراجع : ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1399هـ/1979.

4 ـ ابن فارس، أحمد: الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط 01، 1414هـ/ 1993م/ ص. 208.

5 ـ يراجع: الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، العراق، 1980، ج 1، ص. 59.

جميعا بحظّ."[1] و لم يستنكف صاحب المقاييس أن يقول معترفا بالفضل و السبق: " و الأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم: حيهل الرجل، إذا قال: حيّ على."

و على الرغم من المغالاة في اعتبار كلّ ما زاد على ثلاثة أحرف من الأصول منحوت، فإنّه يقفنا عند تحقيق ما صحّ منه على صورة لتكوين المفردات العربية.

و من أجلّ ما يمكن ذكره من إضافات يقدّمها التوجّه التاريخي لدراسة و تأثيل اللغة أنّه بالنسبة إلى اللسان العربي المتداول يسعى إلى تصحيح الاستعمال من خلال النظر إلى التطور الفعلي للمفردات الذي يبعدنا عن الخوض في تخطيء الكتاب أو المتكلّمين تحت تأثير المعيارية اللغوية، و حصر الفصيح الصحيح في فترة تاريخية محدّدة دأب الدارسون العرب على تسميتها بعصور الاحتجاج، ذلك "أننا حين نبحث في سيرة اللّفظة فنراها تكتسي لبوسا خاصا في كل العصور [...] نكون في ذلك غير محصورين في دائرة الضيق، و نتجاوز بذلك الحدود إلى أبعد من عصر الاحتجاج."[2] و قد ضرب إبراهيم السامرائي لذلك أمثلة كثيرة، يُكْتَفَى ههنا بذكر واحد منها، و هو كلمة "سجال" الشّائعة في لغة الصحفيين و السياسيين في أيامنا و التي سارع بعض اللغويين المعاصرين إلى اعتبارها خطأ؛ لأنّ السجال في العصور القديمة (المحتج بها) كانت جمعا لـ "سَجْل" (وهو دلو البئر المملوء ماء)، و فضلوا استعمال "مُساجلة" من فعل "ساجل" الذي يحمل معنى التبادل و التعاقب على السّجل ثمّ عُمّم على كلّ شيء، فبما جرأة من إبراهيم السامرائي قال بصحة استخدام السّجال مصدرا لسَاجَلَ[3]، و لم يكن الأمر تجنّيا معيبا على العربية بغير وجه صحة، و إنما المعروف قياسا أن الفعل الرباعي الذي على زنة "فاعل" يكون مصدره على صيغتين: "فِعال" و "مفاعلة"، كـ: "قتال و مقاتلة"، و قد دأب العرب على تداولهما معا أو إيثار أحدهما. بل إنّ مثل هذا الموقف اللغوي يفتح بابا لإثراء اللسان العربي في أيامنا بأحد المصدرين المهملين في الاستعمال، للتعبير عن معان جديدة، و لعلّ السجال يكون بهذا من التوليد و السبق لا من الخطإ.

---

1 - ابن فارس، أحمد: مقاييس اللغة، ج1، ص ص. 328 – 329.

2 - السامرائي، إبراهيم: من مواد المعجم التاريخي: الجمع في طائفة من الكلم القديم، مقال ضمن "وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس، نوفمبر 1989، طبعتها دار الحكمة، قرطاج، تونس، 1991، ص. 188.

3 - يراجع: المرجع نفسه، ص ص. 188-189-190.

1 - 3 - المقاربة البنيوية للتأثيلية:

تجتمع أهداف التأثيلية في إعادة إنشاء تاريخ الكلمات ابتداء من صورتها الأصلية، مرورا بكلّ مظاهر تطوّرها إلى أن تصل إلى صيغتها المعاصرة. ممّا يجعل التأثيل من الناحية العملية يقوم على المقارنة بين الصيغ و الدلالات، و يتابع تطوّرها، ليتدرّج مع مسارها اللغوي فرعا بعد أصل. وهو ما جعل المقاربة التاريخية آخذة بحظّ وافر من البحث التأثيلي، بمنهجيتين كانتا سائدتين: "المنهجية الصوتية التاريخية، المتولّدة عن النحو المقارن في أوربا في أواسط القرن [التاسع عشر] [...] و المنهجية المعجمية التاريخية [...] و هي لا تقارن صوتيا ظواهر مفردة كالأولى، و إنما تقارن جميع الصيغ و جميع الدّلالات التي تشترك في صفات تجعل منها مجموعة متميّزة."[1] و من هنا استنتج "بيار غيرو" (P. Guiraud) أن التأثيلية ترتكز على أساسين هما: تحديد الأثلة، و بيان طبيعة العلاقة بين الأثلة و مشتقاتها.[2] و في إضافة "غيرو" لعنصر العلاقات بين الصيغ توجّهٌ بالدرس التأثيلي نحو النظام الداخلي للسان، و إضافة أرضية ثالثة مهمة تدعم الاثنتين اللتين أفرزتهما المنهجية التاريخية: حياة الكلمة، و التأريخ لها، و من هذا المفهوم استلهم الطيب البكوش فكرة رسم المقاربة التأثيلية هرما ثلاثيا: قمّته التأثيل، و قاعدته تاريخ الكلمة، و حياتها و علاقاتها.[3]

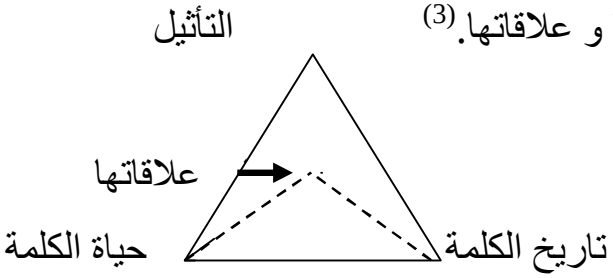

- أهمية التحليل الداخلي للتأثيلية:

ممّاسبق تبدو الحاجة ملحّة إلى وضع منهجية ثالثة تقوم على التحليل الداخلي لتأخذ إحدى قواعد هرم التأثيلية، و هي علاقة الكلمة بغيرها داخل النظام اللساني، حقّها.

و قد كان أوّل من تفطّن إلى هذا التوجه الداخلي، و بالتالي البنيوي، اللّغوي الفرنسي

---

1 - البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، ص 392.

2- Voir: Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 17.

3 - البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، ص. 392.

"بيار غيرو" (P. Guiraud)، بحسب ما توصل إليه البحث، مُآزَرا بشهادة أحد أكبر المعجميين الفرنسيين المعاصرين "ألان راي" (Alain Rey)[1] في تقديمه للكتاب الذي أثار المقاربة البنيوية (Structurale)، "صيغ تأثيلية للغة الفرنسية" (Structures étymologiques du lexique français)، الذي انطلق فيه صاحبه من ملاحظة أنّ التأثيلية (étymologie) تسمح بالجمع بين المقاربتين: التطورية (Diachronique)، و الآنية الوصفية (Synchronique)، مما يجعلها قائمة على منهجين متقابلين: "الأولى تحليلية تطورية، و الثانية نظامية آنية داخلية."[2]

- أسس منهجية التحليل الداخلي:

تقوم المنهجية التحليلية على أسس ثلاثة:

- الأساس التحليلي: و يرجع إلى ما بعد تحقيق التأثيل لغايته الأولى، و هي إيجاد الأصل الأول للكلمة، و يتفرع ذلك من ملاحظة أن الكلمة "تتموقع ضمن سلسلة من الألفاظ تحمل الخصائص الدلالية نفسها.[3]

و يقصد بالخصائص الدلالية ههنا الحقول التي تنتمي إليها الكلمة، و التي تكون التسمية فيها مبنية على صفة الشيء، أو علاقته بغيره، و هو ما يتضح من المثال الذي قدّمه "غيرو" (Guiraud) و هو يشرح منهجيته المقترحة، و يتعلّق الأمر بالاسم الفرنسي لطائر السُّمانى (La grive) التي ربط اسمها بلون زخرفتها (gris) مما يحتم - على حدّ قوله -: "أن يُهتمّ بكلّ الأسماء المعيِّنة للحيوانات، و خاصة الطيور المزخرفة."[4] و من العجيب أن يجد هذا التطبيق نظيرا له في اللسان العربي، متعلّقا باسم الطائر نفسه الذي عرّفه الخليل بن أحمد بقوله: "و السّمانى: طائر يشبه الفرّوجة، الواحدة: سماناة." ثمّ يقول بعد هذا مباشرة: "السُّمّان: هذه الأصباغ التي يزخرف بها."[5] و لولا أنّ صاحب كتاب العين لم يصرح بأية علاقة بين "السُّمانى" و "السُّمّان" في وضع الاسم الأول، لاعتُبر هذا

1- Alain Rey: Présentation de Structures étymologiques du lexique français, Pierre Guiraud, pp. 15-17.

2- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 17.

3- Ibid, p. 17.

4- Ibid, pp. 17-18.

5 - الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج2، ص. 280.

سبقا منه بادر فكرة "غيرو" (Guiraud) بما يزيد على ثلاثة عشر قرنا. و إن كان "الخليل" بإتباع إحدى الكلمتين الأخرى في معجمه الفريد صاحبَ فضل علينا كبير، في إثارة الانتباه، و حسبه ذلك.

ـ الأساس التطوّريّ: و يرجع إلى الهدفين الأولين البارزين في المقاربة التاريخية للتأثيلية، و هما: وجود الأصل الأول للكلمة، و تتبع تغيّراته اللاحقة. غير أن الذي أثاره "غيرو" (Guiraud) ههنا، هو أن مسار الكلمة يقف الباحث أحيانا على لمسة ثابتة في النماذج التي ترافق تطورها،[1] مثل النزعة المجازية التي تسمح بتسمية الحيوان المزخرف بحسب زخرفته الطبيعية، أو تلك التي أدْمَجت الخبز في حقل المال (أو الرزق) في قول النّاس: "أعمل من أجل الحصول على الخبز." فهي ظاهرة باقية تتجاوز الأحداث التاريخية، و تدعو إلى التوقف و التأمل بدلا من الانشغال بالسير حرصا على اللحاق بالركب التطوري للغة، دون أن تستحيل إلى وصف محض.

ـ الأساس الخارجي: الذي يرجع إلى اتخاذ التسمية من عوامل خارجة على نظام اللسان، كشكل الأشياء، و لونها، و وظيفتها ... غير أن الملاحظ أن هذه التسمية، و إن انتهى بها التأثيل إلى عامل خارجي، فإنّ هذا لا يستبعد كليةً وجود المسوّغ الأنموذجي (كاعتماد المجاز ـ مثلا ـ) المنبثق من داخل النظام اللغوي.

كل هذا يجعل المنهجية التحليلية التطورية الخارجية غير مصطدمة كلية مع المنهجية النظامية الآنية الداخلية. و اعتقاد ذلك قد يوقع الدرس التأثيلي في تناقض مشين تأباه طبيعته التي تسع مقاربات شتى، و تستنفر علوما متعددة لتحقق التأثيلية غايتها، و هو ما جعل "غيرو" (Guiraud) يقول مستخلصا: "يبدو أن كلا من التعليلين [motivations] الداخلي و الخارجي ضروري، غير أن أحدهما ليس كافيا وحده، و إنما تتكون الكلمة الجديدة من تمازج عناصرهما."[2] و كأنّ نشوء المفردات (الذي هو داخلي في النظام

1- Voir : Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 18.

2- Ibid, p. 18.

اللغوي) يتربص بالوقائع(التي هي خارجية من صنع التاريخ) لتتجسد الدلالية (Le sémantisme) الكامنة في الأنموذج اللغوي، و تتضح هذه الظاهرة اللغوية أكثر من خلال تأمل الفكرة الخليلية العبقرية الرابطة بين المهمل و المستعمل، أي الموجود بالقوة (داخل النظام)، و الموجود بالفعل (بإحداث المتكلمين له احتياجا إليه). كما سيأتي في الفصل الثاني من هذا البحث.

ـ ضرورة التوجّه البنيوي للتأثيلية:

أفضت محاولة طرح توجّه المعجميّ الفرنسي "بيار غيرو"(P. Guiraud) إلى طرح منهجيتين إحداهما: تحليلية، تعاقبية، خارجية، و الأخرى: نظامية، آنية، داخلية، إلاّ أنّ رؤيته لهما لم تقم على التناقض و الضدية، بل كان أقرب إلى القول بتكاملهما منه إلى جعلها طرفين متناقضين، و هو محقّ في ذلك، و من هنا أمكن اعتبار أسس كلّ من المنهجين مُجَليّة لثنائيات توضّح كلّ منها الأخرى أكثر مما تعارضها، و هذه الثنائيات المتقابلة المقترحة هي:

تحليـــليّ / نظامـــيّ

خارجـــيّ / داخلـــيّ

تطـــوريّ / آنـــــــيّ

منهجية خارجية / منهجية داخلية

و يلاحظ في هذه الثنائيات تداخل ما هو تاريخي(من خلال: تحليلي ـ خارجي ـ تطوّري) و ما هو لسانياتيّ (من خلال: نظامي ـ داخلي ـ آني). و تظهر مساحة هذا التداخل في مستوى الخطاب (discours) الذي "يستحدث الكلمات بواسطة مواد يمدّه بها التاريخ فيستعمل هذه الكلمات بحكم حاجيات عرَضية، و لكن طبقا لنظام قوالب معجمية."[1] فكأنّ نشوء الكلمة ـ كما قال "غيرو" (Guiraud):" نتيجة تصادم، و ضغط

---

1 ـ البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، ص. 398.

من التاريخ على النظام."[1]

و ليس وجود النظام وحده بكاف لتكتسب الكلمة قيمة في داخله، و إنما يحصل لها ذلك من خلال علاقاتها بغيرها، لأنّ "الكلمات تتجمّع في الذاكرة في شكل شبكات معجمية متعدّدة. و هذا التشابك مزدوج إذ يمكن للكلمة الواحدة التواجد في عدّة شبكات حسب نوع العلاقة سواء أ كانت دلالية أم صرفية أم صوتية."[2]

و هكذا يتدعّم أحد أسس قاعدة هرم التأثيلية، فيكون لها أثر في الدلائل (Signes) اللغوية، و تصير الأثلة (Etymon) "الطرف الثالث الوسيط بين الدالّ و المدلول"[3]، و بهذا يحصل التكامل بين الآنية و التطورية، و تسمح التأثيلية (Etymologie) الحديثة " بالمقابلة بين المعجمية التاريخية و المعجمية البنيوية"[4] اللتين لا يخفي "بيار غيرو"(P. Guiraud) رغبته في الدعوة إلى التقريب بينهما[5] فيزول التناقض بين التعاقبية و الآنية نهائيا، و بالتالي يلتقي النظام مع التاريخ، و تتقارب الاعتباطية (Arbitraire) و التعليلية (Motivation).[6] و هذا ما عملت البنيوية (Structuralisme) على ترسيخه، مما يرشّحها لتكون المقاربة الأكثر نجاعة لتأثيلية حديثة قادرة على تجسيد أصناف تأثيلية (و هي معجمية أيضا) تضمّ مجموعة الكلمات ذات الخصائص المعنوية (المدلولات) و الشكلية (الدوال) المشتركة.[7]

ـ البنى التأثيلية:

و من غير المقبول أن تظلّ التأثيلية بعيدة عن تطوّر اللّسانيات البنيوية مدّة طويلة، مع أنّ معظم البنيويين بيّنوا أنّ كلّ آنية (وصفية)، تحمل في داخلها نُبَيْتـــات (Germes)

1- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 18.

2 ـ البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، ص. 395.

3 ـ المرجع نفسه، ص. 398.

4- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 21.

5- Voir: Ibid, pp. 17-21.

6- Ibid; p. 19.

7- Ibid, p. 20.

مصيرها التعاقبي.[1] و هو ما يجعل مجموعات الكلمات ذات الخصائص المعنوية أو الشكلية المشتركة نماذج مرجعية، تكون أصولَ قياس لغوي تعلّل المستعمل من الألفاظ، و آفاقَ تجديد تولّد المفردات، و هي التي سمّاها "بيار غيرو"(P. Guiraud): البنى الأوليّة[2] (Structures élémentaires) التي تحوّلت عنده إلى بنى تأثيلية (Structures étymologiques) و جاء منها اسم كتابه النفيس الذي أبرز من خلاله كيف يفيد التأثيلي من المنهج البنيوي، و يثري تخصّصه بما لم يقل به أحد من الغربيين قبله.

و بعد دراسة هذا الكتاب، الذي اعتبره "ألان راي" (Alain Rey) دعوة إلى الخيال في المعرفة و العاطفة في البحث من رجل إنساني حقّا[3]، يمكن إجمال الصيغ (أو البنى) (Structures) التأثيلية التي سعى "بيار غيرو"(P. Guiraud) إلى اقتراحها، و دراستها في أربع هي: البنى (أو الصيغ) الشكلية (morphologiques)، و الصيغ الدلالية (sémantiques) و الصيغ المحاكاتية onomatopéiques)، و الصيغ المتجانسة (أو المجانسة) (paronymiques).

- البنى التأثيلية لـ"بيار غيرو" (Pierre Guiraud):

لم ينظر "بيار غيرو" (P. Guiraud) في هذا المستوى من دراسته ذي الطابع التأثيلي، إلى البنى من حيث أنّها لغوية كُوّنت ثمّ أُدمِجت في الخطاب (Discours) و بالتالي في اللّسان (Langue)، و إنّما كانت نظرته تتطلّع إلى كيفية إنشاء هذه الصيغ، محاولا استنباط أصول نموذجية تكون بمثابة الأرحام التي تتمخّض بما تضطرّ الحاجة إلى وضعه من ألفاظ ليجعل من هذه البنى التأثيلية عامل تعليل و تحفيز في آن واحد. و العجيب أنّ كلاّ من التّعليل و التحفيز يشتركان في لفظ واحد في اللّغة الفرنسية، و هو (motivation).

1- Ibid, p. 19.

2- Ibid, p. 18.

3- Voir : Alain Rey: Présentation de « Structures étymologiques du lexique français », Pierre Guiraud, pp. 15-17.

و هذه محاولة عرض وجيز للبنى التأثيلية الأربع التي نقّب "بيار غيرو" (P. Guiraud) في اللّسان الفرنسيّ باقتدار ليصل إليها:

أ ـ البنى الشكلية (Structures morphologiques):

انطلق "غيرو"(Guiraud) في البحث عنها من قناعته أنّ "التحليل التأثيلي يرتكز على ثلاثة أنواع من الخصائص: تاريخية، و صوتية، و معجمية"[1]، مستخلصا أنّ التأثيلية" لم تعد دراسة أصل الكلمات المنعزلة، و إنّما أصبحت تدرس النّماذج أو البنى الأوليّة للّغة."[2]

و قدّم "غيرو"(Guiraud) نموذجين للبنى الشكلية التأثيلية هما:

ـ التركيب المزجي[3] (composition tautologique)، و معناه في المعجمات الفرنسية إعادة اللّفظ نفسه، أو ذكر ما يؤيد معناه من بعده[4] في السياق، وهو ضرب من التكرار، بينما جعل "بيار غيرو" (P. Guiraud)" المركبات المزجية (composition tautologique) [...] كلمات متكونة من فعلين مترادفين ممزوجين (Juxtaposés)[5] و مثاله فعل: "Bousculer" [دفع بقوّة في عدّة اتجاهات] و هو متكوّن من فعلين ـ حسب "غيرو" (P. Guiraud) ـ[6] هما: "Bouler" [دفع] و "Culer" [سار إلى الخلف، تراجع] و مما استخلصه صاحب هذه التأثيلية:

ـ أن معرفة حقيقة هذه المركبات يقتضي الابتداء بتحديد كيفية دخولها إلى الخطاب أو اللغة (إن كان اشتقاقا ، أو تغيرا دلاليا، أو اقتراضا، أو محاكاة لأصوات الطبيعة...).

1- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 25.

2- Ibid, p. 25.

3 ـ اقترح "عبد السلام المسدّي" في قاموس اللسانيت: تحصي الحاصل مقابلا لـ: Tautologie. و في المنهل الوسيط فرنسي/عربي: Tautologie= حشو، وهما بعيدان عن المدلول اللّغويّ.

تتركّب "Tautologie" من Tauto= نفس + logie = خطاب أو لغة = الخطاب نفسه.

4- Voir: - LAROUSSE (Nouveau Petit), Dictionnaire de la langue française, p. 104.

- Georges Mounin: Dictionnaire de la languistique, collection Quadrige, Presse Universitaire de France, Paris, 2éme tirage, 2006, p. 264.

1- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 25.

2 ـ قدمت المعجمات الفرنسية "Bousculer" مكون من فعل واحد "Bouler" (دفع)، و مقطع "Cul".

ـ أنّ دراستها ينبغي أن تكون على مستوى الشكل، و ما يتناسق معه من تتابع زمني للوقائع، و موقع جغرافي، و قيم أسلوبية...

ـ أن يعتمد على الإحصائيات التي ترصد كل الصيغ المشتركة شكلا و دلالة، لترتيب الأصناف المعجمية، و بالتالي التأثيلية.[1]

و بالجملة فإن صاحب "البنى التأثيلية" (Structures étymologiques) يطمح إلى منهجية ترتقي بالتأثيلية إلى مستوى علمي بيّن المعالم، حتى يُعرف ـ كما قال ـ أنّ "المنهجية هي التي أدّت بالصوتيات إلى أن تكون علما."[2]

ب ـ التركيب المناداتي [الطلبي] Advocatif[3]:

و قصد به واضع هذا المصطلح الصيغ التركيبية المتكونة من فعل أمر، و منادى (Sujet au vocatif). و معظم الأمثلة التي أُحصيت ضمن هذا التركيب اللغوي يتعلق أكثرها بألعاب تؤدّيها الأطفال و منها: "Marie-Vole"[Vole = فعل أمرّ+ Marie = منادى] (يوجه إلى حشرة الدّعسوقة "Coccinelle" حين تقع على طفل، فإنّه لا يذبّها و إنّما يتحوّل طلبُ قفزها من عليه لعبة مسلية)، أبقت للفرنسيين صيغة لغوية متداولة.

و بعض الأمثلة يتعلق بأعمال يدوية بسيطة لا ترقى إلى الحِرفية، كعبارة: "Saute-perette" المستعملة في غرب فرنسا، تخاطب من خلالها المرأة الفطيرة (Crêpe) حين تريد قلْبَها على الوجه الآخر فترسلها في الهواء ثمّ تلتقطها مقلوبة.

و لم يُخْفِ الباحث الفرنسي ملاحظته أنّ الأمثلة التي ينبغي جمعها لتجسيد احتمال يقوم على التقاء نقاط متعدّدة لا تتوفّر بالصورة المرجوّة لكثرة تشعبها و تفرقها.

و مع هذا، فقد لمّح إلى إمكانية اعتماد هذه الطريقة في التركيب ـ على الأقلّ ـ في تسمية الألعاب ـ التي لا تفتأ تتعدّد في العصور المتأخرة ـ، و بعض مظاهر الاحتفالية

1- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, pp. 42-44.

2- Ibid, p. 43.

3 ـ لم يعثر على لفظ "Advocatif" ضمن مداخل المعجمات العامّة الفرنسية و لا المزدوجة، و لا معجمات اللسانيات ـ المتاحة للبحث ـ، أمّا "Vocatif" فهي صيغة النداء. و لعلّ "غيرو" (Guiraud) أبدع في وضع مصطلح جديد!

(Folklore) [1]، مذكرا أنّ "التقاء الشكل و الدلالة هو الذي يؤسّس للتأثيلية."[2] و قد بدا "غيرو" (Guiraud) في هاتين البنيتين التأثيليتين مُجدِّدا، حيث أتى بصيغ كأنّما ضمّن عرضه اقتراحا لكيفية استخدامها، و هو ما يؤكّد قدرة التأثيلية على إثراء الرصيد اللغوي، كما تشير إلى أن من الدراسات العربية القديمة ما تناول، من قريب، بعض هذا الطرح، إذ يمكن الرجوع بالتركيب المزجي إلى النحت في تكوين كلمات عربية، نصّ عليهـا أقدم اللغويين و المعجماتيين، و هو عندهم يمكن أن يختـزل جملة كاملة في كلمة واحدة: " حوقل: قال لا حول ولا قوّة إلا بالله."

ج ـ البنى الدّلالية (Structures Sémantiques):

كانت طريقة الطرح بالنسبة إلى البنى الدّلالية التأثيلية قائمة ـ عند "بيار غيرو" (P. Guiraud)" ـ على تطبيقات مختلفة، ركز فيها على تسمية الحيوانات، خاصة الطير، و السمك، محاولا إيجاد قاسم مشترك لتسميتها بناء على بعض خصائصها الشكلية. و هو في هذا كلّه مدفوع بإيمانه "أنّ التلاقي بين شكل الأصناف الدالة (Signifiants)، و أصناف المدلولات، هو الذي يؤسس للتأثيلية."[3] و هو ما ألهم الطيب البكوش اعتبار الأثلة "(Etymon) الطرف الثالث الوسيط بين الدّالّ و المدلول، و هداه إلى تشكيل هذه الفكرة في مثلّث على هذا النّحو:[4]

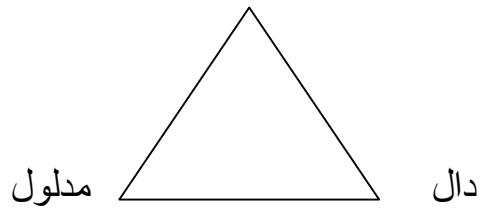

غير أنّ اللاّفت للانتباه في بحث "بيار غيرو"(P. Guiraud)" عن بنية دلالية يمكن أن تقدّم صيغة تأثيلية أولية للسان الفرنسي، أنّه اقترح فكرة جديدة بالنسبة إلى دراسات من

1- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, pp. 52-53.

2- Ibid, p.53.

3- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 54.

4 ـ البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، ص. 398.

سبقه، تدلّ على عبقريته اللّغوية، حيث قال: "يمكن عكسُ المسار من خلال وضع جرد لصنف دلالي، و منه تحديدُ الشكل أو الأشكال التي تسمّى الأشياء من خلالها."[1] و أمام هذا الطموح الكبير بالنسبة إلى ناطق باللسان الفرنسي، يعترف "غيرو"(Guiraud) بضخامة مشروعه، و يعلّل بذلك عدم تطبيق هذه الطريقة عند من سبقه، و المعاصرين له. غير أنّ الطفرة في تفكيره تتجلّى في قوله: "نحن بحاجة إلى معجم معان."[2] و هو نداء لا يصدع به إلاّ من جمع بين رجاحة عقل المتأمّل، و قوّة عاطفة الغيور على لغته و مستقبلها، و إن وجد العربي في هذا عزاء في محنته الآنية؛ فمعجمات المعاني عند العرب هي من أوّل ما أُلّف ابتداء بالرسائل الخاصة ككتاب "الجراثيم" المنسوب إلى ابن قتيبة (ت 276هـ) و "كتاب النّخل و الكرم" لأبي عبيد"[3]، و انتهاء بالمعجمات المتكاملة الكبيرة ككتاب "الألفاظ" لابن السّكّيت (ت 244هـ)، و "كتاب المعاني الكبير" لابن قتيبة، و المعجم الضخم لابن سيدة المعروف بـ "المخصّص"[4]. غير أنّه ينبغي التنبيه إلى أنّ هذا التراث العظيم لمّا يستثمره العرب في العصر الحديث، الذي هم في أمسّ الحاجة فيه إلى معجمات المعاني؛ فالغرب يدفع إليهم بمصطلحات كثيرة، تحضرهم معانيها و يضنيهم البحث عن مقابل عربي لها، حتى إذا عجزوا استفتوا جهّالا فأفتوهم بغير علم، فضلّوا و أضلّوا، أو تبنّوا اللفظ الأعجمي من دون تعريب.

د ـ البنى المحاكاتية (Structures onomatopéiques):

يبدو أنّ "غيرو"(Guiraud) هذه المرة رجع إلى ماضي الدراسات السحيق، و أحيى طريقة تأثيل أفلاطون المعتمِد في كثير من تطبيقات على إرجاع وضع المفردة إلى العلاقة بين المعاني المعبّر عنها، و الطبيعة الفيزيائية للأصوات.[5] غير أنّه عالجها من خلال المستعمل في اللّسان الفرنسي، محاولا الوصول إلى صيغة شكلية (و بالتالي صوتية)

1- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 57.

2- Ibid, 57.

3 ـ هناك من نسبه إلى الأصمعي، يراجع على سبيل المثال: آل ياسين، محمّد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ/1980م، ص. 316.

4 ـ يراجع: المرجع نفسه، ص ص. 291 – 321.

5- Alain Rey: Initiation à la linguistique: la lexicologie, pp. 151-155.

تحمل وقع صوت يكون له حضور دلالي في مجموعة من الكلمات، و قد أقام بحثه على صيغتين:

ـ بنية الجذر "T.K"، الآتي من الأصوات (Tric, Trac, Troc…) و بعد استقراء، و بحث شكل و دلالة ما يزيد عن أربع مائة (400) كلمة، انتهى إلى أنّها جميعها ذات "أشكال تشهد بنيتها [...] أن الأصل الأنموذجي: ضربة "un coup" [...] و هكذا فإنّ خطًّا تأثيليا أوّل قد رُسم بوضوح."[1]

و بهذا يكون "غيرو"(Guiraud) قد اعتمد على إحدى القواعد العضوية (Physiologique) للمحاكاة و الأساس السّمعي، حيث تعيد الأصوات الحركة، ثمّ تتحول هذه الإعادة إلى هيكل آني يتموقع فيه المفهوم المدلّل عليه، ثمّ يؤدي تطور الهيكل داخل النظام من خلال علاقات متعددة إلى تقارب الصلة بينه و بين المفهوم الأول، ليشكلا دالاً و مدلولا ضمن علامة (Signe) لغوية، قد تنسي المتكلمين البنية المحاكاتية الأولى للصوت المسموع.

و هذا الذي جعل "يسبرسن"(Jespersen) يخرج عمّا زعمه المؤثلون الفرنسيون، و كادوا يجمعون عليه، حين ردّوا جذر كلمة "plomb" (رصاص) إلى اقتراض من اللاّتينية "plumbum" و الذي كان يعني المسبار (Sonde) الذي كان يُلقى في الماء. فقد أكّد "يسبرسن"(Jespersen) أنه يرجع إلى الصوت المسموع عند إلقاء المسبار، و لمّا كان في الأغلب مصنوعا من الرصاص، وُجّه اسمه إلى الدلالة على المعدن، ومن هذا التأثيل ذهب دمج فعل "Plonger" (غطس) إلى البنية التأثيلية المحاكاتية نفسها، و إن لم يستعمل مصطلحات "بيار غيرو"(P.Guiraud)؛ فهو يسميها "الكلمات الصدى" (Mots Echos -).[2] و مما يدل على أن مثل هذا التخريج قد لا يسيغه جمهور اللغويين، ما بدّأ به "يسبرسن" تأثيلية من مثل قوله: "هؤلاء [يقصد اللغويين] أشدّ صمما من أن يسمعوا صوت وقوع قويّ"[3] على الماء، و قوله عن نفسه: "قد يكون هذا من فعل خيالي

1- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 92.

2- Jespersen Otto: NATURE, EVOLUTION et ORIGINE DU LANGAGE, p. 301.

3- Ibid, p. 301.

(imagination)، لكني أظنّ أني أسمع الصوت نفسه."[1]

و ما للبحث يذهب إلى ما وراء البحر، و لديه من العلماء العرب من خطا الخطوات التأثيلية نفسها، ضمن ما سمّاه هو: "الجذور الصوتية" و هو الباحث العراقي: "عبد الحق فاضل"؟ و من تأثيلاته في هذا المجال، ردّ فعل "فرّ" إلى صوت جناحي الطائر و هو يطير، و إليه أرجع "Fly"[2] الإنغليزية.[3] و من عجيب قول العرب اليوم في عامياتهم على من هرب: "عْمَلْ فرْرْرْ!". فمن حقّ "يسبرسن"(Jespersen) أن يرمي من لم ينتبه إلى هذا بالصمم! و قد أعاذ الله العرب منه ـ على الأقلّ ـ في تسميتهم أصوات الحيوانات من: صهيل، و نهيق، و فحيح، و زئير...

ـ بنية الجذور المشفّهة (Labialisées)[4]: ينتقل "بيار غيرو"(P. Guiraud)" ضمن هذه البنية إلى قاعدة عضوية (Physiologique) أخرى للمحاكاة، هي الأساس البصَري، معتمدا على ملامح الوجه، خاصة حركة الخدين و الشفتين. و أفضى به التأمّل في هذا إلى اعتبار حقلها الشكلي متكوّنا من "التغيّرات الحركية للأصول الثنائية الشفوية الانسدادية (bilitères labio-occlusifs): B.B و P.P على الأشكال:

BOB/- BAB/- BIB، POP/- PAP/- PIP"[5] التي تدلّ على المضمونين الدلاليين (Sémantismes) "مدوّر" (arrondi) بالنسبة إلى BOB/- BAB/- BIB و منفوخ (gonflé) بالنسبة إلى POP/- PAP/- PIP. و بتطور هذه الأشكال من خلال الانسداد عند النطق بها إلى: BOUF/- BAF/- BIF وPOUF/- PAF/-PIF تضاف إلى مضمونها الدلالـــي فكرة النفَس و التنفس (Souffle) ممّـا يسمح ـ في نظر "غيرو" (Guiraud) ـ بمقابلة الكلمات" "bobe" (طريّ)، "pouper" (مصّ)،

1- Jespersen Otto: NATURE, EVOLUTION et ORIGINE DU LANGAGE, p. 301.

2 ـ فاضل، عبد الحق: مجلذة اللسان العربي، العددان، ربيع الثاني 1385هـ- أوت 1965م، ص ص. 226-227.

3 ـ هذا ملمح يساعد على جعل الفعل العربي "فرّ" أقرب إلى الصوت المسموع حقيقة، أمّا لام "L" "Fly" فتبعده قليلا، مما يقطع الطريق على الأقل ـ على من يتصوّر ـ "Fly" أصلا لـ "فرّ".

4 ـ "Labialisées" من "Labial" (شفوي) و هو ما يحصل لبعض الصوامت حين يتغير وضع الشفتين في آخر النطق مع الصائت المرافق له، فيميل مخرجه في نهاية الصوت إلى الشفتين. يراجع: G. Mounin: Dictionnaire de la languistique, p. 194. -

5- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 113.

"poupon" (طفل منفوخ الخدين).[1] فمن غيرُ "بيار غيرو"(P. Guiraud)" يمكن أن يتصوّر أنّ هذه الكلمات من تلك الوحدات الأولية المحاكاتية الصادرة من ملاحظة حركة الخدين و الشفتين عند النّفخ؟ و تطور شكل الكلمات يوهم بأن لا صلة لتلك بهذه.

و مما يؤكّد ما ذهب إليه "غيرو" (Guiraud) أنّ المعجمات الفرنسية عرّفت كلمة "Poupard" بأنّها: "يقال عن طفل صغير سمين و منفوخ الخدين و كذلك عن شخص كبير."[2] و القرب واضح من "poupon " الذي اكتفي في تعريفه بأنّه "رضيع"[3] أو طفل صغير، و المستعملون لهذه الكلمة اليوم لا يربطون بينها و بين الخدين المنفوخين، إنّما صار مضمونها الدّلالي مرتبطا بالطفولة عامة، مما أدّى إلى اشتقاق "Pouponnière" (دار الحضانة).

و لعل تكون صيغة فعل "نفخ" في العربية قريبة من هذا التأثيل، من خلال حرف الفاء الذي يمكن ـ بشيء من التخيّل الذي يحتاج إلى تحقيق علمي ـ اعتباره الصوت الأصلي الأول للفعل.

5 ـ البنى المتجانسة (Paronymique):

و يقصد بها "غيرو" (Guiraud) تكوين كلمة ذات خصائص صرفية و نحوية محدّدة من كلمة ذات خصائص صرفية و نحوية مختلفة عنها.[4] و قد كان تركيزه على نوعين من التفاعل بين الكلمة الأصل المعتبرة "أثلة"، و الكلمة المكونة منها، و هما:

1 ـ الاشتقاق شبه الإلحاقي (La Dérivation Pseudo-Suffixale):

و هو ضرب من التوليد اللغوي، اهتمّ به بيار غيرو"(P. Guiraud)" من حيث إنشاء فعل لم يكن موجودا من اسم مستعمل، بإلحاق مقطع بآخره، دون أن يكون هذا المقطع من اللواحق المصنَّفة و المعروفة في اللغة الفرنسية مثل: "age"، و "ement"، و "ation"،

---

1 ـ اعتمد "غيرو" (Guiraud) في هذه الكلمات على العامية الفرنسية، و الدليل على ذلك أنه وجود لها ضمن معظم المعجمات الفرنسية العامة، و قد صرّح "غيرو" (Guiraud) باعتماد العامية في أكثر من موضع، و مثله فعل كثيرون.

2- LAROUSSE (Nouveau Petit), Dictionnaire de la langue française, p. 809.

3- Ibid, p.

4- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 128.

و "ance"، و "erie". و التي تختص كل منها بمعان تضيفها إلى الكلمة التي ألحقت بها.[1] لذا استعمل "غيرو" (Guiraud) مصطلح "Pseudo Suffixes" المركبة من "Pseudo": الذي يعني عموما غير حقيقي، و "Suffixes": (لاحقة).

و من أمثلة الاشتقاق شبه إلحاقي (Dérivation Pseudo-Suffixale) "Louper" الذي يعني أساء التنفيذ، أو ضيّع شيئا بسبب التأخّر، و الذي أرجعه تأثيله الشائع في المعاجم الفرنسية إلى "Loup" (الذئب). غير أنّ "غيرو" (Guiraud)، يفاجئ مرة أخرى من خلال إرجاعه إلى "Loupe"[2] التي معناها القديم الأصلي الموضع غير المستقيم في الخشب، الذي يُعتبر عيبا يعوق عمل النّجّار، و قد يشوّه منظر اللوحة، و هي المسمّاة في العربية "الأُبْنة" و المضمون الدلالي بين "Louper" و "Loupe" (حسب المعنى المقصود ههنا) متسق، إذ يفضي إلى شيء مشين. و مما يدعمه عند العرب أنهم كانوا يقولون: "ليس في خشب فلان أُبْنة"، أي ليس فيه وصمة.[3]

و قد يستغرب القارئ من ضم "غيرو" (Guiraud) هذا التوليد اللغوي إلى التأثيلية، بينما يظهر أنّه اشتقاق يحصل كلما دعت إليه الحاجة، دون أن يرجع إلى عهد قديم من تاريخ اللسان. و سبب هذا الاستغراب ربط الناس عادة التأثيلية بما مضى في غابر الزمان، و هذا صحيح في كثير من الأحيان، غير أنّ الأهمّ في الدراسة التأثيلية تتبع الكلمة إلى أوّل صيغة أدخلتها إلى حقل معجمي لم تكن تنتمي إليه، سواء أ كان هذا الحقل دلاليا، أم شكليا. و في مثل الحال التي تُعالج في هذا الجزء، فإن الاسم يُعتبر الصورة التي جاء منها الفعل، قبل تكوّنه، و أول ظهور له ضمن أفعال اللسان الموجود، و بالتالي فذاك الاسم هو أثلةُ (étymon) هذا الفعل. و مما يعين على دفع هذا الاستغراب أن "بيار غيرو" فرنسي اللسان، و هو يسعى إلى دعم حيوية لغته بما يضمن لها البقاء، و الاستجابة إلى حاجة أبنائها. و قد لاحظ ـ بحسب ما اعترف به ـ أن "الاشتقاق الخالص ذو عطاء ضعيف في اللسان الفرنسي [...] فالفرنسية تكوّن أفعالا بالإلحاق (Suffixation)، أو بالإسباق

1- Voir : - Guiraud, Pierre: L'ancien Français "Collection: Que sais-je?, N: 1056, pp. 28-30.

2- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 130.

3 ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج ، ص.

(Préfixation)، أو الاستعانة بـ: "فَعَلَ" (Faire)."[1]

و اشتقاق الفعل من الاسم أمرٌ دأبت عليه كثير من الألسن، و له في العربية ضروب مثل: "تفرعن من فرعون". و يمكن القول ببساطة، تطبيقا لنظرية "غيرو" (Guiraud)، إنّ اسم "فرعون"، أثلةٌ (étymon) فعل "تفرعن".

و حتى لا يَترك الباب مفتوحا على مصراعيه في هذا الشأن، أنهى "غيرو" دراسته بمعادلة تبين أنّ توليد الكلمات على النحو الشبه إلحاقي إنّما يتعلّق بعناصر تعمل على حدوثه، و هي شكل اللاحقة (أو ما يشبهها)[2]، و الدلالة التي كلما كانت دقيقة قلّت الحاجة إلى اللاحقة، و "الحاجة (المنطقية أو الأسلوبية) التي هي نفسها تتغير بحسب الزمان، و المحيط."[3]

و المعادلة ـ برموز مترجمة إلى العربية ـ هي: ت = (ل + د) ح، (حيث؛ "ت": توليد لغوي، و "ل": لاحقة ،و "ح": الحاجة.) و أصلها الفرنسي: C = (F + S) B [4]
(حيث: C:(Création),F:(Suffixe), S:(Sens), B:(Besoin)).

ـ أما النوع الثاني، و هو كما سماه "غيرو" (Guiraud) المجازات الأسمائية (Métonymies Onomastiques):

و قد أخذ ههنا "غيرو" (Guiraud) فحوى المجاز المرسل، الذي يسيغ تسمية شيء بشيء آخر له به علاقة، كيفما كان نوع هذه العلاقة، و حاول تمحيضه للعمل المعجمي، من خلال دراسة ظاهرة تسمية الأشياء و الحيوانات من اسم للإنسان أو المكان، و قد يحدث العكس أيضا.[5] و حتى لا يقع البحث في التكرار، أو الإطالة غير المرتبطة ارتباطا وثيقا بموضوعه الأساس، فإنه يكتفي ههنا بالإشارة إلى هذا النوع استكمالا لجوانب البنى التأثيلية كما يقتضيه المنهج، أمّا فحواه فلا يضيف شيئا إلى إشكالية المقاربة البنيوية

1- Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, p. 136.

2- Ibid, p. 143.

3- Ibid, p. 144.

4- Ibid, p. 144.

5- Voir: - Ibid, pp. 144-166

للتأثيلية التي تظلّ أفقا مفتوحا يتطلّب المزيد من الاهتمام و الدراسة، لا يتسع له فضاء البحث الذي يعالج في هذا الجزء: المنظور اللغوي أو اللسانياتي العامّ للتأثيلية و الذي ينبغي أن يُشفع بمقاربة الحقل المعجماتي (Lexicographique) الذي هو خلاصة المباحث المعجمية (Lexicologique) التأصيلية و التطوّرية.

2 ـ التأثيلية معجماتيا:

2 ـ 1 ـ أهمية المعجم التأثيلي :

و هكذا يخلص البحث، في آخر مباحث فصله الأول، إلى المصنف الذي يجسد نتائج الدراسات التي استفرغ فيها اللسانياتيون عامة ، والمعجميون خاصة جهودهم، فهو الذي يجمع شتاتها ، ويمحضها لحقل واحد بعد أن تنازعتها توجهات شتى: صوتية، و صرفية، و نحوية، و مقارنة. فالمعجم التأثيلي هو الذي ينتخل نتائجها، و ينظمها، ويستحيلها إلى تعريفات معجامتية، ذات تقنيات واضحة مضبوطة ضمن حدوده الضيقة التي لا يمكن داخلها " مناقشة التأثيلات،أو تقديم تاريخ الكلمات الذي لا يمكن سوى إجمال سوى ما تعلق منه بالألفاظ ذات التطور المتميز"[1]

و من العلوم التي هي أجدر أن تفرز معجما تأثيليا: اللسانيات التاريخية، و المقارنة، حتى إن "حلمي خليل" جعل فكرة تأليفه "محصّلة للدراسات اللغوية التاريخية المقارنة التي بدأت في أوربا مع نهاية القرن الثامن عشر، و طوال القرن التاسع عشر، و [التي] ما زالت مستمرة حتى اليوم."[2] و هذا ما صرح به مؤلفو المعجم التأثيلي الفرنسي في مقدمة مصنفهم[3].

و من الطبيعي أن تتسع المقاربات التاريخية والمقارنة للبعد الجغرافي الذي يفرضه تتبع التعدد الدلالي داخل اللسان الواحد من خلال محاولة ارتسام أطلس لغوي يبين أثر اللهجات الجهوية أو المحلية في التعريف بالواقع المعجمي (lexique) ضمن حقبة محددة. و هو مايجعل المعجم التأثيلي معجما تاريخيا و جغرافيا معا. ومن الطبيعي أن تمتدّ الدراسة المقارنة إلى ألسنة مختلفة عند إرادة "مقارنة الكلمة بمقابلها في اللغات القريبة [...] أو في اللغات التي يمكن أن تكون الكلمة قد انتقلت منها أو عبرها، [وفي هذه الحال

---

1 – Dauzat Albert : Dictionnaire étymologique, LAROUSSE Paris VI(France) 11éme tirage, 19…

Introduction p III, IV

2 – حلمي خليل :المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي : وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس (14- 17 نوفمبر 1989) – بيت الحكمة قرطاج (تونس) 1991 ص : 298- 299 .

3 – Jean Dubois- Henri Mitterrand-Albert Dauzat : DICTIONNAIRE ETYMOLOGIQUE. Larousse Paris (France) 2001. (p III de l'introduction)

فإن المعجم التأثيلي] يكتسب بالإضافة إلى البعد الجغرافي بعدا موسوعيا لأنه يعادل حينئذ الموسوعة اللغوية."[1]

و بهذا يكون المعجم التأثيلي ذا نفع جليل لا ينقصه شيء مما يستهوي مستعملي المعجمات العامة، فهدفه "تفسير خطاب (Vocabulaire) اللسان."[2] إذ في مداخله تعريفات بمعاني الألفاظ، وأخرى تتعلق بنشأتها، و تطورها، مما يجعل المعجم التأثيلي "هو المعجم العام الاستيعابي الذي يُؤرَّخ فيه لولادة اللفظ وتطوره الدلالي بحسب العصور".[3] فمهمة واضع مثل هذا المعجم صعبة و عمله شاق، إذ عليه أن يجمع ما تراكم من تأثيلات، و متابعات تطورية و مقارنات لغوية، و تحديدات جغرافية، و اجتماعية، و مهنية، و علمية، كل ذلك عبر قرون متعاقبة، خاصة إن تعلقَ الأمر بلغة كالعربية التي هي من "أطول اللغات الإنسانية عمرا تقلبت فيها * بين ظروف شتى: تاريخية و جغرافية و حضارية و دينية و علمية و أدبية وغيرها. و كل ذلك يلقي على من تصدى لمثل هذا العمل مهام لا ينهض بها إلا أولو العزم من العلماء الباحثين".[4] الذين عليهم أن يجعلوا من دراسات مستفيضة ذات وجهات كثيرة تعريفات ذات تقنيات مضبوطة يرجع إليها الناس ليأخذوا معلومات كافية عن نشأة الكلمات، و مدلولها، و تطورها، من دون أن يفرض عليهم ذلك أن يكونوا محيطين بتاريخ اللغات وتكوين مفرداتها، و لعل هذا ما جعل "ألان راي" (A.Rey)يقول في مقدمة معجمه التاريخي الفرنسي: "إن محاولة تقديم تاريخ كلمات لغة متحدث بها منذ ألفية في مؤلف سهل المنال ضرب من الجنون. لكنه أمر ضروري"[5].

1- البكوش الطيب :بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، مجلة المعجمية، ع 5 – 6، .ص.401

2- A.MEILLET : Dictionnaire Etymologique de la langue française p : VII

3- إبراهيم بن مراد : مسائل في المعجم :دار الغرب الإسلامي بيروت (لبنان) الطبعة الأولى 1997.ص 209.

* هكذا جاءت في النص المقتبس، ولعل الصواب: "تقلبت فيه" رجوعا إلى العمر و هو مذكر.

4- حلمي خليل : المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي.وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس (14-17 نوفمبر 1989) . ص. 311.

5- Dictionnaire historique de la langue française. Le ROBERT-SEJER Paris(France), 2éme édition 1998.Tome 1, P, VII.

2 - 2 - بين المعجم التأثيلي والمعجم التاريخي:

لا يمكن الخوض في معالجة الجوانب المعجماتية* للتأثيلية دون طرح إشكال يتعلق بالتباس المعجم التأثيلي بالمعجم التاريخي. ذلك أن الباحث يلفي بعض الدارسين يَميزون بين هذين المعجمين، و يعتبرونهما نوعين مختلفين من التأليف،[1] على الرغم من انتمائهما إلى مقاربة لسانياتية واحدة ، و هي التطورية (أو التعاقبية)(Diachronique) كما أسسها" دي سوسير" (De Saussure) والتي تفضي إلى تمايز نوعين من المعجمات : المعجمات الآنية الوصفية (dictionnaires Synchroniques)، و المعجمات التطورية التاريخية (dictionnaires diachroniques)[2] . ذلك أن المعجم - كما سبق بيانه- إنما هو حصيلة الدراسات اللسانياتية عامة، والمعجمية خاصة.

ولم يستطع المفرّقون بين المعجم التأثيلي والمعجم التاريخي تقديم تمييز جوهري بينهما. فما كان من أحدهم إلا أن قال: "و أما المعاجم التاصيلية (Etymolgical) فهي معاجم تهتم أولا و قبل كل شيء بأصل (Origin) الكلمات[...] و بصورة عامة فإن المعاجم التأصيلية قد تتعامل أحيانا مع ما قبل تاريخ الكلمات"[3]، فما المقصود بتعامل المعجم التأثيلي مع ما قبل تاريخ؟ إن الحديث عن الكلمة اعتراف بوجود تاريخها سواء أ عرفه الباحثون أم جهلوه. و إن كان حلمي خليل يقصد مرحلة ما قبل تكون الكلمة المستعملة آنيا، فلا يخفى أن تتبع أطوارها المتعاقبة لا يستغني عن المقاربة التاريخية، فالمعجمات التاريخية و التأثيلية الفرنسية - مثلا - قد اشتركت في تسجيل مراحل تطور كلمات اللسان المعاصر بالصورة نفسها في الحقبة اليونانية، و اللاتينية، و الوسيطة، و الآنية. و كل ذلك من تاريخ الكلمة قطعا، و ربما قصد الباحث بقوله: "ما قبل تاريخ

---

* يقصد بالمعجماتية الاهتمام بإنجاز مشاريع صناعة المعجمات، وتطويرها من حيث مناهجها، وجمع مصادرها، وضبط تقنياتها في التعريف، وتنظيم مداخلها. و هو مصطلح مقترح لمقابلة الكلمة الفرنسية "Lexicographie".

1- يراجع: - حلمي خليل ، المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي ، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس (14-17 نوفمبر 1989)، ص 300 .

و - حلام، الجيلالي : تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه، ص 326-329.

2- يراجع : حلمي خليل : المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي ، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس (14-17 نوفمبر 1989)، ص. 301..

3- المرجع نفسه ص. 303.

الكلمات"، ما لا يعرف أصلها و التي قد تكون وجدت قبل مرحلة الكتابة، و هي التي جعلها حلمي خليل "تدخل في دائرة إهتمام المعاجم التأصيلية"[1]، و هذا زعم ينسف جهود التأثيلية من جذورها، و لا يُبقي لها من فائدة ما دام مجالها مقتصرا على الكلمات التي لا يُعرَف أصلها من شدة توغلها في القدم! و لعلّ في قول صاحب هذا الرأي: "ولكن تأصيل الكلمات المستعملة أو الأكثر حداثة يدخل أيضا في دائرة هذا النوع من المعاحم"[2] استدراكا يشير إلى عدم وضوح الفرق بين التاريخي و التأثيلي من المعجمات عند أحد أبرز من فرّق بينهما من الباحثين العرب .

و ممن أراد تأكيد ما ذهب إليه حلمي خليل الباحثُ الجزائري حلام الجيلالي الذي أقام معادلتين تبينان - في نظره ـ ما يتميز به المعجم التأثيلي عن المعجم التاريخي، و المعادلتان هما: معجم تأثيلـي = أصل + بنية + دلالة ± تاريخ

معجم تاريخي = دلالـة + تاريخ + بنية ± أصل [3]

و أوّل ما يلفت الانتباه في هاتين المعادلتين اشتراكهما في العناصر نفسها التي تشكل محتوياتهما وهي : أصل الكلمة، و بنيتها، و دلالتها، و تاريخها، مع فارق واحد هو إقلال المعجم التاريخي ـ حسب الباحث ـ من الاهتمام بأصل الكلمة في مقابل إقلال المعجم التأثيلي من تتبع تاريخها، و هو ما عبر عنه رياضيا برمز "±" الذي يدل على احتمال وجود الشيء و زيادته، و عدم وجوده و تناقصه. و لم يرد ما يُبرز نسبة كل منهما في المعجمين التاريخي و التأثيلي. و لما كانت الخزانة العربية صفرا منهما معا، فلا مناص من مراجعة المعجمات الأجنبية؛ فمعجم أكسفورد الإنغليزي (Oxford English Dictionary)، و هو أول و أشهر معجم تاريخي في أوربا دأب على جعل تأصيل الكلمة أحد دعائم تقنيات تعريفاته[4]. أما المعجم التاريخي الفرنسي لـ "ألان راي" فلا يكاد يخلو

1- حلمي خليل:المرجع السابق(أو يكتب العنوان): ص 303.

2- المرجع نفسه، ص303.

3- حلام، الجيلالي : تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة- رسالة دكتوراه- ص 329.

1- يراجع: ـ حسين نصار:المعجم العربي: نشأته وتطوره، مكتبة مصر، القاهرة، ط 4، 1988، ج 2/ ص ص. 616-617.

و - Timoty Benbow : The computerization of the oxford english dictionary، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية بتونس (14-17 نوفمبر 1989) ص : 354-355.

ـ فيما أمكن تتبعه ـ من تأثيل في كل مداخله [1]. و أما المعجمات التأثيلية الفرنسية، فلا تُعدِم تأريخا لدلالات المفردات المؤثلة، وارتساما لمراحل تطورها.[2] ولا يكاد يختلف هذان النوعان من المعجمات إلا من حيث شدة التركيز على الجانب التاريخي أو التأصيلي، و هو ما تنبه إليه صاحب المعادلتين نفسه حين قال: "و على الرغم من التداخل الموجود بين الصنفين، يمكننا التمييز بينهما، و ذلك من حيث إنّ الأول يؤكد على أصل الكلمة و بنيتها و دلالتها بالدرجة الأولى، في حين يؤكد الثاني على دلالة الكلمة وتاريخها."[3] فالتباين ـ إذن- في تبديء كل من أصل الكلمة أو تاريخها، و التأكيد على أحدهما. فهل يكفي هذا التمايز الذي لا يكاد يَبين للفصل بين نوعين من المعجمات و جعل كل منهما صنفا غير الآخر؟

ومما يجسد عدم وضوح ما يميز المعجم التاريخي من التأثيلي ملابسة أحدهما الثاني من خلال الجوانب الآتية :

أ- مشابهة تعريف المعجم التأثيلي لتعريف المعجم التاريخي عند أكثر الباحثين تفريقا بينهما، فقد ورد في كتاب: المعجم العربي: نشأته و تطوره قول مؤلفه:" و يدرس المعجم التاريخي نشأة المواد، [...] و اختلاف اللغات و اللهجات فيها و ما يتصل بذلك، و يرتب ترتيبا تاريخيا بحسب ظهور الصيغ"[4]، ثم يقول عن المعجم التأثيلي: "نوع من المعاجم الوسيطة قد نسميه "الأصولي "و هو ما يسمى في الإنجليزية Etymological Dictionay، و يُعنى خاصة بأصول الكلمات سواء أ كانت دخيلة أم أصيلة، و صورها [أي أبنيتها]، ومعانيها [دلالتها]الأولى، و مرادفتها في اللغة التي أُخِذت منها، أو شقيقاتها إذا كانت دخيلة أو مرادفاتها في العائلة اللغوية التي تكون لغتها أحد أفرادها إذا كانت أصيلة و قد تعنى بتاريخها بعد ذلك."[5]

---

1 – Voir: Dictionnaire historique de la langue française.

2 - Voir:- Dictionnaire etymologique : jean dubois – H.miterrand –A.Dauzat

et -Dictionnaire etymologique de la langue française :O.Bloch-W.v-Watburg

3- حلام الجيلالي: تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة- رسالة دكتوراه- ص. 329.

4- حسين نصار: المعجم العربي: نشأته وتطوره.ج2/ ص 613.

5- المرجع نفسه ج2/ ص. 623.

ب- اشتراك المعجمين في عناصر مكونات كل منهما، على غرار ما ارتسمه حلام الجيلالي بعد أن استقرأ عددا من الباحثين[1]، الظاهر في قوله: "و يتضح من هذه المعطيات، أن المعلومات التي يمكن أن يوفرها المعجم اللغوي في المجال التأثيلي ترتكز حول الأصل الأول الذي انحدرت عنه الكلمة[...]، و الشكل الذي جاءت عليه كتابة و نطقا، ثم الدلالات، و طبيعة التطورات التي رافقتها".[2] أما عن محتويات المعجم التاريخي فقد قال: "و يشمل التحليل التاريخي عادة:

1- تحديد أوّل دلالة ظهرت بها الكلمة، وضعا أو توليدا.

2- الإشارة إلى طبيعة التغيير الذي طرأ على الكلمة .

3- تتبع المجالات التي استعمل فيها اللفظ.

4- تسجيل تاريخ ظهور اللفظ إذا كان أثيلا، و تاريخ دخوله المعجم إذا كان مقترضا".[3]

وكلا المعجمين اهتم بنشأة الكلمة، و بنيتها، و دلالتها، و تطورها، و ما التفارق اليسير في درجة أهمية بعض المحتويات بالذي يفصل كل منهما عن الآخر، و يجعل منهما مصنفين مستقلين معالجة و منهجا.

ج- الارتباك في تحديد تسمية أحد المعجمين، من مثل التردد في قول عبد الله العلايلي: "المعجم التاريخي أو النشوئي، يبحث في نشوء المادة"[4]، والمقصود بالنشوئي ههنا التأثلي، و هو شاهد آخر على اضطراب أمر المصطلح عند اللغويين العرب في اختيارهم لما يقابل لفظي (Etymologie) أو(Etymology) الأجنبيين. أ لا يدعو هذا الارتباك في كذلك، صار المعجم التاريخي ـ حسب هذا الزعم ـ معتمدا على التأثيل و التأريخ، و لا التسمية إلى التطلع إلى إطلاق لفظ واحد شامل لما يحتويه المعجمان التاريخي و التأثيلي؟

1- من هؤلاء الباحثين: الطيب البكوش، وحلمي خليل. يراجع: حلام الجيلالي: تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة: ص ص. 328- 330.

2- المرجع نفسه، ص 328.

3- المرجع نفسه، ص. 342.

4 – يراجع: ـ نصار: حسين: المعجم العربي، نشأته وتطوره.ج2/ص 612.

و ـ علي توفيق الحمد: ، المعجم التاريخي العربي، مفهومه-وظيفته- محتواه- وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس (14-17 نوفمبر1989) ص 103.

و ـ حلمي خليل ، المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي ص 304

د ـ ذهاب بعض الباحثين إلى اعتبار البعد التأثيلي، و البعد التطوري محورين يرتكز عليهما المعجم التاريخي.[1] و هل المحور التطوري إلا تاريخ الكلمات؟ و إذا كان الأمر كذلك، صار المعجم التاريخي ـ حسب هذا الزعم ـ معتمدا على التأثيل و التاريخ، و لا يخفى ما يحمله هذا الطرح من تكرار سمج، فالتاريخ نوع المعجم و عنوانه، و هو أحد محاوره معا.

هـ ـ التصريح في أحيان كثيرة بإمكانية اجتماع التوجهين التأثيلي و التاريخي في معجم واحد كما هو الحال بالنسبة إلى حسين نصار- أحد أقطاب الدراسة المعجمية في العصر الحديث- حين قال بعد تحديده مفهوم المعجمات التأثيلية إنها مصنفات "لا تعنى بتتبعه أي [تاريخ الكلمات] في جميع العصور حتى اليوم إلا إذا كان لها الوجهتان الأصولية و التاريخية"[2]. و إنه لحق أن المعجم التأثيلي يعنى بالتأصيل و التاريخ كليهما.

ـ تداخل المفاهيم والإجراءات في المعجمين التأثيلي والتاريخي :

لا يخفى على باحث تعالقُ العلوم اللغوية كافة بعضها مع بعض، و ما إخراج اللسانيات الحديثة تخصصاتها تترى إلا ضربا من التصنيف رغبة في التركيز على أصغر الوحدات وأدقها من جوانب اللسان المتعددة.

و إذا كان الباحثون المعاصرون يرون أن "دي سوسير"(De Saussure) قد حدّ حدودا تفصل الدراسة الوصفية للغة عن الدراسة التاريخية التطورية لا ينبغي تعدّيها، فحقيقة معالجة قضايا اللسان تأبى على القائم بها إلا الإفادة من المنهجين. بل إن" دي سوسير" (De Saussure) نفسه لم يستطع إخفاء صعوبة التمييز بين المقاربتين في كل مجالات البحث، و هو ما حمله على إيثار استخدام عبارة "الحال اللغوية" على"لغة عصر ما" ـ مثلا- في الدراسة الآنية الوصفية (Synchronique)، مخافة أن تهيمن النظرة التاريخية التعاقبية على الدارس بما توحيه إليه كلمة "عصر".[3] و هل تخلو مفرد "حال"

1- يراجع: عبد المنعم عبد الله محمد: المعجم العربي التاريخي ، مفهومه-وظيفته- محتواه-، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربي بتونس(14-17 نوفمبر1989)، ص 163.

2- حسين نصار، المرجع نفسه ج2 ص 623.

3- يراجع: دي سوسير (DeSaussure): علم اللغة العام، ص ص. 120 – 121.

من الإيحاء بالتغير، و التعلق بهيئة لها سابقة و أخرى لاحقة؟ بل إنّ أبا اللسانيات الحديثة لم يستبعد اجتماع الدراسة الآنية والتعاقبية في تناول لغتين مختلفتين قائمتين في فترة واحدة، إذا كانت إحداهما تتطور ضمن الفترة نفسها، و الأخرى ثابتة.[1] أما عند تأسيس التعاقبية (Diachronie)، فكان التصريح بتداخل الاتجاهين واضحا حين قال دي سوسير: "فكيف يمكن أن نحافظ على التمييز المطلق بين الدايكروني و السنكروني؟"[2] وأصعب ما يكون الأمر إذا خرج البحث عن نطاق الصوتيات. فإذا كان هذا حاصلا من مؤسس فكرة الفصل بين مستويين للدراسة: مستوى الدراسة الآنية و مستوى الدراسة التعاقبية التاريخية في اللسانيات مطلقا، فما شأن غيره إلا أن "يظل المفهومان السابقان [عنده] نسبيين [- على الأقل-] و قابلين للتداخل في الدرس المعجمي"[3] الذي تخضع اللغة فيه أكثر مما سواه إلى الانصهار في بوتقة الثبات و التغير معا.

هذا، و إن للسان العربي من التميز ما يجعله أجدر أن لا يقبل الفصل الصارم بين الوصفية و التطورية لطول زمن الفترة اللغوية الواحدة، و اتساع رقعتها، كما هو الحال بالنسبة إلى الفترة التي حددها القدماء لعصر الفصاحة التي بلغت أربعة قرون في البوادي في مساحة تكاد تشمل شبه الجزيرة العربية كلها، مما جعل "المعاجم الوصفية - رغم التزامها بزمان معين، و مكان محدد ومستوى لغوي خاص- تحمل في أحشائها بذور التاريخية بصورة أو بأخرى."[4] و المعجم أكثر المؤلفات حاجة إلى ضم توجهات شتى بعضها إلى بعض ليقدم تعريفا متكاملا ضمن مداخله. و "معنى هذا أن هناك نوعا من التداخل أيضا بين المعاجم التاريخية و التأصيلية كما كان هناك درجة من التداخل بين المعاجم الوصفية و التاريخية"[5] فليس عجبا أن يَعتبِر مؤلفا المعجم التأثيلي الفرنسي (Bloch) و (Wartburg) التأثيلية كامنة في تاريخ الكلمات،[6] و يعلن مؤلفو المعجم

1- يراجع: المرجع السابق، ص. 120.

2- دي سوسير (DeSaussure) ، علم اللغة العام، ص 164 .

3- حلام، الجيلالي: تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، ص. 326 .

4- حلمي خليل: المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي. ص. 302.

5- المرجع نفسه، ص. 303.

6 - يراجع: Bloch - Wartburg, Dictionnaire Etymologique de la langue française, p . **XX.**

التأثيلي الفرنسي الآخر في مقدمتهم: "معجمنا [...] إذن معجم تاريخي أيضا"[1].

و بعد هذا الطرح الوجيز لإشكالية العلاقة بين المعجم التاريخي و التأثيلي، يمكن القول إن التأثيلية و التاريخية في الحقل المعجماتي تكادان تكونان شيئا واحدا، أو هما وجهان لشيء واحد. غير أن الاستعمال السائد في الدراسات اللغوية الحديثة عند العرب هو المعجم التاريخي، و لا يأتي ذكر المعجم التأثيلي إلا نادرًا، و بأسماء أخرى كالأصولي، أو النشوئي، أو التأصيلي. و لعل هؤلاء اللغويين (أو المعجميين) تأثروا بمعجم أكسفورد الإنغليزي التاريخي، و المعجم العربي التاريخي الذي دعا إلى تأليفه، و باشر عملية إنجازه المستشرق الألماني " فيشر" عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.[2]

و مما سبق في المبحث الأوّل من هذا الفصل يمكن ترجيح تسمية كل معجم يهتم بتأصيل الكلمة و تتبع مسار تطورها تأثيليا، لما للفظ التأثيل في العربية من زخم دلالي يجمع بين الرجوع إلى الأصل الأصيل، و تنمية المادة المؤثلة و إغنائها، و هو ما يشير إلى التطور و السعي نحو الأحسن و الأجود. و لولا أن الفرنسيين قصروا معنى اللفظ الأعجمي « Etymologie » في أغلب الأحيان على إيجاد أثول (Les étymons) الكلمات، أو اللغة التي انحدرت منها، لما اضطروا إلى تسمية المعجمات التي تتبع المسار التطوري لدلالة المفردات بالمعجمات التاريخية، فما استطاعوا - إذن- التخلص مما ورثوه عن الإغريق من مفاهيم للتأثيلية. أمّا الباحثون العرب فكان أجدربهم أن يفيدوا من قلة تداول لفظ التأثيل في لسانهم، و يستثمروا جوانبه الدلالية المتعددة ليمحضوه للمصنَّف الذي يجمع بين التأصيل و التأريخ للغتهم، فهو الذي يبيّن أصل الكلمة، "و يرصد تطوراتها لفظا ومعنى، و [يتتبّع] العوامل المؤدية إليها، أي أنه بإجمال، يعد لكل كلمة ترجمة وافية وسجلا واعيا كأنه يترجم لأحد الأعلام البارزين".[3]

---

1 - Dictionnaire etymologique : J. Dubois – H.Miterrand –A.Dauzat

2 - يراجع محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ص 97-98.

3- عبد المنعم عبد الله محمد، المعجم العربي التاريخي : مفهومه- وظيفته- محتواه ، ص.182.

2 - 3 - نشأة المعجم التاريخي (أو التأثيلي) :

لقد أبقى البحث على استعمال "المعجم التاريخي"على الرغم من الاقتناع بأن وسمه بالتأثيلي أولى، و ذلك لما درج في دراسات اللغويين المعاصرين من استخدام آثر التسمية الأولى على الثانية. غير أن الأهمّ الذي يجب التنبيه إليه أن كلّ ما يتناوله البحث من قضايا تتعلق بصناعة مؤلَّف يؤصّل الكلمات و يؤرّخ لها، إنما يتوجه بها نحو المعجم التأثيلي الذي يرنو إلى أن تحظى المعجماتية (Lexicographie) العربية بإنجازه، فيسدّ الفراغ الذي يشين المكتبة العلمية لأقدم لسان حيّ معاصر.

و لمّا كان السبق في صناعة المعجمَين التاريخي و التأثيلي للغربيين، غدا طبيعيا البدء بالإشارة إلى نشأتهما في أوربا بحسب ما يتيحه هذا المبحث من الفصل الأول.

وممّا ينبغي التنبه إليه أن فكرة تأسس المعجم التاريخي "لم تكن إلا محصلة للدراسات اللغوية التاريخية المقارنة التي بدأت في أوربا مع نهاية القرن الثامن عشر، و طوال القرن التاسع عشر"[1]، و من أجل ذلك كانت البحوث التأثيلية ضرورية لإمداد المعجماتية (lexicographie) بما تحتاج إليه لسدّ أيّ فراغ في مصنفاتها ، و ما المعجم في حقيقته إلا ثمرة جهود نظرية، و دراسات معجمية (lexicologiques) .

فمِن وراء أعمال لغوية متعددة، كان التفكير في إنشاء أول معجم تاريخي في إنغلترا، بعد أن« أدخل "ريتشاردسون"(Richardson) مفهوم المعجماتية [la lexicographie] التاريخية في معجم انغليزي لأول مرة في بداية القرن التاسع عشر . »[2]

أمّا اقتراح نشر أول معجم قائم على أسس تاريخية في أوربا، فقد جاء من جمعية لندن الفقه لغوية (la société philologique) عام 1857 لتي هيأت للشروع الفعلي في إنجازه حين عُيّن "جيمس موراي" (James Murray) محرّرا وتكفلت دار المطبوعات الجامعية لأكسفورد (Oxford) بنشره موسوما أول الأمر بالمعجم الإنغليزي الجديد

1- حلمي خليل، المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي. ص ص. 298- 299.

2- Timothy BENBOW : La lexicographie historique et l'oxford English Dictionary,
وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس(4-17 نوفمبر1989). ص. 29.

(New English Dictionary)،[1] وكثيرا ما يرمز له في الكتابات الأجنبية اختصارا بـ (O.E.D).

ولبث هذا المعجم بين أيدي صانعيه خمسين عاما، فلم يتمّ نشره إلا سنة 1928، و كان عدد صفحاته خمسة عشر ألفا، تعززت فيما بعد بملحقات على فترات متباعدة كالملحق الذي أصدرته المطبوعات الجامعية بأكسفورد سنة 1933، و الملحق الذي أعدّه "روبار بيرونفيلد" (R. Burenfield) و نُشر سنة 1987 الذي أضاف إلى المعجم حوالي ستة آلاف صفحة استغرق إنجازها ثلاثين عاما.[2]

وفي سنة 1984 قام مشروع تحضير صيغة إعلامية لمعجم اكسفورد انبثقت منها طبعته الثانية في مارس 1989 .[3]

وقد تلخص منهج معجم اكسفورد في النقاط الآتية :

- كتابة مادة الكلمة وضبط هجائها مع تأصيلها،
- كيفية نطقها وما حدث لها من تبدّل صوتي في مسيرة تطورها،
- إعرابها،
- تحديد مجال استعمالها الحديث: إن كانت أدبية أم تخاطبيه، أم عامية، أم خاصة بلهجة أو تخصص،
- مشتقاتها،
- دلالاتها المختلفة الاصطلاحية، واللغوية مع تتبع تطور المعاني،
- الشواهد التي تضمنتها مع بيان المعني الذي تحمله في كل شاهد مرقم مع قائله و تاريخه. [4]

وقد بلغ عدد الشواهد التي ُجمعت لمعجم اكسفورد حوالي" خمسة ملايين اقتباس، [...]

1- Voir : T. BENBOW : la lexicographie historique et l’Oxford English Dictionary.

وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس(4-17 نوفمبر1989) ص.29.

2- المرجع نفسه ص 29.

3- المرجع نفسه ص 29.

4- يراجع: نصار، حسين: المعجم العربي : نشأته وتطوره، ج 2، ص ص. 616-617.

ضُمِّن [منها] فعليا ما يقرب من مليونين"[1]

أما في فرنسا فقد سجل حلمي خليل أن من أوائل المعاجم التأثيلية و"أشهرها: المعجم التأصيلي التاريخي للغة اللآتينية الذي وضعه عالم اللغة الفرنسي انطوان ميي [A.Meillet] عام 1939 [2] ومن أقدم المعجمات التأثيلية الفرنسية التي وقف عليها البحث : المعجم التأثيلي "لألبار دوزا"(A.DAUZAT) المطبوع سنة [3]

والملاحظ في هذه المعجمات كلها أنها "بدأت أولا تأصيلية ثم انتهت إلى أن أصبحت معاجم تاريخية تهتم بتطور المبنى والمعنى[4] ولعل هذا ما يبرر تأخرالمعجم التاريخي بالنسبة إلى التأثيلي في فرنسا، في حدود ما تمكن البحث من الوقوف عليه .

أما في العالم العربي فلقد جاءت الدعوة إلى وضع أول معجم تاريخي للغة الضاد من عالم ألماني مستشرق، كان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو"أوغست فيشر" (August Fischer)(1865-1949)الذي استوحى الفكرة من مستشرق آخر هو تربكه(Thorbecke) أستاذه[5]، وتبلورت لديه من خلال دراساته اللغوية التي استهوته وشغلت فكره.

ولقد عرض "فيشر" (Fischer) فكرته" سنوات 1907و1908و1912 على مؤتمرات المستشرقين الدولية المجتمعة بالتوالي بمدن"بال"(Bales) وكبنهاغن (Copenhague) ،و"أثينا"(Athenes)، ثم قدم [مشروع المعجم التاريخي العربي] نهائيا سنة 1936 إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي وعد بطبعه.

1- علي توفيق الحمد، المعجم التاريخي العربي: مفهومه- وظيفته- محتواه: وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس(4-17 نوفمبر1989) ص 137.

2 - حلمي خليل، المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي : مجلة المعجمية العربية، العددان5و6 ص 306.

3- A.DUZAT Dictionnaire Etymologique

4- حلمي خليل، المرجع السابق أو نفسه ص 306.

5- يراجع، محمد رشاد الحمزاوي ، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مناهج ترقية اللغة العربية تنظيرا ومصطلحا ومعجما، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)ط 1 1988، ص 97-98.

ومنذ أن حصل "فيشر"(Fischer) على هذه الموافقة باشر عمله معتمداً على أعمال مستشرقين سابقين منهم: " فليشار"(A. Fleischer) و ثربكه (Thorbecke) و نصوص جمعها مستشرقون آخرون منهم :"برجستراسر"(Bergstrasser) و"ليدرُسن" (J.Ledersen) « الذين استقرأوا كليا أو جزئيا القرآن الكريم،وحديث مسلم، ومؤلفات أدبية،ومخطوطات عربية قديمة مثل كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني »[1] وقد شكلت هذه الأعمال والنصوص 26 مصدراً ومرجعا استشراقيا،ضمت إليها264 مصدراً ومرجعا عربيا كانت كلها عمدة فيشر(Fisher) في إنجاز معجمه التاريخي.[2]

ولقد حاول هذا المستشرق الألماني اقتفاء أثر معجم "أكسفورد" السابق ذكره في منهجه [3] مراعيا بعض خصوصيات اللسان العربي، فكانت خطته - كما بينها صاحب المعجم في المقدمة - ملخصه فيما يأتي :

1 - الوجهة التاريخية: التي تجاوزت كل وجهات النظر من حيث الأهمية ركزت على توضيح التطور التاريخي للكلمات.

2 - الناحية الاشتقاقية: بما في ذلك توليد الكلمات.

3 - الناحية الصرفية.

4 - الناحية التعبيرية: شملت تحقيقا لمعنى الكلمة أو معانيها- إن تعددت- مرتبة حسب علاقاتها التاريخية و العقلية.

5 - الناحية النحوية: اهتمت بالصلات التي يمكن أن تربط كلمة بأخرى في السياق خاصة الروابط و كلمات التعقيب، و الاستئناف، و الحصر، و الابتداء...

6- الناحية البيانية: تناولت العبارات التي وضعت من قبل الروح الجماعية للمتكلمين، [3] ولزمت صورة واحدة، حتى كأنها وحدة معجمية مثل عبارة:"لله الأمر من قبل ومن بعد".

1- الحمزاوي، محمد رشاد: تاريخ المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية، المبادرات الرائدة ، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس(4-17 نوفمبر1989) ص 19.

2- يراجع: المرجع نفسه، ص 24.

3- يراجع: حسين نصار: المعجم العربى : نشأه وتطوره ج/2 ص ص. 625-626 .

و - حلمي خليل: المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي ، مجلة المعجمية العربية العددان 5و6 ، ص 309 و310 .

وعلى الرغم من قيمة هذه الخطوات التي رسمها"فيشر"(Fischer)، فإن مشروعه لم يكتمل، وفاجأه الأجل سنة 1949 دون أن يخرج أول معجم تاريخي يدعم المعجماتية العربية، ويسد أكبر ثغرة فيها.

ومن العجيب أن « يتخلى مجمع اللغة العربية عن هذا المشروع باعتبار أن الشروط العلمية والمالية والفنية و الإنسانية لم تتوفر في المجمع للقيام بهذه المهمة »[1] وكأن الفكرة دفنت مع صاحبها. ولم تشحذ همم اللغويين وأعضاء المجامع والقائمين على الثقافة والتعليم... لإقامة هذا الصرح العلمي المنشود حتى اليوم في العالم العربي كله.

ومما يؤسف عليه أن المحاولات الأولى لإدماج النظرة التأثيلية في صناعة المعجم العربي الحديث كانت كلها من مستشرقين،كمبادرة الهولندي"دوزي" (Dozy)في معجمه تكملة المعاجم العربية[2]، والتي أراد"فيشر" (Fisher) أن يعممها ويخصها بمعجم كامل، لم يجد بدا من الرجوع في تأليفه إلى أعمال مستشرقين آخرين سبقوه . أ فلم يكن للعرب في تراثهم الضخم ما يتوسمون منه النظرة التاريخية معجماتيا؟ إن أمة يكون من علماء أسلافها العلامة "ابن خلدون"مؤسس علم الاجتماع والتاريخ معا، لحق عليها أن تسبق الأمم إلى توظيف البعد التاريخي والاجتماعي في كل الجوانب العلمية والفكرية التي تعنيها، ولا سيما الحقل المعجمي منها.

وليت المعجماتيين اليوم وقفوا على ما تركه لهم آباؤهم من علوم تتعلق بأصول الفقه، وعلم الكلام، والقراءات... لوصل اللغة بالتاريخ، والمجتمع والفكر، وبلوغ المرام بوضع المعجم ذي البعد الاجتماعي والتاريخي الذي ينشده كل من يحب العربية ويغار عليها، والناس في أمس الحاجة إليه. و كيف ُيتوجه إلى كل هذا الزخم من العلوم و المعارف،

1- الحمزاوي: ،تاريخ المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس(4-17 نوفمبر1989) ص. 20 .

2- حاول دوزي تتبع تطور بعض المفردات في معجمه استدراكا ما اعتبره فات المعجمات العربية ؛

voir : Dozy ,supplement aux dictionnaires arabes ,Librairie du Liban ,1991,reproduction de l’edition originale de 1881,T1,p.478-479.

و في المعجمات العربية القديمة من السبق ما كان كفيلا بتنبيه الغافلين إلى الروح التاريخية في دراسة مفردات اللغة وتناولها معجميا و معجماتيا. و إن في تراث الخليل بن أحمد الفراهيدي، والبحثُ يُكلأ في كنف علمه، ما ينير البصائر بنظرة المؤسس الأول للمعجم العربي التطورية للغة الضاد.

و سيأتي في الفصلين الآتيين من هذا البحث ما يدل على ما ضمه كتاب العين من قيم تأثيلية، تأصيلية، و تطورية. و إنّ واحدة منها وهي نظرية المستعمل والمهمل في اللسان العربي، لجديرة بأن تستحث المشتغلين بالمعجم العربي دراسة أو تأليفا على التزود بالمقاربة التاريخية ضمن أعمالهم.فالمستعمل الذي يمثل الرصيد المفرداتي الموجود بالفعل عند المتخاطبين، لم يكُ عند الخليل خاضعا لنظرة منطقية محضة، أو معيارية متسلطة،وإنما ظل صورة واقعية سُجلت وإن جاء بعض منها مخالفا لمقاييس اللغة وذوق الفصحاء من متكلميها، وهي بهذا تصير وثيقة تشهد على مرحلة لغوية تنتمي إلى سلسلة من المراحل ترسم حياة الكلمات بصدق، فلقد قال أبو المعجمية العربية:« فإذا ورد عليك شيء من ذلك، فانظر ما هو من تأليف العرب .وما ليس من تأليفهم نحو : قعثج و نعثج، و دعثج لا ينسب إلى العربية، و لو جاء عن ثقة لم ينكر، ولم نسمع به ولكن ألفناه ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل .» [1] فعلى الرغم من عدم تناسب اللفظ مع طبيعة اللغة، غير أنه متى صح ثبوته في تخاطب الناس- وهذا هو المقصود بعبارة: " لو جاء عن ثقة"- أثبت. أما المهمل و هو ما يصح بناؤه لكن المتكلمين لم يستعملوه، فهو يمثل «في الحقيقة ألفاظا ومصطلحات موجودة بالقوة،ستنشئها اللغة في فترات تطورها، باعتبار ما يطرأ عليها من تغيرات صوتية، و تطورات دلالية [...] فالمهمل يكون الرصيد[...]الذي يغذي المستعمل أو الاستعمال في مدة أو في عهد معين. »[2] أ وَ لم يكن الأنسب بعد هذا كله أن يبادر العرب قبل غيرهم إلى وضع المعجم التأثيلي أو التاريخي متحدّين صعوبة إنجازه التي لا ينكرها عاقل؟

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين ،ج1، ص.54.

2- الحمزاوي، محمد رشاد ، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة.ص 495.

« لأن اللغات الأوربية التي ظهرت لها معاجم تاريخية لغات صغيرة السن، حديثة الميلاد، أما اللغة العربية فمن أطول اللغات الإنسانية عمرا تقلبت فيها بين ظروف شتى : تاريخية وجغرافية وحضارية ودينية وعلمية وفكرية وأدبية وغيرها.» [1]

2 ـ 4 ـ مصادر المعجم التأثيلي (أو التاريخي):

يشكّل موضوع جمع مادة المعجم التأثيلي (أو التاريخي) أحد أهمّ المواضيع التي ينبغي الاعتناء بها، خاصة إذا تعلّق الأمر باللسان العربيّ لما يتميّز به من قِدم، و تنوّع، و ما يزخر به من ثقافة ضخمة و مادة إبداعية هائلة. هذا و إنّ افتقار المعجماتية العربية إلى تجربة تأصيلية أو تأريخية سابقة يزيد من تعقّد عملية إعداد موارد المعجم المنشود.

و لا يمكن طرح قضية مصادر المعجم العربي التأثيلي من كل جوانبها، و توفيتها حقّها في هذا الجزء من البحث، فهي جديرة بأن تُفرد لها دراسة خاصة ضمن مستوى أعلى ممّا تصبو إليه هذه الرسالة. و حتى لا تتّسع معالجة هذا الأمر فتُحدث خللا في المنهج، و تتجاوز المعالم التي ينبغي أن تلتزم بها؛ رُجّحت مقاربة هذا الموضوع من خلال محاولة تحديد إشكال لكلّ من الجوانب الأربعة الآتية:

أ ـ المعجم التأثيلي و المعيارية اللغوية.

ب ـ إشكالية الشاهد الشعريّ في المعجم التأثيلي.

ج ـ منزلة التراث اللغويّ من المعجم التأثيلي.

د ـ أهمية بعض المصادر غير المستثمرة في دعم المعجم التأثيلي.

أ ـ المعجم التأثيلي و المعيارية اللغوية:

كاد علماء العربية يتفقون على أنّ العلوم اللغوية الثلاثة: اللغو و النحو و الصرف لا يستشهد على قواعدها إلاّ بكلام قدماء العرب غير المولّدين، و أكثرهم قربا من قلب جزيرة العرب غير القبائل التي في السواحل أو المتاخمة للأعاجم.[2] و مردّ هذا إلى تحديد معايير الفصاحة زمانا، و مكانا، و حالا.

1- حلمي خليل، المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي،لمجلة المعجمية العددان5و6 ، ص 311.

1 ـ يراجع: ـ الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة، 1383هـ/1964م، ص ص. 20-21.

ـ آل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. 342.

أمّا شرط الزمان؛ فقد حدد اللغويون"إطار الفصاحة [...] في العصور الأولى للغة العربية، فأوقفوا من ذلك الاحتجاج باللغة الأدبية [...] في حدود منتصف القرن الثاني الهجري، و باللغة الشفوية المنقولة عن أعراب البادية مباشرة في حدود القرن الثالث إلى الرابع الهجري."[1]

و أمّا شرط المكان، فإنّ أحسن من رسم نظرة اللغويين المعيارية للفصاحة عند العرب، ابن خلدون في مقدّمته حيث قال:"و لهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية و أصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثمّ من اكتنفهم من ثقيف و هذيل و خزاعة و بني كنانة و غطفان و بني أسد و بني تميم، و أمّا من بعُد عنهم من ربيعة و لخم و جذام و غسان و إياد و قضاعة و عرب اليمن المجاورين لأمم الفرس و الروم و الحبشة، فلم تكن لغتهم تامّة الملكة لمخالطة الأعاجم، و على نسبة بُعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة و الفساد عند أهل الصناعة العربية."[2] و بهذا يكون واضع علم الاجتماع و التاريخ قد أتى على كلّ الاعتبارات المتعلّقة بمعيار الفصاحة عند اللغويين العرب، فجعْله "قريشا" مركز نظرتهم يجمع بين اعتبارين أحدهما ديني أكسب قبيلة صاحب الرسالة الخاتمة ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ قدسية كانت لها قبل الإسلام و ازدادت رسوخا بعد نزول القرآن، و ربّما كانت الموجّه لكثير من علماء اللسان، و الاعتبار الثاني جغرافي لغويّ يجعل وسط الجزيرة أعرق عروبية ممّا سواه لسلامته من التأثّر باللغات المجاورة، و ممّا يبرز إدراك ابن خلدون لهذا المفهوم أنّه لم يجعل تناقص نسبة الفصاحة يسير دائريا و هو يبتعد عن قريش مركزها، و إنّما ارتسمه أفقيّا؛ فكأنّ لأعلى مستويات الفصاحة خطّي عرض: أحدهما في شمال "نجد"، و الثاني على مشارف اليمن، لأنّ أرض تميم في أقصى شرق الجزيرة، و أسد من قبائل "نجد" و كلتاهما ذكره صاحب المقدّمة في أوّل من يُحتجّ ببلاغته مع "قريش"، و هو ما يوافق تعامل كلّ المؤسسين لعلوم اللسان العربي قديما، و من تبعهم من بعدهم. و مثل هذا الطرح أغنى عن كثير من أقوال

---

1 ـ الودغيري، عبد الله: قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية باونس، 14-17 نوفمبر 1989م، ص. 224.

2 ـ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدّمة، ج2، ص. 728.

اللغويين الأوّلين، و هو ممّا يُحسب لـ "ابن خلدون، فحقّا لا ينبّئك عن اللغة مثل مؤرّخ!

و أمّا شرط الحال أو الصحّة و يتعلّق ـ كما يتضح من كتب اللغة ـ بمن يروي اللغة، أو تؤخذ عنه، إذ اشترط معيار الفصاحة أن تثبت نسبة الكلمة، أو مجال استعمالها عند من شُهد له أنّه من العرب الأقحاح، و "مردّ الأمر كلّه إلى الوثوق من سلامة لغة المحتجّ به، و عدم تطرّق الفساد إليها، و هذا هو الضابط في التصنيف الزمانيّ و المكانيّ اللذين مرّا."[1] و لعلّ هذا يبرّر سبب مؤاخذة كثير من اللغويين "ابن دريد" على معجمه، فربّما أزعجهم عنوانه:"الجمهرة" الذي يوحي بتساهل صاحبه في جمع اللغة، و في مقابله طارت شهرة معجم "الصّحاح" للجوهريّ لما يشير إليه اسمه من تحرّي الصحيح، و ربّما الأصحّ حتى إنّ بعض اللغويين اعتبر صحاح العربية في اللغة، نظير صحيح البخاري في كتب الحديث![2]

و هذه المقاييس الثلاثة، و إن كانت فائدتها ظاهرة في الصرف و النحو، فإنّ الحقل اللغوي يأبى الالتزام بها، و خاصة إذا كان التوجّه فيه تأصيليا أو تأريخيا، و لا بدّ من ترسيخ مفهوم آخر للفصاحة غير الذي استقرّ في أذهان الأوّلين، و من تبعهم بجمود إلى العصر الحديث. و لهذا التحوّل مبرّراته النابعة من أعماق الدراسة اللغوية،ر و منها:

أ ـ تيقّن الدارسين مؤخّرا أنّ لكلّ عصر فصاحته الخاصّة، و هو ما يلمس من وسم الباحث التونسي "رشاد الحمزاوي" لأحد كتبه بـ " العربية و الحداثة أو الفصاحة فصاحات."[3]

ب ـ ملاحظة أنّ "تاريخ العربية لم يتوقّف عند القرن الثالث أو الرابع الهجريّ، و العرب لم ينقرضوا بعد ذلك العصر، بل ازداد ارتفاعا، و ازدادت المساحة الجغرافية التي يحتلونها فوق الكرة الأرضية."[4]

ج ـ عدم الصحة المطلقة لما علّل به القدامى تمسكهم بمفهومهم للفصاحة، و أنّهم إنّما فعلوا ذلك مخافة أن يدرك العربية خلل بعد أن يفتح بابها للتطوّر، و تبتعد عن لغة التنزيل

---

1 ـ الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، ص. 21.

2 ـ يراجع: السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة، ج1 ، ص.77.

3 ـ الحمزاوي ، محمد رشاد : العربية و الحداثة أو الفصاحة فصاحات ، دار الغرب اللإسلامي ، بيروت ، لبنان ، طبعة 1986 .

4 ـ الودغيري، عبد الله: قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي، ص. 228.

فيستعصي على الناس من بعدُ فهم القرآن، و السنّة، و غيرها من النصوص الدينية. و الحقيقة أنّ هذا التخوّف مشروع، لكنه ينبغي أن يُتوجه به إلى المجال الصوتيّ و الصرفيّ و النحويّ الذي يمثّل ضمان حماية اللسان من الفساد و التغيّر الكلّي. أمّا لغة التخاطب من حيث هي مفردات ذات معان فشأنها اجتماعيّ أكثر منه نظامي و معياريّ، ثمّ إنّ القرآن الذي خشي عليه المحافظون على مقاييس الفصاحة الأولى، لهو الحافظ للعربية و سرّ بقائها و أحد أهمّ عوامل نموّها، فكيف يكون الاعتراف بتطوّرها سببا لبعد الناس عنه؟!

و لا يعني التخفيف من قيود الفصاحة التحلّل من كلّ ضابط في قبول ما يولّد من كلمات، و إنّما على اللغويين أن يقبلوا منها ما جاء مكتوبا في مؤلَّف لعالِم، أو كاتب، أو شاعر كبير، من غير أن يكون قد انفرد به من دون الناس جميعا، و الأهمّ أن يكون موافقا لقواعد العربية و أقيستها و سننها في الاشتقاق، و التوليد، و التعريب، و لو بوجه واحد، و إلاّ سامه الاستهجان و الغرابة المشينة.

فاللوم إنّما يوجّه إلى تصرّف اللغويين و المعجماتيين الذين أدّت بهم معيارية الفصاحة ـ حسب ما يرونها ـ إلى "تجميد [الثروة اللغوية] و عدم تتبّعها دلاليا عبر العصور، مما أدّى إلى ضياع كثير من معالم الحياة و التطوّر، و بخاصة الألفاظ و المعاني التي ابتكرها العباسيون في مظاهر الحضارة، ناهيك عن عدم تتبعها للتطوّر الدلالي على امتداد تاريخ اللفظ، و ذلك بالوقوف عند عصور الاحتجاج و في هذا ما يتناقض مع طبيعة اللغة والمجتمع، إذ تمثّل اللغة ظلّه، و مرآته الصادقة."[1] و لقد صدق أبو عمرو بن العلاء حين قال من قبلُ:"ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلاّ أقلّه، و لو جاءكم وافرا لجاءكم علم و شعر كثير."[2]

فعلى من يتحمّل عبء و شرف المساهمة في المعجم التأثيلي (أو التاريخي) العربي، أن يتحرّر من قيود معيارية الفصاحة، و يجعل مصادر هذا المعجم المنشود تتسع لكلّ ما

1 ـ عبد المنعم، عبد الله محمد: المعجم العربي التاريخي، مفهومه ـ وظيفته ـ محتواه، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989م، ص. 168.

2 ـ يراجع :السيوطي ،المزهر،ج1،ص.ص.53-54.

يمثل واقع اللسان العربي في مراحله المتلاحقة من الجاهلية حتى اليوم، و في كلّ رقعة من أرض المتحدثين به حضرا كانت بادية. و إن في ما قام به بعض الأسلاف لأسوة حسنة لمعجميي العصر الحديث؛ فقد بادر جمع منهم إلى تجاوز مفهوم الأقدمين للفصاحة على الرغم من انتمائهم إلى عصور سابقة للحداثة المعاصرة؛ فقد اعتبر الإمام أحمد بن حنبل شيخه الشافعي حجة في اللغة، و هو قد توفي في القرن الثالث للهجرة "لسلامة نشأته، و تقلّبه في البيئات العربية السليمة."[1]

و تجاوز ابن هشام عصر الفصاحة باعتماده شعر المتنبي في كتابه "مغني اللبيب"[2] كما تميّز الفيروزآبادي في معجمه القاموس المحيط "بإيراد المولّد من الألفاظ و الأعجميّ و الغريب و إكثاره منها حتى أخذ عليه ذلك الناقدون"[3]، و اعتمد في جمع مصادر قاموسه على مصدر سادس غير الخمسة المعهودة عند من سبقه، و يتمثل في الأطبّاء و الحكماء، فاكتسب معجمه مادة اصطلاحية لم يحظ بها غيره من المعجمات القديمة.[4] و قد تجاوز هؤلاء جميعا أقدمهم زمانا الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ترك رصيد العربية مفتوحا على كلّ استعمال يستخدمه الناس من خلال نظرية المستعمل و المهمل.

ب ـ إشكالية الشاهد الشعري في المعجم العربي التأثيلي:

إنّ أوّل حاجز يجب إزالته لجمع مادة شعرية تمثل شواهد المعجم التأثيلي العربي، تلك العقبة التي وضعها اللغويون بحصر الاحتجاج فيما توفّرت فيه شروط الفصاحة الجغرافية و الزمنية التي تعصّبوا لها كثيرا. و إنّما على "من يحاولون تأليف معجم تاريخي [...] أن لا يكتفوا فيه بما في المعاجم الكبرى من شواهد شعرية قديمة توضح استعمالات الكلم و معانيها اللغوية حتى نهاية العصر الأموي، إذ لا بدّ أن يضيفوا إليها ركاما ضخما من شواهد شعرية جديدة من العصر العباسي و ما بعد العصر العباسي توضح ما حدث من

---

1 ـ الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، ص. 26.

2 ـ يراجع ابن هشام: المغني اللبيب

3 ـ نصار، حسين: المعجم العربي: نشأته و تطوره، ج1، ص. 472.

4 ـ يراجع: بن مراد، إبراهيم: مسائل في المعجم، ص. 210.

تطوّر لمعاني الألفاظ و استعمالاتها على مرّ الزمن."[1] فيفيد المعجم التأثيلي أو التاريخي المنشود من استعمالات كثير من الشعراء الكبار، الذين "كانت آثارهم الأدبية هي الحقول التجريبية التي يُعتمد عليها في تاريخ الكلمات"[2] و من حسنات المعجماتية الغربية التي يمكن التأسي بها في هذا الشأن، تأليف معاجم خاصة بكبار الأدباء[3]، تتقصّصُ توظيفهم للغة، الذي لا يخلو من تلاعب بالألفاظ، تدفعهم إليه انفعالاتهم، ممّا يجعلهم يأتون بمجازات لم يسبقهم إليها أحد، فتُتلقّى بالقبول، و تشيع حتى تصير مُمَعْجَمة بالفعل، ثمّ تدوّن، "فالأدباء لهم نصيب كبير في إحياء الألفاظ و إماتتها و توجيهها وجهات مختلفة."[4] و كثير من الشعراء العرب جدير بأن يفرد له معجم خاصّ بلغته مثل: بشار بن برد، و البحتري، و أبي العلاء المعري، و أحمد شوقي، و غيرهم ممّن ضاقت المعجماتية العربية بهم ذرعا.

فإذا تحرّر صانعو المعجم من قيد الفصاحة ـ كما صوّره اللغويون ـ واجهتهم صعاب أخرى تتعلّق بالشواهد الشعرية نفسها، إذ نُسب كثير منها في المعاجم الكبرى إلى غير صاحبه، و هو أمر خطير في معجم تأثيلي تأريخي؛ فقد يُنسب أداء لغوي إلى غير أهله، و ربّما استُنتج منه أمر جغرافي لغوي تأصيلي مُتوهّم كالذي حصل للجوهري في الصحاح، و تبعه فيه الزبيدي، و ابن منظور من نسبة بيت إلى لبيد، نصّه:

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة تدع الصوادي لا يجُدن غليلا

و هو عنده شاهد على أنّ فعل "وجد" يأتي مضارعه مضموم الجيم عند العامريين قوم لبيد.[5] و بعد تتبّع البيت عُثر على أنّه للشاعر الأموي جرير[6] و أنّ رواية ضمّ الجيم خطأ أيضا.[7] و مثل هذا كثير في التراث العربي ممّا جعل بعض العلماء يؤلّف كتبا في

---

1 ـ ضيف، شوقي: صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التاريخي، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989م، ص. 415.

2 ـ نصار، حسين: المعجم العربي: نشأته و تطوره، ج1، ص. 618.

3 ـ منها على سبيل المثال كتاب "بارتلت" (J.Bartlelt) الذي ألف حول شيكسبير.

4 ـ نصار، حسين: المعجم العربي: نشأته و تطوره، ج1، ص. 618.

5 ـ يراجع :- الجوهري: الصحاح ، ج2 ،ص.547. وا بن منظور: لسان العرب ج3، ص.445.

6-يراجع: جرير،ديوان جرير،تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف المصرية،القاهرة،1979،المجلد1،ص.107.

7 ـ يراجع: ضيف، شوقي: صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التاريخي، ، ص.411.

التصحيف يجب الإفادة منها في تحقيق الأشعار و صحّة روايتها، و قد خصّص ابن جنّي جانبا من كتابه "الخصائص" لتتبّع تصحيفات أئمّة اللغة الأكابر، من مثل الفرّاء، و الأصمعيّ،[1] فكيف بمن دونهم في الضبط و العلم؟ و هو "ما يدلّ بوضوح على ما ينبغي من مقابلة الأشعار المنسوبة على[2] دواوين أصحابها للتأكّد من صحّة نسبتها و صحّة نطق ألفاظها نطقا سليما."[3] و لعلّ فكرة إنشاء معجم لكبار الشعراء السابقة الذكر أن تكون أحد العوامل المساعدة على تذليل هذا الصعب.

هذا و إنّ للشواهد الشعرية في المعجمات العربية إشكالا آخر يتمثل في أنّ عددا كبيرا منها غير منسوب، و لا يعرف قائله "حتى ليكاد يبلغ نحو ثلث الشواهد في معجم كبير مثل لسان العرب."[4] و لئن كان بعض اللغويين ردّ الاستشهاد بالمجهول من الشعر ـ كما فعل ابن الأنباري.

فإنّ عدم قبول رواية غير المنسوب تتأكّد أكثر في المعجم التأثيلي أو التاريخي، ذلك أنّ معرفة قائل البيت يحدّد زمان نظمه، و البيئة اللغوية التي ينتمي إليها، و هما عاملان مُهمّان في تأصيل الكلمات و التأريخ لها، و رصد مراحل تطوّرها. و هذا ما يُلقي على كاهل من يحاول تأليف معجم تاريخي مهمّة البحث عن ناظمي الشواهد المجهولة، و إن تعذّر الأمر فإنّه ينبغي استقراء المادّة الشعرية مرّة أخرى للحصول على ما يشكّل المرجع الأساس في تحديد تواريخ الكلمات، و مراحل تطوّرها.

ج ـ منزلة التراث اللغوي من المعجم التأثيلي العربي:

على الرغم من أنّ الآباء من علماء اللغة لم يورّثوا معجما تأثيليا، فإنّهم أسّسوا له من خلال دراسات لا مناص من الرجوع إليها لإثراء مادّة المعجم المنشود في العهد المعاصر. و ربّما وُجدت هذه المادة مبثوثة في مؤلفات عدّة، يصعب تقصّصها جميعها،

---

1 ـ يراجع: ابن جني: الخصائص، ج2،ص.ص.481-501.

2 ـ هكذا جاءت في نص "شوقي ضيف"، ربما كان الأنسب استعمال حرف الباء، أو عدم استعمال أيّ رابط.

3 ـ ضيف، شوقي: صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التاريخي، ص. 412.

4 ـ المرجع نفسه، ص. 413.

5 ـ ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص.

غير أنّ هناك بعضا من أنواع التصانيف تتصل بتأصيل المفردات و التأريخ لها أكثر من غيرها، لمّا تُستثمر على النحو الذي يُبرز جانبها التطوّري أو التعاقبي (Diachronique) و من أهمّها ـ بحسب ما أمكن استقراؤه ـ:

ـ التراث المعجماتي العربي: لا شكّ في أنّ بداية المعجم التأثيلي العربي تكون ممّا انتهت إليه المعجمات العربية الكبرى التي يفترض أن يكون التأصيل و التأريخ جزءا من تعريفاتها العامة. و مادة هذا التراث "ثرية لا بما يقدّمه من شروح و معان فحسب، و إنّما بما يتضمّنه أيضا من شواهد خاصّة أنّ جلّها قديم، نثرا و شعرا و أمثالا. و من ملاحظات هامّة حول اختلاف اللهجات، و حول الغريب و الفصيح و اللحن و المعرّب."[1]

و ممّا ينبغي الإفادة منه بعض المعجمات القديمة الخاصة كمعجم "أساس البلاغة" للزمخشري، الذي صرّح صاحبه في المقدّمة أنّه يهدف إلى "تأسيس قوانين فصل الخطاب و الكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة و الكناية عن التصريح"[2]، و إنّه مع هذا ليَزْخَرُ بالشواهد التي تفيد في محاولة تحديد انتقال معنى الكلمة من الحقيقة إلى المجاز، و منها ـ على سبيل المثال ـ: "و من المجاز: فطمته عن عادة السوء. و لأفطمنّك عمّا أنت عليه. و في الحديث: <الإمارة حلوة الرضاع مرّة الفطام>".[3] فاستشهاد الزمخشري بحديث نبوي قد يحمل من الإشارة ما يجعل انتقال الفطم من كفّ الصبيّ عن الرضاع إلى الإقلاع عمّا تستهويه النفس يقدّر أنّه كان في صدر الإسلام.

و من أهميه هذا التوجه، قال محمّد رشاد الحمزاوي:"فلقد كنّا نفيد من هذه الطريقة في وضع معجم عربي تاريخي، لو عرفنا تاريخ المعاني الحسيّة و المعاني المجازية."[4]

و من المعجمات الجديرة بأن تأخذ جانبا من اهتمام واضعي المعجم التأثيلي العربي المعجمات الاصطلاحية المهتمة بالمفردات الخاصة بالعلوم كالفقه و أصوله، و الفلسفة، و علم الكلام...

1 ـ البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، مجلة المعجمية، العددان 5-6، ص.03.

2 ـ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ/2004م، ص.08.

3 ـ المرجع نفسه، ص.477.

4 ـ الحمزاوي، محمّد رشاد: المعجم العربي: إشكالات و مقاربات، ص. 108.

و لا تقلّ مُعْجَمات الفروق اللغوية أهميّة، ككتاب أبي هلال العسكري، و كذلك المعجمات التكميلية التي تستدرك ما فات ما قبلها كما فعل المستشرق "دورزي" "الذي يأخذ عن الدارجات أيضا ما سجلته كتب المؤرّخين و الجغرافيين و الرحّالة و غيرهم من كلمات تعبّر عن مظاهر من الحياة اليومية تتميّز بحيويتها و تجدّدها المتواصل."[1]

ـ مؤلّفات الغريب و الدخيل: فالغريب قد يمثّل "الرصيد المتقادم الذي خرج أو أخذ يخرج من الاستعمال."[2] و هو ما عبّر عنه بعض اللغويين المحدثين بـ "الأثيل"[3] و لعلّ الاهتمام بهذا الجانب المعجمي يكون من أقدم ما تناوله التراث العربي، إذ يرجع منشؤه إلى عهد الصحابة على يد عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ترجمان القرآن ـ كما سيأتي بيانه في الفصل الثاني من هذا البحث ـ.

و أمّا كتب الدخيل، أو المعرّب فإنّها تقدّم صورة عن الاقتراض اللغوي الذي هو من أهمّ مباحث التأثيلية، و من أبرز محتويات تعريفات معجماتها. و فائدتها أنّها تحصي عددا غير يسير من المفردات المقترضة سواء عليها أ عُرّبت أم بقيت على صورتها الأولى في اللغة المُقرضة. فكتاب "المعرّب من الكلام الأعجمي" للجواليقي (ت 540هـ) احتوى على 530 كلمة ذات أصل أجنبيّ، إضافة إلى مبحث صغير عن طرق تعريب الكلمات، سمّاه صاحبه "باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي"[4]، و كان وصفيا في طرحه، كما تناول علامات أعجمية الكلمات في باب سمّاه: "ما يُعرف من المعرّب بائتلاف الحروف".[5] و إن لم يضف شيئا كثيرا على ما ذكره الخليل بن أحمد، فإنّه يمثّل حسن الإفادة من المعجمات الكبرى ككتاب العين للفراهيدي.

و يقدّم السيوطي في كتابه [المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب] "أكثر من 120 كلمة رأى أنّها جاءت في القرآن الكريم و أنّها من أصل غير عربي، متناولا في مقدّمته

---

1 ـ البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، مجلة المعجمية، العددان 5-6، ص. 404.

2 ـ المرجع نفسه، ص. 404.

3 ـ يراجع: الأستاذ فاضل،عبد الحق: مجلّة اللسان العربي العدد 8، 1971، ص. 56.

4 ـ يراجع: الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد: المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ص ص. 7 – 9.

2 ـ المرجع نفسه، ص ص. 10 – 11.

اختلاف العلماء في إمكانية احتواء الذكر الحكيم على ألفاظ غير أثيلة في اللسان العربي."[1]

و لا يقلّ عن هذين الكتابين في الأهمية كتاب "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" لـ"شهاب الدين الخفاجي (ت 1069م).

و لمّا كان موضوع اللفظ الأعجمي في اللسان العربي مرتبطا من حيث نشأته بالقرآن الكريم، صار مُهمّا اعتبار كتب التفسير من المراجع الأساسية للمعجم
التأثيلي، فإنّ كثيرا منها يضمّ معالجة ذات بال لما عرّبته العرب، و استخدم في كلام الله تعالى.

و لا يرجع اختلاف علماء القرآن و العربية في جواز احتواء القرآن على مفردات أجنبية إلى هذه المفردات ذاتها، أو حكم شرعي يتعلّق بالذكر الحكيم، و إنّما يرجع في جوهره إلى نظرة كلّ منهم إلى الألفاظ الأعجمية في كتاب الله تعالى فـ "من نظر إلى أصلها أي من نظر إلى مثل هذه الكلمات نظرة تاريخية (Diachronic) قال بأعجميتها، و من نظر إليها نظرة آنية وصفية (Synchronic) قال بعربيتها."[2]

ـ مؤلفات لحن العامّة: و هو تراث مهمّ بدأ التأليف فيه منذ عهد كتاب العين، أوّل معجم لغويّ عربيّ، و كان السبق لمعاصر الخليل الكسائي (ت 189هـ) الذي بادر بكتاب "ما تلحن فيه العوامّ"، و تلاه ابن السّكّيت (ت 244هـ) بمصنّف "إصلاح المنطق"، ثمّ ابن قتيبة (276هـ) بـ "أدب الكاتب"، ثمّ الزّبيديّ (379هـ) بـ "لحن العوامّ". و يضرب كلّ من الجواليقيّ و الخفّاجيّ ـ من المؤلّفين في المعرّب و الدخيل ـ بسَهْمَيْهما في كتب اللحن من خلال : "تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامّة" للأوّل، و "شرح درّة الخواصّ" للثاني. و قد قدّم الباحث أحمد محمّد قدّور إحصاء لمصنّفات لحن العامّة قاربت العشرين.[3]

---

1 ـ يراجع: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: المهذب فيما وقع في القرآن من العرّب، تحقيق د. محمّد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1995م، ص ص. 31- 36 .

2 ـ حلمي، خليل: المعرّب و الدخيل في المعجم اللغوي التاريخي، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989م، ص.315.

2 ـ يراجع: قدّور، أحمد محمّد: تراث لحن العامّة مصدرا من مصادر المعجم التاريخي، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989م، ص. 266.

و لا يخفى أنّ أصحاب هذه الكتب لا يخلو اهتمامهم بلحن العامّة من نظرة معيارية؛ فتسمية اللحن و حدها كافية لمعرفة أنّهم اعتبروا الأمثلة التي أوردوها في دراساتهم من الخطإ اللغويّ. و هو ما أنتج من بعدُ مقابلة العامّيّ بالفصيح قصد تهذيبه. غير أنّ جهد هؤلاء وفر مادّة ثريّة يمكن الاعتماد عليها لتزويد المعجم التأثيليّ (أو التاريخيّ) العربيّ بما يجعله يقف عليه من صور تطوّريّة للعربيّة " فالجانب الزمنيّ [....] واضح المعالم في معظم أمثلة اللحن ممّا يساعد الباحثين المُحْدَثين على السير قُدُما في هذه السبيل التي ظنّ كثيرون أنّها لم توطأ من قبل."[1]

و ممّا يؤهّل تراث لحن العامّة ليكون أحد المصادر الأساسية للمعجم التأثيلي العربيّ، أنّه أقرب منالا، و أيسر مأخذا من غيره من كتب التراث الأدبيّة و الفكرية لتعلّقه بلغة الخطاب مباشرة، و تموقع أمثلته في مستوًى وسطاً بين الفصحى المثالية، و الأداء المشين لأقلّ العوامّ علما باللسان العربيّ، فالعامّة الذين تناول المهتمّون باللحن لغتهم "ليسوا الدهماء و خُشارة الناس لأنّ المقصود هو العامّة العليا أو الأولى أمّا العامّة السّفلى فقد أعرض عنهم المصنّفون لأنّ أخطاءهم ممّا لا يَعْزُب عمّن تمسّك بطرف من الفهم و العلم."[2] كما أنّ تسجيل تراث العامّة لملامح التعبير القريبة من لهجات الخطاب اليوميّ، و صور الاستعمال الحيّ يوسع حتما من دائرة الاهتمام به في تحضير مادّة المعجم التأثيليّ أو التاريخيّ العربيّ، على أن يكون التركيز في هذه كلّه على "التعبير الطارئ و مداه ضمن تاريخ وصفيّ خالص لحياة المفردات و دلالاتها عبر تقاطع الزمان و المكان."[3]

و يبقى أن يُذكر في ختام هذا العنصر أنّ العاميّة العربية بصفة مجملة ينبغي أن تأخذ حظا وافرا من انشغال اللغويين التاريخيين، فكثيرا ما تكثر مفردات أثيلة في اللسان العربيّ، اختفت من استعمال المتفصّحين و احتفظ بها خطاب العامّة من حيث قصدوا أو لم يقصدوا.

و من الفضل الذي يجب ذكره لصاحبه في هذا المجال، اهتمام بعض أعضاء مجمع

---

1 - المرجع السابق، ص. 279.

2 - المرجع نفسه، ص. 276.

3 - المرجع نفسه، ص. 280.

اللغة العربيّة بالقاهرة بالعاميّات، ممّا أدّى إلى ظهور "معجم الألفاظ العاميّة لأحمد تيمور باشا، الذي يعرّفـــه المستشرق "نلينـــو" بأنّه معجم هـــامّ * يشتمل على الألفاظ العاميّة مصحوبة بتفسير تاريخيّ و اجتماعيّ".[1] و من آراء أولئك المجْمَعِيّين الجديرة بالتنويه ما ذهب إليه "عليّ الجارم" من "ضرورة البحث عن المصطلحات في مرجعين أساسين: المعاجم و في اللغة العاميّة. و مثال ذلك أنّ المعاجم توفّر لنا مصطلح <الصنبور> و العاميّة مصطلح <حنفية الماء>، فالصواب عنده أن نأخذ بهما و نعرضهما على المستعملين لاختيار الأنسب منهما."[2] و مثل هذه الرؤية ينبغي أن تكون حاضرة لدى القائمين على تعليمية اللغة العربية، خاصّة في المراحل الأولى من التمدرس، و يتأكّد الأمر أكثر بالنسبة إلى المفردات ذات الاستعمال اليوميّ؛ فقد يؤدّي الاعتماد على المعجمات القديمة إلى توظيف كلمة تحمل من الغرابة ما ينفّر الأجيال العربية من لغتهم، و يُلبسها في أعينهم لباس التعقيد . و في هذا من الإساءة ما لا يخفى، فأولى بنا ترك الأفصح أحيانا للأقرب إلى ملكة اللسان العربيّ الهزيلة عند أبنائه في العصور المتأخّرة و لو جاء من استعمال عاميّ، شريطة أن يكون مهذبا متآلفا مع مقاييس اللغة، بل إنّه ـ و لله الحمد ـ في اللهجات المنتشرة في الوطن العربيّ ما تمتدّ جذوره إلى أبعد فترات اللسان، و هي بالنسبة إلى الناس أجرى على الألسنة، و أخفّ تركيبا، و هي ـ لو اعتُني بها ـ لكفيلة بأن تحقّق الأفصح و الأكثر شيوعا و قبولا في آن واحد.

و يتجلّى هذا المعنى في المثال الذي أورده "عليّ الجارم" بوضوح، فما قول أطفال هذه الأمّة اليوم حين يسمعون في أقسام المرحلة الابتدائية أنّ العربية تسمّي ما يُفتح في المنازل لسكب الماء صنبورا! و هو استعمال صحيح فصيح، فقد جاء في أقدم المعجمات العربية قول الخليل بن أحمد الفراهيديّ: "و الصنبور أيضا: القصبة التي تكون في الإداوة من حديد أو رصاص يُشرب بها."[3] أمّا الحنفية فهي من وضع العامّة نسبة إلى أبي حنيفة

---

* هكذا جاءت في نصّ "الحمزاوي" و الأصحّ "مهمّ" من أهَمّ الرباعيّ.

1 ـ الحمزاوي، محمّد رشاد: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص. 270.

2 ـ المرجع نفسه، ص. 271.

3 ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج7، ص. 180.

الذي يُعتبَر أوّل من استعملها حسب تأثيل الباحث التونسيّ محمّد رشاد الحمزاويّ.[1] و ممّا يمكن تهذيب هذه التسمية به أنّ العرب سمّوا أنواعا من السيوف بالحنفية نسبة إلى "الأحنف بن قيس" الذي جاء اسمه "الأحنف" من حنف في رجله، أي ميل في صدر القدم إذ هو أوّل من أمر باتخاذها.[2] و بهذا يكون لمصطلح "حنفية" المعاصر وصل باستخدام الأقحاح من بني عدنان في العصر الجاهليّ، و من المصادفات العجيبة التي قُيّضت لتصويب هذا الاستعمال أنّ شكل ما يُجعل في البيوت لسكب الماء فيه ميل قد يبرّر من حيث المفهوم إيثار الحنفية على الصنبور.

و قد لوحظ الاستغراب فعلا عند المتعلّمين في أولى سنواتهم لأنّ الكتب المدرسية الجديدة توظف "الصنبور" بدلا من "الحنفية"، و غيرها من الأمثلة كثير. و ليت واضعي هذه المصطلحات طلاب فصاحة، إذن لهان الأمر! و إنّما نية التنفير واضحة، إذ لم يُفعل باللغة الفرنسية ـ مثلا ـ مثل ما فُعل بالعربية في كلّ مراحل التعليم.

ـ كتب الأضداد: و المقصود بالأضداد في هذا النوع من تآليف اللغويين القدامى، دلالة الكلمة الواحدة على المعنى و ضدّه، فـ"من سنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادين باسم واحد، نحو: الجون للأسود، و الجون للأبيض."[3] و قد شرع اللغويون يتناولون هذه الظاهرة بالبحث منذ القرن الثاني للهجرة.[4] و كان لعميد النحاة العرب سيبويه سبق فضل الإشارة إلى هذا النوع من الوضع اللغوي في كتابه حين قسم أنواع الكلام في قوله: "اعلم أنّ من كلامهم: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، و اختلاف اللفظين و المعنى واحد و اتفاق اللفظين و اختلاف المعنيين [...] قولك وجدت عليه، من الموجدة، و وجدت: إذا أردت وجدان الضالة."[5] و من الواضح أنّ أبا بشر لم يحدّد الضدّيّة من خلال عبارة

---

1 ـ يراجع: الحمزاوي، محمّد رشاد: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص. 271.

2 ـ يراجع: الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج3، ص. 278.

3 ـ ابن فارس، أحمد: الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ص. 99.

4 ـ يراجع: نصار، حسين: مدخل تعريف الأضداد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/2003م، ص. 6.

5 ـ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق و شرح عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ/1988م، ج1، ص. 24.

"اختلاف المعنيين" فدلالتها أعمّ، فالاختلاف ليس بالضرورة تضادّا، و هو ما يجعل ظاهرة التضادّ داخلة فيما عُرف عند اللغويين بالمشترك اللفظيّ، و هي أحد حقوله من المعجمية (Lexicologie) العربية، و هو ما وضّحه تلميذ سيبويه، أبو عليّ قطرب، "في صدر كتابه الذي ألّفه في الأضداد [...][حيث قال:] و من هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادّا في الشيء و ضدّه. إذ أبان أنّ هذا المشترك من الكلمات [...] نستطيع أن نجد تحته فئتين من الكلمات: فئة تختلف معانيها مثل الأمّة، و أخرى يزداد التخالف إلى أن تتضادّ، و هي الأضداد التي ألّف من أجلها الكتاب[1]، أي كتاب "قطرب".

و فائدة كتب الأضداد بالنسبة إلى المعجم التأثيلي أو التاريخي العربي تبينت بعدما نظر بعض اللغويين إلى "تاريخ الجماعة الواحدة، فوجد فيه من التطوّر ما يؤدّي إلى التضادّ دون استعارة من الخارج. و ضرب <جيز> [(Giese) أحد المستشرقين] مثلا لذلك بالفعلين باع و شرى فقد كان المعنى الأصيل لهما: بادل، و حين كان البيع و الشراء يقوم على مبادلة السلع، فلمّا عُرفت النقود، اختُصّ كلّ فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل. و لكن رواسب العهد القديم بقيت حيّة، فكانت تلقي ظلالها على معنى الفعلين، فتُخلط بينهما."[2]

و هذا تمثيل وجيه من مستشرق؛ فبعد أن كان فعلا باع و شرى من المرادفات لفعل بادل، استحال كلّ منهما إلى التضادّ بحيث صار يدلّ على الشيء و ضدّه، إذ دلاّ على معنيي الأخذ و العطاء، و هنا يمكن توظيف التخمين الذي تسمح به التأثيلية على رأي "غيرو" (P. Guiraud)، لمحاولة ربط تطوّر دلالة فعلي "باع" و "شرى" بالفترة التاريخية التي بدأ فيها العرب يستخدمون النقود في تجارتهم. و ممّا يدعم ما ذهب إليه "جيز"(Giese) تعريف الخليل بن أحمد لفعل "باع" بشيء من الارتباك في قوله: "العرب تقول بعتُ الشيء بمعنى اشتريته، و لا تبعْ بمعنى لا تشتر [...] و الابتياع:

---

1 ـ نصار، حسين: مدخل تعريف الأضداد، ص ص. 8-9.

2 ـ المرجع نفسه، ص ص. 19- 20.

الاشتراء"[1] و من عادة صاحب كتاب العين أن يحاول الحسم في دلالة اللفظ على المعنى، و كأنّ نظرته التطوّريّة فاتته هذه المرّة فعزى تعريفه إلى العرب و كفّ. غير أنّه ذكر شيئا قد يشير عند المتوسمين إلى معنى تبادل الشيئين مِثلا بمِثل حين قال ضمن تعريفه لمادّة <شري>: "و شروى الشيء: مثلُه، و فلان شروى فلان، أي مثله [ثمّ أنشد بيت الخنساء]:

أخَوَين كالصّقرين لم يَرَ ناظرٌ شرواهما"[2]

و يذكر حسين نصار مثالا أخذه عن منصور فهمي لا يخلو من طرافة، و يقدّم صورة عملية لتطوّر المفردة الواحدة من الدلالة على المعنى و ضدّه، و هو اختلاف الناس في تحديد موضع إطلاق فعل "فتح"و فعل "أغلق" عند التعبير عن حدث ارتفاع و نزول القناطر الحديثة الصنع التي إذا ارتفعت مرّت السفن، و توقفت السيارات، و إذا أنزلت مرّت هذه و توقفت تلك، "فأصحاب المراكب يقولون عنها:فُتحت إذا فتحت لهم و أغلقت في وجه المارة، و الآخرون يقولون:فتحت إن حدث العكس، و لكن هؤلاء و هؤلاء غير منفصلين، و من هنا صار للكلمة معنياها المتضادّان و الشائعان معا."[3]

هذا، و إنّ لكتب الأضداد الكثيرة فائدة أخرى يحتاج إليها المعجم التأثيلي أو التاريخي العربي، تتمثل في ما يدعم به أصحابها أمثلتهم من شواهد قد تساعد معرفة عصور أصحابها التاريخية على ارتسام المرحلة التطوّرية التي دلّت فيها الكلمة على ضدّ ما كانت تدلّ عليه من قبل على غرار ما تكرّر في كتاب الأضداد للأصمعي (ت حوالي 217هـ)، و كتاب الأضداد لابن السّكّيت (ت حوالي 244هـ)، و كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني (ت 248هـ)، و كتاب الأضداد للحسن بن الحسن الصنعاني (ت 650هـ)، و قد حقّق هذه الكتب جميعها و نشرها الدكتور " أوغست هِفنر". و من الأمثلة المشفّعة بالشاهد ما ذكره أبو يوسف بن السّكّيت في كتـــــاب الأضداد: "و الرهوة الارتفاع، و الرهوة الانحدار [...] قال عمرو بن كلثوم:

---

1 ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج2، ص 265.

2 ـ المرجع نفسه، ج6، ص ص. 282- 283.

3 ـ نصار، حسين: مدخل تعريف الأضداد، ص. 20.

نَصَبْنا مثلَ رَهْوَةَ ذاتَ حدٍّ محافظةً و كُنّا السّـــابقينـــا

[...] و هذا من الارتفاع، و قال الأصمعي نظر أعرابي إلى بعير فالج فقال: سبحان الله رَهْوَةٌ بين سنامين. فهذا من الانهباط."[1] ففي هذا المثال إمكانية تصوّر تأخر دلالة الرهوة على الانحدار بالنسبة إلى دلالتها على الارتفاع ما دام الشاهد على هذه من أقدم ما وصل من العصر الجاهلي، أمّا الانهباط فقد استشهد عليه بما رواه الأصمعي عن أحد الأعراب و هو ما يسمح باحتمال مجيء هذا المعنى قريبا من العصور الإسلامية الأولى.

و لا يمكن في هذا الجزء من الفصل الأول من الرسالة الإتيان على كلّ المصادر التي يجب الاستئناس بها في محاولة إنجاز مشروع المعجم التاريخي العربي، لعددها الكبير في التراث اللغوي العربي؛ فمنها الكتب التي عالجت مسألة المولّد من الألفاظ، فـ " قد أظهرت العربية قابلية فائقة للتوليد، و لم يتردّد علماء العرب و فلاسفتهم في توليد الألفاظ رغم معارضة بعض الرجعيين القائلين بالاكتفاء بعصور الاحتجاج، و هذه خاصّة تُغني اللغة و تساعد على تطوّرها و نموّها لتعبّر عن الحياة المتطوّرة."[2]

و منها كتب الكلمات الإسلامية ككتاب الزينة في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم الرازي الذي يعتبر صاحبه وضع اللبنة الأولى في علم معاني الأسماء العربية، و المصطلحات الإسلامية[3]. و هذا النوع من الكتب يمكن الاعتماد عليه لتأريخ ظهور المفردات، أو تغيّر دلالتها بفترة زمنية قد تحدّد -على الأقل- ابتداء من بعثة سيّدنا محمّد ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ و انتهاء إلى عصر المؤلّف.

و ممّا ينبغي التنبيه إلى اعتباره من أهمّ مصادر المعجم التأثيلي للعربية القراءات القرآنية، و لم يتأخّر ذكرها لقلّة عطائها ـ معاذ الله ـ و إنّما لاقتضاء منهجية البحث التفصيل في شأنها ضمن مباحث الفصل الثاني، وما أشيرإليها ههنا إلا التزاما بالمنهجية نفسها ؛فهي مصدرمهم يمدّ واضعي المعجم التأثيليّ بمعلومات جليلة عن الواقع اللغوي في الجزيرة

---

1 ـ ابن السّكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: ثلاثة كتب في الأضداد، تحقيق و نشر "أوغست هفنر"، تعليق الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1913، ص ص. 169- 170.

2 ـ فريحة، أنيس: اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ/ 1989م، ص. 19.

3-يراجع:عبد العال،سالم مكرم،الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط1417،1ه/1996م،ص.5.

العربية في مرحلة التنزيل، و إشارات إلى أحكام تتعلّق بتاريخ لغة الضاد و جغرافيتها ، كما سيأتي بشيء من البيان في الفصل اللاحق.

ـ مصادر أخرى ذات أهمية للمعجم التأثيلي:

قد يكون ما سبق ذكره من مصادر قليلا من كثير، ذلك أنّ التراث العربي شديد الغزارة، و مهما يكن عند الناس من تصوّر الإحاطة به يبطله عثور الباحثين على كنوز جديدة يخرجها المحقّقون على مرّ العصور. غير أنّ هذا المستوى من الدراسة، و مقدرة البحث لا ترقيان إلى تتبّع ما تختزنه مؤلّفات القدامى من منافع جليلة يفيد منها المعجماتيون العرب المعاصرون في تجسيد مشروعهم اللغوي، و القومي، و الحضري المبتغى.

لذا، كان لا بدّ من الإشارة إلى مصادر أخرى يحتاج إليها المعجم التأثيلي العربي.

منها الإحاطة باللغات الشرقية القديمة، المسمّاة منذ سنة 1781م على يد عالم اللاّهوت النّمسويّ الألمانيّ "شلويستر" (Shloester) بالساميات*. [1] و ذلك للقرابة و الصِّلات المتينة بينها و بين اللسان العربي. و لا استنكاف هنا أن تفيد المعجمية من اللسانيات المقارنة، و منهجها في مقابلة الصيغ اللغوية مع ما يشترك معها في بعض الخصائص، الذي اعتمد "على معايير صوتية متينة، أيّدتها قاعدة الأخوين "غريم" (Grim) الصوتية، و على قواعد صرفية و نحوية متميّزة أسّست لها مدرسة النحويين الجدد الألمان (Néo Grammairiens)." [2] و لقد سبقت الإشارة إلى أنّ ظهور المعجم التاريخي في أوربا كان من ثمرات الدراسات المقارنة.

و ممّا يؤكّد ضرورة الاهتمام بهذا التوجّه اللغوي، أنّ اللسان العربي كثيرا ما يتطوّر بحسب قواعد صوتية من أهمّها التآلف، و التخفيف، و الإتباع من دون أن يخضع لإرادة إنسانية واضحة، فيحصل التغيير، و قد لا يجد الباحثون سبيلا إلى تعليله لأسباب أهمّها أن

---

* ترجع التسمية إلى سام بن نوح، غير أنّ استخدامها كان على أساس عربي و ديني أحيانا، ممّا يستدعي التفكير في مصطلح أنسب لغويا لتحديد الألسنة القديمة في المشرق، و التي منها العربية.

1 ـ يراجع: محفل، محمّد: العربية: لغة و كتابة، مجلّة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 75، ذو الحجة 1419هـ/ أبريل 1999م، ص. 66.

2 ـ الحمزاوي، محمّد رشاد: تاريخ المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989م، ص ص. 16- 17.

تكون قد "فقدت اللغة العربية الصورة الأصلية، و حافظت على الصورة الجديدة فقط. و مثال ذلك: "مع" فإنّها في العربية دائما على هذه الصورة، إلاّ أنّا نجدها تقابل الكلمة العبرية" "im" فـ"مع" العربية مقلوبة من "عِمْ"."[1]، و من الأمثلة ذات الصلة بتنظيم المعجم ما يتعلّق بكلمة "ركبة"، فهي في اللغات القديمة القريبة من العربية، الأكدية، و العبرية، و الآرامية، و الحبشية: "بركة" بتقديم الباء على الراء.[2] و هو ما يزيل اللبس في معنى فعل "برك" الذي يعني عند العرب: جثا على ركبتيه، فكيف يكون الفعل مشتقا من الركبة، و تسبق فيه الباء الراء و الكاف؟ إنّ هذا لدليل على أنّ فعل "برك" اشتقّ قبل مرحلة تطوّر كلمة "ركبة" من صيغتها الأولى "بركة"، و بقي هو على صورته لتآلف مجيء الراء بعد الباء في فعل ثلاثي فاستساغته العرب، أمّا الاسم الذي هو أكثر استخداما و جريا على اللسان، و صوته الأوّل مضموم (و الضمّ أثقل الحركات)، و الانتقال من شفوي مرقّق (الباء) إلى شجري مفخّم (الراء) أعسر من الانتقال من الراء مضمومة إلى الكاف ساكنة، ثمّ الباء، و هو ما أدّى إلى تطوّر شكل الكلمة من خلال القلب. و من الصيغة المتطوّرة في العربية "ركبة" جاء فعل "ركب" كما ينصّ عليه الخليل في معجمه: "ركب فلان فلانا يركبه ركبا، إذا قبض على فَوْدَيْ شعره، ثمّ ضربه على جبهته بركبتيه." [3] فلعل هذا الوضع وصفا لهذه الحال سبق امتطاء الدابة، و ربّما كان التشابه في الحركة سببا في نقل الدلالة من مقارعة الرجال إلى تذليل الأنعام، ثمّ إلى وضع الرجل على أيّ رَكوب . و تتجلّى هنا عبقرية الخليل، و نظرته التطوّرية للسان العربي في بنائه معجمه على تقليب الأبنية إشارة منه إلى أنّ هذا من خصائص تطوير العربية لخطابها في أحقاب غابرة ـ كما سيأتي في الفصل الثاني من هذا البحث ـ.

و بهذا تصير الحاجة إلى التعرّف إلى اللغات المشرقية القديمة ماسّة، و على مَن يتحمّلون مسؤولية إنجاز المعجم العربي التأثيلي التنبّه إلى هذا الأمر، و مطالبة الجامعات العربية

---

1 ـ برغشتراسر (G. Bergstrasser): التطوّر النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929م، إخراج و تصحيح، و تعليق د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1414هـ/ 1994م، ص. 36.

2 ـ يراجع: المرجع نفسه، ص. 36.

3 ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج5، ص. 362.

بالرجوع إلى تدريس خصائص هذه اللغات، و لو على مستوى الدراسات المقارنة، و المعجمية المتخصصة ضمن مشاريع ما بعد التدرّج ـ على الأقلّ ـ فلا شكّ في "أنّ المعجم التاريخي المنشود للغة العربية سيكون معجما تأصيليا و تاريخيا و مقارنا في آن واحد."[1]

و في هذا التنويه بالتوجه المقارن، ما يجعل الباحث يقف على أهمية الاطلاع على كلّ الدراسات اللغوية الحديثة عند العرب، فـ "في هذا الصدد يمثل تعدّد المقترحات من قطر عربيّ إلى آخر، و من باحث إلى آخر عنصر ثراء"[2]، لا سيما تلك التي لها صلة وثيقة بالتأصيل، و رصد التطوّر. و حتى يكون جنى هذه الدراسات دانيا من المعجم التأثيلي، و داعما له ينبغي صهرها جميعها في مشروع إنجاز هذا المعجم بتوجيه اهتمامات أصحابها، و الدعوة إلى توحيد الجهود و التنسيق بين أهلها، حتى لا تضيع الأعمال سدى، و لا تصير المقترحات المتعدّدة ضربا من الفوضى يفرّق و لا يجمع، و يهدم و لا يبني.

و من المصادر المساهمة في هذا الشأن أيضا دائرات المعارف التي كثيرا ما تكون خُططها "دالّة على استحصال وعي لغوي عارف بمتانة العلاقة بين استعمال الكلمة. و أطوار تاريخها و بتحويلات معانيها باختلاف الأزمنة و الأمكنة." [3]

كما صار من الضروري الرجوع إلى لغة الصحافة، فقد "أصبحت مصدرا زاخرا مفعما بالكلمات و المعاني الجديدة استحداثا و توليدا، أو نسخا و تعريبا."[4] و يحتاج تتبّع الخطاب الصحفي إلى خبير باللسان العربي يميز المولد الصحيح، من الخطإ الشائع، إذ لا يغفل ذو علم بالعربية عمّا تقع فيه لغة الصحفيين اليوم من لحن مشين، و استعمال سيّئ للمفردات سواء أ تعلّق الأمر بالمبنى أو المعنى، و ممّا يمكن الاهتداء به في هذا المجال ما أعدّه الشيخ اليازجيّ في كتابه <لغة الجرائد> "الذي بيّن فيه ما أتت به الصحافة من مفاهيم و تصوّرات لم تعرفها المعاجم العربية القديمة."[5]

1 ـ خليل، حلمي: المعرّب و الدخيل في المعجم اللغوي التاريخي، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989م، ص. 307.

2 ـ البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، مجلة المعجمية، العددان 5-6، ص. 405.

3 ـ الدريسي، فرحات: دائرة المعارف و صلتها بالمعجم التاريخي (العربي)، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989م، ص. 75.

4 ـ البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي، مجلة المعجمية، العددان 5-6، ص. 405.

5 ـ الحمزاوي، محمّد رشاد: المعجم العربي: إشكالات و مقاربات، ص. 218.

و من المهمّ أيضا تتبّع المحطات التاريخية الكبرى كالثورات، و إنجازات الملوك و الزعماءالعظمى، أو انتكاساتهم، أو وفاتهم، والحروب البارزة، و الاختراعات ذات الأثر الكبير، و الظروف الحضارية و الثقافية المهمّة، و مراحل تعاقب الأجيال، كل ذلك مجال كبير لحصول تغيّر في اللّغات و الكلمات، إمّا بوضع مصطلحات جديدة، أو تجديد دلالات الألفاظ، أو تحويل بعض ملامح شكل الكلمات...

و من أهمّ ما يجب رصده في هذا كلّه ما يسمّيّة المعجميون الغربيون الكلمات الشواهد "Mots témoin"، و هي مفردات مولّدة في الغالب يكون "إقحامها المفاجئ، [داخل الخطاب]، الذي يشكّل ميلادها، علامة لحال اجتماعية و اقتصادية و جمالية جديدة."[1] فكأنّ "الكلمة الشاهدة" رمز ماديّ لغويّ لحدث ذي أثر معنوي في نفوس و حياة الأجيال المتعاقبة، "فهي العنصر المعبّر و الواقعيّ معا، الذي يجسّد أمرا حضاريا." [2] و من أمثلته في اللسان الفرنسيّ كلمة "coke" (مستخلص الفحم) التي تعتبر من "الكلمات الأكثر دلالة في نهاية القرن الثامن عشر. فإقحامها حوالي 1770 هو العلامة الأولى على ميلاد الرأسمالية الصناعية في فرنسا؛ ففي اليوم الذي استبدل فيه (الفحم المستخلص) "coke" بالخشب في الصناعة المعدنية وُلدت الصناعة الكبرى."[3] و لعلّ من الكلمات التي يمكن الوقوف عندها في العربية المعاصرة، و البحث عن علاقتها بالأحداث لتسجّل بداية مرحلة تطوّرها، أو إنشائها: الوطنيّة ـ الحكومة ـ الإعلام ـ البسترة. فكلمة بسترة ـ مثلا ـ دخلت المعجمات الحديثة، و اعتبرت معرّبة.[4]

و بالجملة، فإنّ المعجم التأثيلي العربي تتعدد مراجعه إلى قدر لا يُتصوّر، "يمثل كلّ مراحل وجود اللغة المكتوبة و مستوياتها المختلفة منذ بدء التدوين في لغة النقوش المحققّة الموثّقة حتى الآن."[5]

1- Alain Rey: Initiation à la linguistique: la lexicologie, p. 169.

2- Ibid, p. 168.

3 ـ يراجع: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج1، ص.55.

4- Alain Rey: Initiation à la linguistique: la lexicologie, p.168.

5 ـ الحمد، علي توفيق: المعجم التاريخي العربيّ، وقائع الندوة التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس، العددان 14-17 نوفمبر 1989م، ص. 135.

و هذا ما يجعل القيام بمشروع المعجم التأثيلي أو التاريخي العربيّ غير مقتصر على بعض المتخصّصين، أو الهيئات العلمية، بل هو عمل جماهيريّ تشارك فيه فئات متعدّدة؛ فقد أشرك صانعو معجم "أكسفورد" معهم في جمع الشواهد مئات من القرّاء ليحصلوا على مليوني شاهد."[1] و الشيء نفسه قام به المركز القومي الفرنسيّ و هو لا يزال يعدّ مشروع معجمه، و جمع في عشر سنين أكثر من 250 مليون شاهد.[2]

2- 5 ـ تقنيات التعريف في المعجم التأثيلي:

لا يمكن الخوض في تقنيات المعجم التأثيلي العربي بتعمق كبير لأنه غير مجسد في الواقع، وكل ما يمكن الإشارة إليه اقتراحات لمّا تهيأ لها أسباب الوجود، و مثل هذا الإرصاد مهمّ إذ لابد من التصور والتخمين، والتفكر والتصميم قبل الانجاز، اتخاذا لشيء من التفاؤل عسى أن يكون له بعده.

إن أول ما ينبغي التنبه إليه في موضوع تقنية التعريف في المعجم التأثيلي ،أو التاريخي أن لا يشتمل على محتويات تعريف المعجمات اللغوية العامة، وإنما ينبغي أن تحدد منهجية للتخفف من بعض جوانبها، وإضافة أخرى يُحتاج إليها؛ وذلك بـ« إسقاط ما لا ينتمي إلى وظيفته التاريخية [...] أما الزيادة فينبغي أن تبدو واضحة في تنوع السياقات المختلفة للفظ على امتداد العصور لتبيان ما اعترى اللفظ من تطور وتغير عبر التاريخ»[3] و بهذا يزداد ما يخدم هذا المعجم ، و يُتجنب التضخم الذي يعتور بعض المعجمات القديمة.

والأمر الثاني المهم في تقنيات تعريف المعجم التأثيلي العربي استعمال المصطلح المتعلق بكل كلمة يبين درجتها في التأثيل؛ إن كانت فصيحة، أم مولدة أم معربة، أم دخيلة، أم محدثة... و هذه المصطلحات ملأت كتب الأولين، و أراد كثير من المحدثين تكريسها في معجم لا يزالون يتمثلونه، بل إن منهم من زادها تفريعا كأن يُجعل لما أقره المجمع اللغوي مصطلحا ورمزا خاصا،[4] ولما كان مقترضا من اللغات الشرقية القديمة "الساميات" اسما

---

1 - يراجع: نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوّره، ج2، ص. 617.

2 - يراجع: علي توفيق: المعجم التاريخي العربيّ، ص. 137.

3- عبد المنعم حمد: المعجم العربي التاريخي، مفهومه، وظيفته،محتواه، ص 175.

4- يراجع، حلام، الجيلالي: تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه، ص ص. 334-337.

مخالفا لما اقترض من اللغات الهندوأوروبية أو غيرها .[1] وفي هذا إثقال مبكر لكاهل معجم لمّا يُخرج للناس وهم له مرتقبون، ويراد له أن يُتلقى بالقبول من خاصة الناس وعامتهم. لذا يجب التخفيف من هذا الزخم الاصطلاحي ، والاكتفاء عند اللفظ غير الأثيل في اللسان العربي بذكر" مقترض" و في هذا إفادة من تقنيات المعجمات التأثيلية الفرنسية التي لا تزيد على ذكر كلمة (Emprunt)،و ليس من تأسى بمن سبق و بلغ بمُليم.

أما من أراد تتبع التعمق في معرفة درجة اقتراض الكلمة، أو نسبتها إلى أعلى مستويات الفصاحة، فله في الدراسات المعجمية ما يسد هذه حاجته ويشبع نهمته.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الشواهد التي يجب أن ترافق كل بيان لتغير الكلمات شريطة أن تكون موثقة معلومة الزمان والمكان كما سبق بيانه، غير أن ذكر أبيات الشعر كاملة قد يسم المعجم المرتقب بالتضخم، لذا يمكن الاكتفاء بذكر صاحب البيت وسنة وفاته- مثلا- على طريقة المعجمات التأثيلية والتاريخية الأجنبية، فقد جاء في تعريف المعجم التأثيلي الفرنسي لكلمة "ABANDONNER"(تخلى): «حوالي 1080"رولان" (Roland) »[1] وهو اسم المستعمل الأول للفعل المجرد من الزمان. وفي هذا تحقيق للهدف، وتخفيف على المستعمل والمؤلف معاً .

هذا وإن للفظ المقترض وضع خاص في المعجم التاثيلي العربي ينبغي الاحتياط له حتى لا تؤتى معالم التأثيلية من قِبَل تقنيات تعريف معجمها، ويتمثل ذلك أساسا في :

- ترتيب اللفظ المقترض بحسب تتابع حروفه الثلاثة الأولى لأنه غير عربي، ولا يمكن أن ُتجرى عليه أحكام الاشتقاق العربية،فيُعرى من الحروف الزائدة قصد رده إلى أصله. وهذا يقتضي أن يكون مشتقا لا مقترضا، وإنما يجب إقامة «الترتيب الدقيق الذي يعتبر حروف المعربات كلها أصولا- الصوامت والصوائت على السواء-»[2] .

1- يراجع حلمي خليل، المعرب والدخيل في المعجم اللغوي التاريخي، ص ص 338-339.

2- Dictionnaire étymologique de la langue française, O. Bloch et W. wartburg :p.1

3- ابراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، ص 238.

وقد تنبه مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى هذا الأمر حين اتخذ موقفا تمثل في«وضع الكلمات المعربة في ترتيبها الهجائي لأنها ليست لها في العربية أسَر تنتمي إليها.» [1] وعدم الالتزام بهذا الأمر يوقع في أوهام يجب أن يُربأ بالمعجم القومي والحضاري عنها،ذلك أن إزالة ما ُيظن أنها حروف زائدة يجعل للكلمة أصلا ُمدعى في العربية وهو منها براء، وقد وقع هذا الخلل في معجمات قديمة كوضع كلمة "إستبرق" في مادة "برق"،وهي معربة غير أثيلة. و هو ما رده السيوطي بحزم و شيء من السخرية حين قال: «ومحال أن يشتق العجمي من العربي، أو العربي منه ؛ لأن اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى [...] ومن اشتق الأعجمي المعرب من العربي، كان كمن ادّعى أن الطير من الحوت.» [2]

ومما يضاف إلى مسألة الترتيب أيضا أن لا يُحرص على وضع الفعل أوّلا، وإنما مناط الأمر التدرج بحسب تتابع الاستعمال العربي لصيغ المفردات المقترضة ، إذ «الأصل في الاقتراض هو الاسم - وخاصة ما دل على شيء- ونادرا جدا ما يُقترض الفعل من اللغة الأعجمية.» [3]

ومن التقنيات المهمة في تعريف المقترض، كتابته حسب نطقه في لغة الأصلية،مع دلالاته أيضا فيها،لأن الرسم الأصلي يعين كثيرا على معرفة الحقل الذي تنتمي إليه أثلة (étymon) الكلمة المقترضة، لئلا يحدث لبس ،لا عند مستعمل المعجم العربي ولا عند غيره ممن يعرفون لغتها الأصلية المُقرِضة، ولقد مرّ في هذا البحث ما وقع فيه المعجم الوسيط من خلل حين وضع كلمة"Ethyle" ضمن مادة "أثل".

ومثل هذا وقعت فيه المعجمات الفرنسية عند تأثيلها لكلمة"Alcool" العربية الأصل، فقد اتفقت جميعها على أنها من"al-Kohl" العربية، مما جعلها تشرحها بالإثمد (المسحوق)، بينما اقترضت الكلمة بفعل حضاري علمي، فقد كان أول تعرف إلى المادة واسمها

1- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ص. 4 .من مقدمة الطبعة الثانية بقلم إبراهيم مدكور.

2- السيوطي، المزهر،ج1، ص.229.

3- إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم ص.245.

في مجال الكيمياء باعتبارها سائلا استخدمه العرب المسلمون طبيا، واستعمله الأوربيون في تعتيق خمورهم منذ 1594 .[1]

وبعد تتبع تعريفات الكلمة في المعجمات العربية القديمة، ُعثر لدى" ابن منظور" على صيغةُكحيل:« مبني للتصغير:الذي ُتطلى به الإبل للجرب، لاُيستعمل إلا مصغرا [...] قيل: هو النفط والقطران... »[2] فلا بد إذ من أن يكون الغربيون قد أخذوا اسم ُكحيل" المصغر والذي يبدو أنه اختفى من استعمال العرب بعد أن اتخذه بعض الكيميائيين المسلمين، ناقلي الحضارة إلى الأندلس، مصطلحا للسائل المطهر المحترق في آن واحد كما ينص تعريف لسان العرب السابق. وفي مقابل هذا المثال وُفق المعجم التأثيلي الفرنسي في اختصار طريق البحث على كل عربي حين رسم أثلة (étymon) كلمة الع "Assassin"(قاتل)، على هذا النحو:

[3] Assassin : 1560[…] de l’ar.[ ] Hachāchī «buveurs de hachisch»

فسهل بذلك معرفة أنّ مصدر الاقتراض هو لفظ "حشاشين"، مما يسمح بتصور قصة للكلمة مفادها أن البطش بالناس كان صفة لجماعة يتعاطون الحشيش مخدراً، فعُرفوا بهذه الصفة، وانتقلت إلى اللغات الأوربية بمعنى "القتلة".

وهكذا يمكن أن ينحو التعريف في المعجم التأثيلي أو التاريخي المرتقب النحو الآتي:

1- تاريخ ظهور اللفظ (نشأته أو دخوله حقلا دلاليا إن كان أثيلا، أو دخوله إلى العربية إن كان مقترضا)،

2- تحديد كيفية ظهوره:الاكتفاء ب مولد للأثيل - و مقترض للدخيل أو المعرب،

3- اللغة التي ينتمي إليها:مجال استعماله بالنسبة إلى الأثيل-اللغة المُقرضة بالنسبة إلى المعرب أو الدخيل،

4- الأصل الأعجمي بالنسبة إلى المقترض،

---

1 – Dictionnaire historique de la langue française, T1, pp. 78-79.

2- ابن منظور، لسان العرب ج11 ص 586.

2- Dictionnaire étymologique,J.Dubois- H.Mitterand- A.Dauzat, p :46 3

5- الدلالة الأصلية:قبل انتقاله إلى الحقل الدلالي المكتسب بالنسبة إلى الأثيل – الدلالة في اللغة الأصلية بالنسبة إلى المقترض،

6- المظهر الصوتي:مع الوقوف عند تبدل الصوت بتعليله و التأريخ له،

7- المظهر الصرفي:تتبع التغير التطوري تاريخيا،

8- المظهر النحوي.

الفصل الثاني

المستويـات النظرية للتأثيـــــل

في كتاب العين

1 ـ التأثيل اللغوي قبل الخليل؛

2 ـ مستويات التأثيل النظرية في كتاب العين.

1 ـ التأثيل اللغوي قبل الخليل:

لا يكاد يعثر الباحث على مادة علميّة مكتوبة سابقة لمعجم " كتاب العين" تهتم بتأثيل المفردات أو اللغة، و ما أمكن الوقوف إلاّ على عناوين لمؤلفات ذكرها مؤرّخون من غير أن يصل منها شيء محقّق أو مطبوع.

و يرجع هذا أساسا إلى ظهور "كتاب العين" في حقبة لم يزل السابقون الأولون من علماء اللّغة يجمعون مادتها من القبائل كيفما وُجدت، و لم يشرع في تصنيفها بحسب موضوعاتها إلاّ قليل منهم، و أولهم "أبو خيرة نهشل بن زيد الأعرابي" (أستاذ كلّ من أبي عمرو بن العلاء، و الخليل بن أحمد) صاحب كتاب "الحشرات"[1] الذي تبلورت فكرته إلى ما صار معروفا بمعجمات المعاني التي لم تقع أولاها بين أيدي النّاس إلاّ خلال القرن الثّالث الهجري على يد "أبي عبيد القاسم" (ت 224هـ) صاحب" الغريب المصنّف"، و "ابن السكيت" (244هـ) صاحب كتاب "الألفاظ".[2]

فلا جرم أن يكون "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت 175هـ) قد أحدث طفرة في التفكير اللّغوي حين بادر بتأليف معجم عامّ و منظم لمفردات اللسان العربي، سابقا مرحلة صناعة هذا النوع المتكامل من المعجمات، و مزامنا للمرحلتين اللّتين كانتا فرطا له و هما:مرحلة جمع الكلمات كيفما وُجدت، و مرحلة: جمع الكلمات المتعلّقة بموضوع واحد. و هذا ما أربك "أحمد أمين" بعد أن حدّد المراحل الثّلاث لتطور عمل المعجميين العرب القدامى، و اطمأن إليها من الناحية النظرية، فقال:" لا يعكر على هذه الفكرة إلا

---

1 ـ يراجع: نصّار، حسين: المعجم العربيّ: نشأته و تطوّره، ج1، ص. 29.

و: آل ياسين، محمّد حسين: الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1400هـ-1980م، ص. 197-198.

2 ـ يراجع: آل ياسين، محمّد حسين: الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. 302.

أنّ الخليل واضع الفكرة الثالثة، كان أسبق زمنا من [...] واضعيّ الفكرة الثانيّة."[1]

1 - 1 - أولى إرهاصات التأثيل قبل الخليل:

لمّا كانت الحياة العلمية لدى المسلمين كلها إنما نشأت ملازمة للقرآن الكريم و مُنْبثقة منه، "فإنّ تأريخ هذه الحياة تاريخا موضوعيا ينبغي أن يبدأ من هذه الحقيقة."[2]

و علوم اللغة أجدر بأن تكون أوثق أبواب المعرفة صلة بكتاب الله تعالى، إذ العربية لسانه المبين، و صورته التعبيرية المثلى، مما يجعل الاعتناء بها، و معالجة أبنيتها و معانيها من لوازم الاشتغال بالذكر الحكيم، لذا فمن غير المجدي البحث عن مؤلف لغوي سبق جهود "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بعيدا عن الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم.

و إذا كان معظم المؤرخين لنشأة علوم اللسان العربي أرجعوها إلى الحرص على صون كلام الله ـ تعالى ـ من اللحن، منذ أن طلب "زياد بن أبيه"، و كان يومئذ واليا على العراق، من "أبي الأسود الدؤلي" ضبط القرآن بوضع علامات تُعربه،[3] فإنّ المتأمّل واجد أنّ حاجة المسلمين إلى فهم النص القرآني كانت سابقة لبدء ظهور اللحن في تلاوته، و هي أكثر إلحاحا لما لها من ارتباط وثيق بتطبيق تعاليم الإسلام. و قد سجل لنا التاريخ أسئلة عن معاني مفردات و آيات الذّكر الحكيم منذ عهد النبوة و الخلفاء الراشدين.[4] و لا يُعقل أن يؤدي السعي إلى حفظ القرآن من اللحن إلى كل ما آلت إليه الدراسات اللغوية عند العرب، و لولا أن يكون الدّافع فهم الخطاب الإلهي، و إدراك أسرار إعجازه، و استنباط الأحكام منه لما قاربت مباحث اللسان العربي الشأو الذي بلغته خلال أحقاب قليلة.

---

1 ـ أمين، أحمد: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 10، د ت، ج 2، ص. 270.

2 ـ الرّاجحيّ، عبده: فقه اللّغة في الكتب العربيّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، مصر، 1993م، ص 33.

3 ـ يراجع: آل ياسين، محمّد حسين: الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص ص. 53-54 و ص. 57.

4 ـ يراجع: السّيوطي، جلال الدّين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق عبد الرّحمن فهمي الزّواويّ، دار الغد الجديدة، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ج2، ص. 4.

و لولا ذلك ما اعتبر المسلمون دراسة العربية فريضة دينية، و شرطا لأي عمل يكون قطبُه الكتابَ المنزل، حتى قال "الثعالبي":" و العربية خير اللغات و الألسنة، و الإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم، و مفتاح التفقه في الدين، و سبب إصلاح المعاش و المعاد[...] و لو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، و الوقوف على مجاريها و تصاريفها و التبحر في جلائلها و دقائقها إلاّ قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، و زيادة البصيرة في إثبات النّبوّة الذي هو عمدة الإيمان لكفى بها فضلا يحسن أثره، و يطيب في الدّارين ثمره."[1]

و قال "السيوطي" بعبارة أوجز و أدق:" و لا شك أنّ علم اللغة من الدين، لأنه من فروض الكفايات، و به تُعرف معاني ألفاظ القرآن و السنة"[2] فالبحث عن توضيح معاني القرآن ـ إذن ـ هو المطلب الأول للمسلمين، و بدونه لا يمكنهم العمل بالتنزيل، مما يُبوّئ المجال اللغوي الخالص أو ـ إن شئنا ـ الحقل المعجمي أُولى منازل طلائع دراسات اللسان عند العرب. و قد بدت ملامحه منذ عهد النبوة حين كان الصحابة يسألون الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ عن دلالات بعض آيات الكتاب، إذ لم يكونوا سواء في فهم ما يحمل كل لفظ من معنى، خاصة أنّهم كانوا من قبائل شتى، و لكل واحدة لغتها، و القرآن نزل بلغة قريش في عمومه، فطبيعي أن يستغرب بعضهم مفردات لم يألفها، و يشكل على بعضهم مدلول بعض الكلمات، ممّا جعل " تفسير غريب القرآن و مشكله أُولى الحركات العلمية التي رآها العرب"[3]، إذ أنّ السعي إلى إزالة غرابة اللفظ، و ما اكتنفه من إشكال يفضي حتما إلى محاولة معرفة سبب هذه الغرابة، و ذاك الإشكال ممّا يفتح أمام المشتغل بهذا الشأن آفاقا رحبة لتتبع المفردات من حيث نسبتها إلى الناطقين بها،

---

1 ـ الثعالبيّ، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل: فقه اللّغة و أسرار العربية، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 2، 1420هـ/ 2000م، ص. 29.

2 ـ السيوطي، جلال الدّين: المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ / 1998م، ج2، ص. 260.

3 ـ نصّار، حسين: المعجم العربيّ، نشأته و تطوّه، ج1، ص. 26.

و تعدّد دلالاتها، و هو ما يسمح بتمثل مظاهر أولية لأبعاد تأثيلية لدى المشتغلين بغريب القرآن، كما يسمح الأمر نفسه باعتبار هؤلاء يمثلون الفئة الأولى التي يمكن أن تكون قد جادت بمحاولات تفسيرية ستشكل بعد تطورها المادة العلمية التي يمكن اعتبارها ممّا سبق العملَ المعجماتي لـلخليل بن أحمد الفراهيدي.

كتب غريب القـــــرآن:

لقد استقر البحث ـ بعد ما ذكر ـ على أنّ الاهتمام بغريب ألفاظ القرآن الكريم كان أول انشغال لدى العرب، فطبيعي أن يكون " التأليف [فيه] أول ما ظهر من فنون التأليف اللغوي."[1]

و إذا لم يكن أحد أحق و لا أقدر في الرعيل الأول من المسلمين بالمبادرة إلى تفسير ما استُغرب، و توضيح ما أشكل من "عبد الله بن عباس"[2] ـ رضي الله عنهما ـ فغير ممكن أن يسبقه أحد إلى تزويد الأمة بإرث معرفي يكون مُبتدأً لمؤلفاتِ أولى الحركات العلمية عند العرب.

أ ـ غريب القرآن لـ" عبد الله بن عبّاس" (ت68هـ):

ذكر "ابن النديم" أنّ أول كتاب أُلف في تفسير القرآن هو كتاب "ابن عباس" الذي رواه "مجاهد" عنه.[3] و إذا كان صاحب "الفهرست" أثبت لترجمان القرآن السبق في التفسير عموما، فإنه من الأولى أن يكون " أول من يُعزى إليه كتاب في غريب القرآن."[4] غير أنّ أحدا من الباحثين لم يدّع العثور على هذا الكتاب[5] إلاّ ما كان من "بروكلمان" الذي زعم أنّ نسخة منه كانت في مكتبة برلين قبل الحرب العالمية الثانية.[6] و لم يتيسر لهذا البحث العثور عليه مع ما بُذل من جهد في سبيل التوصل إليه.

---

1 ـ آل ياسين، محمّد حسين: الدّراسات اللغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص. 146.

2 ـ لقد كان "ابن عبّاس" مرجع الصّحابة و التّابعين من بعدهم فيما أشكل في فهم مفردات القرآن، لما كان له من علم لا يضاهى في هذا الشّأن، و لعلم النّاس بدعوة الرّسول-صلى الله عليه و سلم- له بأن يفقهه في الدّين، و يعلّمه التأويل (أي تأويل القرآن).

4 ـ نصّار، حسين: المعجم العربيّ، نشأته و تطوّه، ج1، ص.33.

5 ـ يراجع: المرجع نفسه، ج1، ص. 33.

6 ـ يراجع: المرجع نفسه، ج1، ص. 33.

و إن كان قد فات النّاس اليوم الحصول على مؤلف مطبوع عنوانه " غريب القرآن لابن عبّاس" فإنه لا تفوتهم إمكانية الاطلاع على أقوال أعلم الصحابة بالتأويل في تفسير ما استغرب، إمّا تلقينا أو ردّا على أسئلة دأب الناس على توجيهها إليه. و لعل هذا الإرث الشّفويّ يستجمع ما نُسب إلى "ابن عبّاس" من كتب في التّفسير على غرار: "تنوير المقباس"، و "اللغات في القرآن"، و "غريب القرآن" ـ موضوع البحث ـ.

و أقوال ابن عبّاس في توضيح معاني القرآن مبثوثة بين ثنايا كتب التّفسير، و اللّغة، و الأدب. وممّا يمكن الجزم به أنّ ما نُسب إلى ابن عباس من مؤلفات هومن وضع المشتغلين بجمع آرائه و تصنيفها من بعده ؛ إذ كان بعضها شرحا لعبارات من كلام الله ـ تعالى ـ، و بعضها تحديدا للغة القبيلة التي ترجع إليها بعض ألفاظ الذكر الحكيم، و بعضها رواية لأشعار العرب التي وافقت كلمات من التنزيل. فنظر كلّ من هؤلاء إلى زاوية من هذا الزخم الهائل من التأويلات و الشروح و الشواهد، فضم ما يتعلق بها ـ في تصوّره ـ بعضها إلى بعض و اقترح لها أحد العناوين السابق ذكرها.

و مهما يكن من أمرفإنّه يمكن اعتبار مادة البحث متوفرة و إن لم تضمها دُفتا كتاب بعينه، و هي مُكتنزَة في المرويات الكثيرة التي تُنسب إلى "ابن عباس"، و التي تعتبر " أولى ما يرجع إليه [...] فإنّه ورد عنهم [أي ابن عبّاس و أصحابه الآخذين عنه] ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة."[1] فليس للباحث ـ إذن ـ بدّ من تتبع أقوال الواضع الأول من جيل الصحابة لعلوم التّفسير، المنقولة عنه بالأسانيد و التي اعتنى "جلال الدّين السّيوطيّ" بجمعها ضمن "أنواع"[2] متعدّدة من كتابه "الإتقان في علوم القرآن،"و التي يعتبرمعظمها إجابات على أسئلة نافع بن الأزرق، و مما

---

1 ـ السّيوطيّ: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص. 5.

2 ـ استعمل السيوطيّ لفظ "أنواع" لكلّ قسم من محتويات أجزاء كتاب "الإتقان في علوم القرآن" دون استخدام الأبواب و الفصول ـ مثلا ـ.

و مما يمكن التماسه مما ورد عن ترجمان القرآن من أقوال قد تقارب اهتمام التأثيليين مصنّفة كما يأتي:

ـ شرح الغريب:فقد رويت شروح "ابن عباس" لألفاظ بدت غريبة لبعض السائلين، من طرق كثيرة، غير أن التي اعتمدها "السيوطي"، و هي أصحّها لأخذ الإمام "البخاري" بها، و التي منها:

ـ "فلا جناح": [الآية. 185/ سورة البقرة]، قال: فلا حرج.[1] و السؤال هنا على احد أمرين: إما أنّ اللفظ مما لم يكن متداولا عند التنزيل، أو انّ دلالته المعهودة عند المتكلمين لم تتسق مع السياق فاضطرّوا إلى السؤال، و في كلتا الحالين، فإن مثل هذا التفسير من "ابن عباس" ـ و هو كثير ـ يمكن أن يقدّم مختزنا ثمينا للتأريخ للمفردات الإسلامية. و مما يدعم هذا أن شروح المفسرين، و المعجماتيين توحي بعدم شيوع معنى الحرج في كلمة "فلا جناح". كما يظهر من قول "الطاهر بن عاشور": "و الجناح بضم الجيم: الإثم. مشتق من جنح إذا مال، لأن الإثم يميل به المرء عن طريق الخير"[2]، و لم يزد "ابن منظور" في تعريفه على معنى الميل و الإثم.[3]

ـ و من بيانه للدخيل على العربية قوله عن تفسير "الجبت" في قوله تعالى: "أ لو تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت و الطاغوت."[4]

"الجبت: اسم الشيطان بالحبشية"[5] و يؤكد أعجمية اللفظ ما قاله "ابن عاشور": "الجبت كلمة معرّبة من الحبشية، أي الشيطان لأنّ مادة ج ب ت مهملة في العربية."[6] و في عبارة "مادة ج ب ت مهملة" ظهور بارز لفكر "الخليل بن أحمد"

---

1 ـ السيوطي: الإتقان في علو القرآن، ج 02، ص. 06.

2 ـ ابن عاشور، الطاهر: تفسير التحرير و التنوير، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، 1997، ج02، ص. 61.

3 ـيراجع:- ابن منظور: لسان العرب،ج2،ص.430. ما

4 ـ سورة النّساء: الآية 51.

5 ـ السيوطي: الإتقان في علو القرآن، ج 02، ص. 91.

6 ـ ابن عاشور، الطاهر: تفسير التحرير و التنوير، ج 05، ص. 85.

الذي بيّن في معجمه "كتاب العين" كل مهمل و مستعمل من أبنية اللسان العربي، و سيأتي بيان ذلك، و يتأكد من خلال قول "الجوهري" الذي ضمنه "ابن منظور" تعريفه للجبت و هو: "و هذا ليس من محض العربية، لاجتماع الجيم و التاء في كلمة من غير حرف ذولقي."[1]

و هذان مثالان للإشارة فقط، فمسار البحث لا يسمح بالاستفاضة، و هذا أفق آخر قد تتاح الفرصة للاهتمام به مستقبلا عن مطالب أخرى، فلـ"ابن عبّاس" من الإرهاصات التأثيلية و التاريخية ما يحفّز الهمم، و يستثير إرادة الباحثين.

أمّا كتب الغريب بعد "ابن عباس"؛ فقد ذكر بعض المؤرخين أن الإمام "زيد بن عليّ" (ت 122 هـ) ألف كتابا في غريب القرآن[2]ن لم يحصل يقين من تاريخ تدوينه، أو صحة نسبته إلى صاحبه. و بعده ظهر كتاب في غريب القرآن لـ "أبي سعيد أبان بن ثعلب بن رباح البكري" (ت 141هـ)، و هذا الكتاب و إن لم يعثر عليه، فغن ثبوت صحة نسبته إلى صاحبه ـ على الأقل ـ "يجعلنا نوقن أن التدوين في هذا الفرع من العلوم لم يتأخر عن النصف الأول من القرن الثاني للهجرة."[4]

و من الذين يمكن أن يكونوا ألّفوا في غريب القرآن قبل "الخليل"، "علي بن حمزة الكسائي" (ت 189هـ)، و "أبو فيد مؤرج السدوسي" (ت حوالي 190هـ)، و لم يصل إلينا من كتبهما شيء."[5] و بهذا يبدو "الخليل بن أحمد الفراهيدي" رائدا في كل ما سيمكن استجلاؤه من ملامح تأثيلية تضمّنها "كتاب العين".

---

1 ـ ابن منظور: لسان العرب، مادة "جبت".

2 ـ يراجع: نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. 33.

3 ـ يراجع: ـ آل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص. 149.

ـ الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، ج01، ص 108.

4 ـ نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. 33.

5 ـ المرجع نفسه، ص. 34.

1 - 2 - الإشارات التأثيلية في القرآن الكريم:

لما خلت الدراسات اللغوية من محاولة تأثيلية جادة ومدونة قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي. وقف البحث طويلا عند الصرح الرباني العظيم، كلام الله تعالى، القرآن الكريم. و كان مبتدأ السؤال: إذا كانت الدراسات اللغوية و البلاغية كلها ،و غيرها من مجالات المعرفة عند العرب إنما انبثق نورها من الذكر الحكيم أفلا يمكن للتأثيلية (أوالمعجمية عامة) أن تأنس في ضيائه ما يجعلها تأتي بقبس أو إشارة لعل باحثيها يهتدون؟

و القرآن نص موثق صحيح الثبوت، واضح الدلالة، شامل للغات العرب وطرقها في النطق ،و ذلك من خلال نزوله على عدة أوجه توافق مذاهب العرب في الكلام جُملة، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:« إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه.»[1] و من الناحية المنهجية، فآيات كلام العليم الخبير نصوص سابقة للخليل بن أحمد الفراهيدي، مع ما ينبغي لها من قدسية، و بعدها من أزلية.

و وَجْهُ الاشتغال بالذكر الحكيم من حيث الاهتمام التأثيلي، أنه احتوى على بعض الاستعمالات اللغوية التي تتميز أحيانا عن الشائع العام في كتاب الله نفسه أولا، و فيما استقرت عليه قواعد العلماء ثانيا. و هذه الاستعمالات جديرة بأن تستحث همة الباحثين ليحاولوا تفسيرها، و الإفادة منها ضمن حقل من حقول اللسانيات، و قد تكون التأثيلية إحدى أهمها.

و لا يمكن الإتيان على كل ما استرعى البحث، فهو كثير و جلُّه لمّا يأخذ حقه من الدراسة المستفيضة اللائقة به، كما أن المقام لا يسمح بالاستطراد، مما يستدعي

1- البخاري ، صحيح البخاري ، ج2/ص 559.

الاقتصار على بعض الجوانب تمثيلا و إشارة، من خلال الوقوف على بعض ما تميز به معجم القرآن الكريم ، و أهمه :

أ ـ الاحتفاظ بآثار المراحل التطورية للغة :

و هي كثيرة في القرآن لمن أراد أن ينظر إليها بعين المؤرخ، لا عين المعياري المتأوّل، و لعل مثالا واحداً منها يلقي الضوء على المقصود؛ فمن الاستعمالات اللافتة للانتباه في كلام الله تعالى احتفاظه باضطراب ظاهر في ضبط صورة المثنى، و ذلك من خلال الإسناد إليه، أو إعادة الضمير عليه. و لعل بعض الأمثلة توضح الرؤية؛ ففي قوله تعالى: (هذان خصمان اختصموا في ربهم)[1]، فالمسند إليه مُثنى "خصمان"، و الفعل المسند احتوى على واو الجماعة "اختصموا" و الضمير العائد في "ربهم" جمع. و في قوله تعالى: (و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)[2] .مثل الذي سبق، فالمسند إليه "طائفتان" مثنى، و الفعل المسند اقتتلوا" مصرّف على جماعة. و يظهر الأمر نفسه في قوله تعالى: (فقال لها و للأرض اِئتيا طوعا أو كَرها، قالتا: أتينا طائعِين)[3] ففيها: "قالتا" مثنى، و "أتينا طائعِين" جمع.

و يمثل هذا الاستعمال في القرآن الكريم ـ بلا ريب ـ واقعا لغويا كانت العربية تشقّ فيه طريقها نحو التقليل من استخدام المثنى، و ربما التخلي عنه كما فعلت كثير من الألسن. و مما يشهد لهذا أنْ « تقلصت ظاهرة المثنى في اللغات السامية كثيرا حتى نراها في الآرامية والفينيقية والعبرية تُستعمل على نطاق ضيق جداً، و في شروط خاصة. »[4]

1- سورة الحج، الآية 19.

2- سورة الحجرات، الآية 9.

3- سورة فصلت، الآية 11.

4- إلياس، بيطار: أهمية لغات المشرق في دراسة النحو العربي ، مجلة التراث العربي ، العدد75 ، 1999، ص 102.

و معاملة المثنى معاملة الجمع في الآيات السابقة الذكر، مرحلة تطورية وُجدت قبَيل نزول القرآن، غير أن قلتها بالنسبة إلى ما استقام فيه أمر العدد في القرآن بأن يتميز المثنى عن الجمع في الإسناد و التصريف في الأسماء و الأفعال، يجعل ما سبق ظاهرة أوقف الذكر الحكيم مسارها لتحتفظ العربية بالمثنى و تفيد مما يوفره من تعدد و دقة معا.

و إنّ مما حافظ عليه القرآن في شأن المثنى أيضا، ما يتعلق بعلامة إعرابه، فهو، كما استقرّ عند النحاة، يُرفَع بالألف، و ينصب و يجر بالياء، و هو ما اطرد في استعمال كتاب الله تعالى كله إلا في موضع واحد حيث جاء المثنى بالألف و هو في محل نصب، في قوله تعالى: (إنّ هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما). [1]

و قد خاض النحاة في تأويل هذا المشكل، و شقّوا على أنفسهم و على الناس بما لا يزيد المشكل إلا إشكالا، و لم يكن من داع إلى هذه «التأويلات و التقديرات التي تُشتت الفكر، و تحير العقل، و تجعل طالب النحو يعيش في دوامة من اضطرابات الآراء و تناقض الأفكار، [...] لِمَ لا نريح أنفسنا و نوفر هذا المجهود الذي لا يوصل إلى الهدف؟ و نقول إنها لغة، و اللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع لهذه المقاييس النحوية.»[2] ، و قد نسب "ابن فارس" هذه اللغة إلى بني الحارث بن كعب[1]، و تبعه في ذلك كثيرون. و القول بأنها لغة لبعض القبائل العربية أسلم، و أقرب إلى طبيعة اللسان من كثرة التأويلات، و التقديرات، و الدراسات المقارنة تقدم من التعليل

1- سورة طه ،الآية 63 .

2- عبد العال سالم مكرم : القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، مؤسسة الرسالة،بيروت(لبنان) الطبعة الثالثة، 1417هـ - 1996 م ، ص 121.

3- ابن فارس أحمد: الصاحبي في فقه اللغة ، ص 52.

ما يضع الأمر في موضعه. ذلك أنه يمكن تصور لغة أمّ للغات المشرقية القديمة كان المثنى فيها يلزم علامة واحدة يُرَجّح أن تكون الألفَ و النون، و ضمن الحركة التطورية للمثنى اتخذت هذه اللغات علامات أخرى ليميز المرفوع من المنصوب و المجرور. فالألف علامة الرفع فيها، و الياء علامة للجر «أما ألف الإمالة (é) فقد كانت علامة للنصب في المثنى في مرحلة ما من مراحل تطور اللغات المسمارية كالأكدية و الأغارتية ثم العربية قبل أن تبتلعها الياء نهائيا لتصبح هي علامة النصب و الجر.»[1]

و ليس هناك رسم خاص بالألف الممالة في العربية، مما يجعل ظهورها مقتصرا على النطق. و لم تكن القبائل كلها تُمِيل و منها قريش و ما جاورها من سكان الحجاز.[2] . و هو ما يمكن أن يفسر رجوع "بني الحارث" بهذه الألف من الإمالة إلى الفتح على اعتقاد الأصل، و بقاء ذلك مسجلا في أراجيزهم و أقوالهم، بينما نقلها غيرهم إلى الياء فصارت للنصب و الجر معاً، وهو ما دأب عليه العرب جميعا من بعد، و لزمه القرآن الكريم إلا في آية "إنّ هذان لساحران" التي ظلت شاهدا على مرحلة تطورية للعربية تقدم بعض المعلومات عن تاريخ المثنى في اللسان العربي.

1- إلياس بيطار ، أهمية لغات المشرق في دراسة النحو العربي ، مجلة التراث العربي ، العدد 75 ، ص 104.

2- يراجع : عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية (مصر) 1965 ، ص 149.

ب ـ تجلية القرآن الكريم ملامح البيئات اللغوية في قصصه:

و المقصود استعمال القرآن الكريم، في القَصص خاصة، كلمات على النحو الذي كانت تُتداول به في زمن الأحداث المروية.

و لما كانت القصة شاغلة لحيز كبير من كتاب الله تعالى، اكتُفي في هذا الجزء من البحث بعرض سريع لبعض الكلمات ـ تمثيلا ـ، و منها:

ـ سيّــد:

في قوله تعالى:« و ألفيا سيّدَها لدى الباب »[1] و يتعلق الأمر بعزيز مصر الذي فاجأ وجودُه خلف الباب زوجته بعد أن انفتح ليوسف عليه السلام. قال "الشوكاني" في تفسيره "فتح القدير": « "و ألفيا سيدها لدى الباب" أي وجدا العزيز هنالك، و عنى بالسيد: الزوج لأن القبط يسمون الزوج سيداً.»[2]

و ممّا يؤكد أن المقصود بالسيد الزوج، أنّ الله تعالى أضاف لفظ "سيد" في الآية إلى المرأة، و ليس إليها و "يوسف" ـ عليه السلام ـ معا، فقال: « ألفيا سيدها» على الرغم من توجه الإسناد في السياق إلى المثنى؛ استبقا ـ ألفيا.

و يبدو أن هذه الدلالة لكلمة "سيّد" لم تكن معهودة عند العرب، مع أن اللفظ متداول منذ الجاهلية الأولى وصفا للرجل الحر الكريم، و من أجل ذلك قال ابن منظور، بعد أن ذكر آية سورة يوسف،: « قال اللحياني: و نظن ذلك مما أحدثه الناس.»[3] و كأنه يقول: لولا هذه الآية ما ظنَّ أحد أن السيّد تعني الزوج .

1- سورة يوسف، الآية 25.

2- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ،فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير،تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1416ه/1996م، ج3، ص.24.

3- ابن منظور: لسان العرب.

و قد يكون ما يشيع في العامية المصرية من تسمية المرأة ِ"ستْ" من بقايا هذا الاستعمال القديم، فربما هي تأنيث لـ"سِيد" بكسر السين كما يلفظها العوام. فما الذي جعل قصة يوسف - عليه السلام ـِ في قصر عزيز مصر تُستخدم فيها كلمة "سيّد" بمعنى زوج، و تنفرد بهذا عن كل قصص القرآن الذي فيه - مثلا-: امرأة نوح، زوج إبراهيم، امرأة لوط ...، إنها إشارة قرآنية إلى أنّ المصريين في عهد سيدنا يوسف كانوا يطلقون السيد على الزوج بدلا من أي اسم آخر، و في القرآن: "امرأة فرعون، و هو بمصر أيضا، لكن الزمن يختلف، و أحسن من عبّر عن هذا من المفسرين شيخ جامع الزيتونة الطاهر بن عاشور في قوله: « سيّدَها أي زوجها، و هو العزيز[...] و إطلاق السيد على الزوج، قيل إن القرآن حكى به عادة القبط حينئد، كانوا يدعون الزوج سيداً. و الظاهر أنّه لم يكن مستعملا في عادة العرب، فالتعبير به هنا من دقائق التاريخ.»[1]

- العيـــر:

و قد وردت في ثلاثة مواضع من سورة يوسف قي قوله تعالى: (ثم أذّن مؤذن أيتها العير إنّكم لسارقون)[2]، و قوله (و سْئَل القرية التي كنّا فيها و العير التي أقبلنا فيها)[3]، و قوله (و لمّا فصلت العير قال أبوهم إنّي لأجد ريح يوسف)[4]، والشائع عند الناس أنّ العير قافلة الإبل، و قد استعمِل هذا اللفظ بهذا المدلول عند العرب منذ الجاهلية، و استقر في الأذهان حتى إن "ابن خالويه" حين سأل المتنبي في مجلس سيف الدولة الحمداني [عن مدلول البعير]، سكت هذا و لم يجب فقال الأول: « المراد بالبعير في قوله

1- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس ،1997 ، ج12/ ص. 256.

2- سورة يوسف، الآية 70.

3- سورة يوسف ، الآية 72.

4- سورة يوسف ، الآية 94.

تعالى: (و لمن جاء به حِمل بعير)[1]، الحمار.»[2]

و قد اعتبر أبو حيان الأندلسي تسمية الحمار بعيرا شذوذا في قوله:« و بعض العرب تقول للحمار: بعير، و هذا شاذ.»[3] و الشذوذ هنا دال على عدم تداول دلالة لفظ "بعير" على الحمار، و هو ما عبر عنه السيوطي في المهذب بقوله:« قال "ابن خالويه" في كتاب"ليس": [أي ليس من كلام العرب] هذا حرف نادر. ذكر مقاتل عن الزبير، البعير: كل ما يحمل عليه بالعبرانية.»[4] و قد استخدم القرآن لفظ الجَمل خالصا للإبل، أما « البعير في القرآن: الحمار، و ذلك أن يعقوب و إخوة يوسف، عليهم الصلاة و السلام كانوا بأرض كنعَان و ليس هناك إبل و إنما كانوا يمتارون على الحمير، قال تعالى: ولمن جاء به حمل بعير، أي حمل حمار. »[5] و شيوع معنى العير: الإبل في لغة العرب، إنّما جاء من «الإبل التي عليها الأحمال لأنها: تعير: أي تذهب و تجيء، و قيل هي قافلة الحمير، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عَيْر.»[6]

و في هذا من الإشارة إلى تطور دلالة كلمة "عير" من قافلة الحمير إلى كل قافلة عليها أحمال، إلى قافلة الإبل عند العرب.

ـ لينـــــة :

و وردت مرة واحدة في القرآن الكريم ن في سورة الحشر في قوله تعالى : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها، فبإذن الله، و ليخزي

---

1 ـ سورة يوسف، الآية 72.
2 ـ ابن منظور: لسان العرب،
3- أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج6/ص. 300.
4- السيوطي ، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، ص44.
5- ابن منظور، لسان العرب ، ج
6- الزمخشري ، الكشاف ج2/ص 334.

الفاسقين)[1]، و المقصود باللينة «كل شيء من النخل سوى العجوة.» [2] غير أن الذي يلفت الانتباه قول الطاهر بن عاشور: « يطلق اسم اللينة على كل نخلة غير العجوة [...] في قول الجمهور: أهل المدينة و أئمة اللغة [...] وإيثار "لينة" على "نخلة" لأنه أخف، و لذلك لم يرد لفظ نخلة مفرداً في القرآن، و إنما ورد النخل اسم جمع.» [3] ففي هذا التفسير ذكر لأهل المدينة، و الآية من سورة الحشر مذكورة ضمن قصةٍ أحداثُها تتعلّق ببعض سكان المدينة المنورة، فلعلها من مفردات هذه المنطقة أصلا، وهذا هو الظاهر من ذكرها في لغة "الأوس"[4] إحدى قبائل المدينة، و كأنّ في هذا تحديد جغرافي لاستعمال لفظ "لينة"، و مما يدخل في تاريخ نشوئها و تطورها؛ ما نقله "السيوطي" في كتاب المهذب من قول الكلبي: « لا أعلمها إلا بلسان يهود يثرب.» [5] و المعنيون بآية الحشر إنما هم يهود المدينة، و النخل المتحدث عنه نخلهم، و قد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقطعه ليسهل إجلاؤهم، فربما هم الذين أشاعوا استخدام كلمة "لينة" قبل الإسلام ، و عنهم أخذها "الأوس" فصارت لغتهم.

فإلى هذا الحد تتناسق مفردات القرآن مع لغة زمان ومكان أحداث قصصه، و هذا كله إشارة إلى جانب تاريخي للكلمات ينبغي استثماره.

1- سورة الحشر ، الآية 5.

2- ابن منظور ، لسان العرب

3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج28/ص 77.

4- يراجع: السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق عبد الرحمان فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، المنصورة (مصر) ، الطبعة الأولى 1427هـ - 2006 م ، ج2/ص 83.

5- السيوطي ، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، ص 84.

1- 3 - القراءات القرآنيــة مصدر للتأثيــل:

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى ضرورة اعتبار قراءات القرآن الكريم أحد مصادر المعجم التأثيلي، لما تزخر به من تجليات لهذا البعد المعجمي بما تحفظه من لغات القبائل العربية التي لا يخلو بعضها من بقايا صور قديمة للكلمات تظل شاهدة على مرحلة أو عدة مراحل من المسار التطوري للسان العربي . و لا يمكن تقديم هذه الظاهرة مفصلة في هذا الجزء الفرعي لمبحث من مباحث فصل في رسالة هي مبتدأ طريق الدراسة الجادة، و الموضوع يحتاج إلى تأسيس من قِبل مَن هم أكثر مراسا للبحث العلمي ضمن مستوى أرقى.

غير أنّ إثارة الإشكال وحده يُعدّ مكسبا لهذا البحث إن استطاع أن يلفت الانتباه إليه، و يحفز همم المقتدرين ليتوجهوا إليه. و سيكون الطرح مركزا على مثالين: أحدهما صوتي يتعلق بالإدغام، و الآخر يتعلق بالاقتراض اللغوي.

أ- الإدغام من خلال القراءات القرآنية :

الإدغام ظاهرة صوتية تنتج عن تأثير الحروف المتجاورة بعضها في بعض لتماثلها، أو تجانسها، أو تقاربها. و أكثر أنواعه شيوعا في العربية: التأثر الرجعي[1] (Assimilation Régressive) حين يتأثر الصوت الأول بالثاني[2] لكونه ساكنا، فيكون اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا.

و قد ورد الإدغام في القرآن الكريم على مستويين: في كلمتين، و في كلمة واحدة، و اختلف فيه القراء بين مُدغِم و مُظهر للحرفين على النحو الآتي :

---

1 - يسميه بعض اللغويين تأثرا تأخريا و منهم : عبد السلام المسدي في معجمه الاصطلاحي عربي – فرنسي / فرنسي – عربي، قاموس اللسانيات، ص. 243.

2 - يراجع: الراجحي،عبده: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ص. 135.

- ***على مستوى كلمتين متتابعتين:*** و يمكن اختصارها في الجدول الآتي(1) :

الإدغـام			الإظهـار	
موضعه	القـــــارئ	بيئته	القـــــارئ	البيئة
بين الباء والفاء مثل: (و إن تَّعْجَبْ فعَجَب) (2)	أبو عمرو بن العلاء الكسائي	البصرة الكوفة	ابن كثير- نافع حمزة ابن عامر عاصم	مكة - المدينة الكوفة الشام الكوفة
بين الباء والميم مثل (يُعَذب مَنْ يَشاء) (3)	أبو عمرو بن العلاء الكسائي	البصرة الكوفة		
بين التاء والثاء (بَعُدَتْ ثَمُودَ)(4) والجيم والطاء والسين والضاد والزاي	أبو عمرو بن العلاء الكسائي حمزة بن حبيب ابن عامر	البصرة الكوفة الكوفة الشام	ابن كثير نافع ابن عامر عاصم	مكة المدينة الشام الكوفة
بين التاء والذال (يَلْهَث ذّلِكَ)(5)	أبو عمرو بن العلاء الكسائي حمزة ابن عامر	البصرة الكوفة الكوفة الشام	ابن كثير نافع عاصم	مكة المدينة الكوفة
بين الدال والثاء مثل (مَنْ يُرِد ثَّوابَ الدنيا)(6)	أبو عمرو بن العلاء الكسائي حمزة ابن عامر	البصرة الكوفة الكوفة الشام	ابن كثير نافع عاصم	مكة المدينة الكوفة

1- يراجع : ابن الجزري،النشر في القراءات العشر، ج2 ص 3-12.

2- سورة الرعد، الآية 5.

3- سورة البقرة، الآية 284.

4- سورة هود، الآية 95. و المواضع الأخرى مثل (نضجت جلودهم)[النساء/56]- (حملت ظهورها) [الأنعام136]- (أنبتت سبع سنابل) [البقرة261]- (خبت زدناهم)[الإسراء97] - (حصرت صدورهم) [النساء90].

5 - سورة الأعراف، الآية 176.

6- آل عمران، الآية 145.

- ***على مستوى كلمة واحدة:*** و تظهر في الجدول الآتي (1)**:**

الإدغـــــــام			**الإظهـار**	
موضعه	القـــارئ	بيئته	القـــارئ	البيئة
بين الذال والتاء مثل : (نبذتها)[2]	أبو عمرو بن العلاء الكسائي حمزة	البصرة الكوفة الكوفة	ابن كثير - نافع ابن عامر عاصم	مكة - المدينة الشام الكوفة
بين الراء واللام مثل: (أن أشكر لي)[3]	أبو عمرو بن العلاء	البصرة	ابن كثير- نافع الكسائي- حمزة عاصم ابن عامر	مكة - المدينة الكوفة - الكوفة الكوفة الشام
بين الفاء والباء (نخسف بهم)[4]	الكسائي	الكوفة	الباقون	مكة - المدينة الكوفة - الشام

يتجلى من هذا الجدول أن أكثر القراء إدغاما أبو عمرو بن العلاء قارئ البصرة، و يأتي بعده الكسائي، ثم حمزة قارئا الكوفة، ثم ابن عامر قارئ الشام.

1- يراجع: ابن الجزري، النشر في القراءات العدد 22 ص3 -12.
2-سورة طه،الآية96.
3- سورة لقمان، الآية 14.
4- سورة سبأ الآية 9.

أما من التزم الإظهار دائما: نافع قارئ المدينة، و ابن كثير قارئ مكة، (مع مشاركة عاصم، و ابن عامر، و حمزة لهما في بعض المواضع) و كأنهما يمثلان البيئة الحجازية التي هي أقرب إلى البوادي العربية من الكوفة و البصرة و الشام، و هو ما يجعلها أجدر بأن تحافظ على الصور الأكثر قِدما للغة العرب، خاصة إذا تأكد من الناحية الصوتية أن الإدغام أخف من الإظهار، و أنه أكثر ملاءمة للسرعة في الكلام. مما يسمح باعتبار الإدغام في مثل المواضع المذكورة في الجدول تطورا وجد صداه في المناطق الشمالية للبلاد العربية لدأب أهلها على الحياة العملية و الحركة أكثر من الجنوبية فطلبوا الأخفّ.

أما الحجازيون، و هم الأكثر محافظة على الأنموذج الأقدم للسان العربي، فقد غلبت عليهم حياة البداوة التي تسمح باحترام مخارج الحروف، و إظهارها عند النطق. و مع هذا فقد عُرف عنهم الإدغام في مواضع كثيرة شكلت إجماعا بين الأئمة في قراءة القرآن الكريم، كإدغام النون الساكنة في الراء، و اللام، و الميم ، و النون، و الواو ، و الياء[1] ، و إدغام اللام الساكنة في الراء[2]. و قبل هذا كله إدغام المتماثلين. و أما الأصوات المتقاربة، و المتجانسة، فإظهار الأول الساكن منها عند الإمام نافع ـ مثلا ـ لم يكن في النطق إظهارا تاما و إنما هو دخول بالصوت الأول و خروج بالثاني في أداء واحد، وهذا ما يبين أن الحجازيين كانوا آخذين بالسير نحو الإدغام كلما جنحوا إلى السرعة و الخفّة

1- يراجع : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر، ج 2، ص ص. 19-21.

2- يراجع : المرجع نفسه، ج2، ص. 16.

في الكلام. و قد يرجع تحفظهم في هذا المسار إلى حرصهم على الفصاحة التي تميزوا بها، و التي من أجلى معانيها الوضوح، و هو ما يقتضى عدم التساهل في إلغاء أي صوت إلا أن يضطر إلى ذلك.

فالقضية فيما يتعلق بالإدغام و الإظهار محكومة بالميل إلى التخفف، أو التوضيح في الكلام.

وتختص بعض الصيغ للأفعال المزيدة بإبراز ظاهرة الإدغام و الإظهار، و هي كما يوضحه الجدول الآتي(1) :

الإدغـــــام		**الإظهـــــار**	
الموضع	القارئ	بيئته	القارئ	البيئة
تاء (افتعل) مثل : (يطهرون) [2]	الكسائي حمزة عاصم في رواية	الكوفة الكوفة الكوفة	ابن كثير نافع ابو عمرو بن العلاء ابن عامر	مكة ـ المدينة البصرة الشام
الفعل المضعف مثل: (من يرتد منكم عن دينه) [3]	أبو عمرو بن العلاء الكسائي حمزة عاصم ابن كثير	البصرة الكوفة الكوفة مكة	نافع ابن عامر	المدينة الشام

1- يراجع: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج 2، ص ص. 13 – 15.
2- سورة التوبة ، الآية 108، و سورة الأعراف الآية 82، و سورة النحل، الآية 56.
3- سورة المائدة، الآية 54.

الملاحظ في هذا الجدول أن قرّاء الكوفة ثلاثتهم (الكسائي و حمزة و عاصم) مالوا إلى الإدغام في الموضعين: صيغة الافتعال، و الفعل المضعف. بينما التزم نافع و ابن عامر بالإظهار، و هو ما يؤكد توافق سكان مناطق غربي البلاد العربية: الحجاز و الشام على عدم الإدغام حرصا منهم على النطق بكل الحروف المستعملة تماشيا مع الوضوح الذي ارتضوه للغتهم، و الذي يُعد أحد مظاهر الفصاحة عندهم. لكن المتأمل في قراءات القرآن الكريم يجد أن الإدغام ورد في كثير مما أخذ به الحجازيون خاصة في الأفعال التي كانوا يدغمونها « لثقلها كقوله تعالى : (إنما نعد لهم عداً)[1] و يظهرون في الأسماء لخفتها كقوله تعالى: (عدد سنين) [2] ليفرقوا بذلك بين الاسم والفعل»[3]، و مما يحمله هذا التوجه أن أهل الحجاز أنفسهم أخذوا يطلبون الإدغام تخفيفا للكلام عند الإسراع به. و ما لم يطلب كثيرا من التأني عند إظهاره أبقوه ظاهرا ـ كما هو الشأن في الأسماء ـ و في هذا إشارة واضحة إلى أن الإدغام تطوّرٌ لغوي فرضته الخفة و السرعة في الكلام.

ب ـ مسار الكلمات المقترضة من خلال القراءات القرآنية :

و مما يمكن أن يثري بحث الكلمات المعرّبة في القرآن، و بالتالي ينير طريق التأثيلية بنور الوحي الإلهي، متابعة ما سمحت القراءات القرآنية ـ حسب ما تيسر في هذا البحث ـ بالوقوف على صيغه القديمة قبل أن يساير اللسان العربي صوتا و شكلا، و منها:

1- سورة مريم ، الآية 24.

2- سورة المؤمنون، الآية 112.

3 ـ مكرم، عبد العال سالم: القراءات القرآنية و أثرها في الدراسات النحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417هـ / 1996م، ص. 40.

- جبريل:

و هو اسم عَلَم لملك الوحي، و الذي أُعطيت له، فيما بعدُ، أسماء إسلامية أخرى ذات اشتقاق عربي أصيل، كالأمين، و الروح. و يبدو في وزن كلمة "جبريل" أنها تشاكل الأبنية العربية التي على زنة: " فِعْلِيلْ " حسب ما ورد في قراءات مشهورة لأربعة من القراء السبعة: نافع، و عاصم ، و ابن عامر، و عمرو بن العلاء.[1] بينما قرأها حمزة، و الكسائي: جَبْرئيل[2]، و هي صيغة يبدو واضحا أنها متكونة من كلمتين: جَبر(رجل) + إيل (الله)، و هو ما يشير إلى أن هذا الشكل هو الأقدم للكلمة عند دخولها اللسان العربي إذ احتفظت بمعالمها الأصلية في اللغة المقرضة و التي تقترب كثيرا من النطق الأجنبي، فهي في الفرنسية المعاصرة ـ مثلا ـ «Gabriel». و في ثقل النطق بهذه الصيغة على العرب ما يبرر عدم شهرة القراءة بما ثبت عند "حمزة" و "الكسائي"، و يؤدي الاستقراء إلى العثور على قراءة لـ"ابن كثير" تُلفظ فيها: "جَبريل"بفتح الجيم و إهمال همزة "جَبرئيل" بعد نقل حركتها إلى الراء التي قبلها، و هو ما يدل على تصرف لغوي تطوري حدث في بعض القبائل لتخفيف الشكل الأعجمي للكلمة، مما يسمح بتصور مسار الكلمة منذ اقتراضها من قبل اللسان العربي، فقد تحولت من :

جَبْرَئيل ← جَبريل← جِبْريل (بكسر الجيم) محاكاة للأبنية العربية المسموعة من جهة، و تحقيقا لخفة النطق من جهة أخرى.

1- يراجع : ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ، ج1 ص. 374.

2- يراجع : محمد سالم محيسن: القراءات و آثرها في علوم العربية، ص. 267.

و على هذا يمكن اعتبار جَبْرئيل أثلة (etymon) لكلمة جِبْريل الشائعة اليوم في العربية من خلال أبعد صورة يمكن العثور عليها ضمن القراءات القرآنية الصحيحة .

- إبراهيم:

و هي الصيغة المشهورة بين القراء لاسم شيخ الأنبياء - عليه السلام -، غير أنه يمكن العثور على صيغة "إبراهام"[1] في قراءة ابن عامر و فيها من الثقل ما سبّبه فتح الهاء و مدها مما يدل على أن الشكل الشائع لهذا الاسم العلم في العربية قد حصل له تطور في مسيرة تعريبه؛ فكسر الهاء و مدها أخف في النطق من فتحها، كما أنه يقترب أكثر مما تنتهي به الأسماء في بعض الساميات.[2]

أما الشكل الذي قرأ به "ابن عامر" فهو أقرب إلى الأداء الأوربي المعاصر للكلمة، و الذي يحافظ على فتح « ABRAHAM »، مما يجعل هذا النطق الصورة القديمة لـ"إبراهيم " عند دخولها إلى اللسان العربي.

و من الطريف أن الإمام "نافع" قارئ المدينة المنورة خالف في نطق راء "إبراهيم" ما سار عليه في غيرها، إذ دأب على ترقيقها متى سُبقت بكسر أو كسر بعده سكون جريا على أداء طائفة كبيرة من أهل الحجاز، أما في هذا اللفظ ففخمها[3]، مما يدل على أن طائفة من سكان الجزيرة امتنعوا عن إدماجها ضمن المنظومة الصوتية نفسها لمثيلاتها، أ وَ لا يمكن اعتبار هذا التمييز إشارة إلى أعجميتها؟

---

1 - محيسن، محمّد سالم: القراءات و أثرها في علوم العربية، ص. 270.

2 - فيه إشارة إلى الياء و الميم اللذين يلحقان بالاسم علامة للجمع، و يُستعملان للتعظيم أيضا في العبرية خاصة.

3 - يراجع: جمال الدين محمّد شرف: رواية ورش و تحريراتها من طريق طيبة النشر، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 2005، ص. 45.

1 - 4 - القيــم التأثيلية في رسـم المصحف :

إذا كانت المشافهة غالبة على القراءات القرآنية، فإن رسم المصحف توثيق كتابي لكلام الله تعالى، بدأ منذ عهد النبوة، إذ اتخذ النبي - صلى الله عليه و سلم - كتابا للوحي يدعوهم كلما نزلت آية إلى تدوينها كما كان يفعل مع زيد بن ثابت - رضي الله عنه -، فحينما نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) (1) قال - صلى الله عليه و سلم - :« ادْعُ لي زيداً و ليجئ باللوح و الدواة و الكتف، أو الكتف و الدواة، ثم قال: اكتب (لا يستوي القاعدون)» (2) و كانت حركة مبادرة الوحي بالكتابة عند تنزيله محفزا على التفات المسلمين إلى التدوين و التوثيق. و من عناية الإسلام بتسطير الحروف ذكر القرآن "القلم" في أول آياته نزولا (اقرأ و ربك الأكرم الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) (3).

ثم رفع شأنه حيث جُعل اسما لثاني سورة نزلت كاملة، و ازداد رفعه حين أقسم الله به أولها: (ن، و القلم، و ما يسيطرون) (4) و مما يلفت الانتباه ترسيخ لفظ الكتاب(5) اسما علما ثانيا للقرآن الكريم ليجتمع مفهوم المشافهة و التدوين معا.

و من المهم التنبيه إلى أنّ طريقة كتابة المصحف توقيفية، و ليست كما يظن كثير من الناس أنها صياغة بشرية مارسها كلّ من الصحابة حسب ما تعلّم و ألِفَ؛ فلقد أخبر الله ـ تعالى ـ أنّ كلامه قبل أن ينزل إلى السماء الدنيا ، ثم منها

---

1 ـ سورة النساء، الآية 95.

2 ـ البخاري: صحيح البخاري، ج 2، ص. 558 .

3 ـ سورة العلق، الآيات 3 – 4 – 5.

4 ـ سورة القلم، الآية 1.

5 ـ فقد ذكر لفظ "كتاب" 255 مرّة في القرآن الكريم.

على قلب رسوله ـ صلى الله عليه و سلم ـ احتواه اللوح المحفوظ، و هو ما يدلّ عليه قول الله ـ تعالى ـ: (بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ)(1) فكيف يُحفظ في اللوح إن لم يكن مكتوبا؟ و قد كُتب كلّه في عهد النبوة، و لم يزد أبو بكر الصديق، و عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ، في جمعهما للقرآن رسما واحدا على ما دُوّن و أُقرّ، و بورك من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

و قيمة هذا التنبيه بالنسبة إلى موضوع البحث لأن يتيقن الدارس من قدسية رسم المصحف و جلاله، مما يجعل محاولة تفسير أسراره و الاجتهاد في فهم بعض إشارته أمراً مجديا ما دام من الله ـ تعالى ـ.

و من الأمثلة التي تلفت الانتباه في رسم المصحف، و يمكن أن تفسر من منظور تطوري للكتابة عند العرب، أو للغة عموما ما يلاحظ من حروف يُخيّل إلى المرء أنها زائدة، و هي كذلك بالنسبة إلى النطق، و لا مكان لها في بناء الكلمات مثل: الألف في "لّكِنا" من قوله تعالى (لّكِنا هُو الله ربي)(2)، و في "ملائه " في قوله تعالى (ثم بعثنا من بَعْدِهم موسى وهَرون إلى فرعون و مَلائَهِ) (3)، و الواو في "سَأُوريكم"، في قوله تعالى: (سَأُوريكُمْ آياتي فلا تستعجلون)(4) و في "أولئك" في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

و مثل هذا كثير في رسم آيات الذكر الحكيم، و لا يمكن اعتباره خطأ في الكتابة، و لا مذهبا خاصا بأحد كتبة الوحي، لأنه موزع على مواضع متباعدة فيما بين دفتي المصحف الشريف. و مما اهتدى إليه البحث، و قد تكون لهذه الخاصية

---

1 ـ سورة البروج، الآية 22.

2 ـ سورة الكهف، الآية 38.

3 ـ سورة يونس، الآية 75.

4 ـ سورة الأنبياء، الآية 37.

تعليلات أخرى، أنها صورة لمرحلة قديمة في الكتابة كان العرب، أو بعضهم، يرمزون فيها إلى الصوائت بحروف تناسب نطقها و يضعونها بعد الصامت، فالألف للفتحة، و الواو للضمة، و الياء للكسرة، و ليس هذا بغريب، فاللغات الأوربية ـ مثلا ـ لا تزال تكتب أصواتها المنطوقة من خلال حرفين: صامت و صائت (voyelle) بعده. و هذا ما يسمح بالقول بتقدم الخط عند العرب خطوات كبيرة تجاوز غيرَه فيها، و المصحف الشريف سجّل المرحلة القديمة هذه ، مع أن ظهور الحركات أغنى عنها نهائيا في الكتابة خارج القرآن الكريم.

و من الأمثلة المثيرة للانتباه في رسم المصحف كتابةُ الألف واوا في بعض الكلمات مثل صلواة ـ زكواة ـ حيواة ـ ربوا ـ غداوة ـ مشكواة ـ نجواة ـ منواة، و قد علل العلماء هذا الاتجاه في الرسم بسببين:

ـ أنها ألفاظ تفخيم، و بهذا يسمي كثيرون الألفَ.

ـ إرادة أصل الألف.(1)

و في التعليل الأخير إدراك لملمح تأثيلي في رسم هذه الكلمات يحتاج إلى تعمق و دراسة قد لا يتاحان ههنا. فكلمة "زكواة"« وزنها فَعلة كصدقة، فلما تحركت الواو و انفتح ما قبلها انقلبت ألفا » (2) فالكلمة، في واقعها واستعمالها القديم المتصور، "زَكَوَة". أ ليس رسم المصحف من الكتابة الحقيقية الأصلية للفظة؟ فكأنّ هذا رسم للأثلة(Etymon)، و الألف المعلقة فوق الواو تنبه إلى النطق الآني، و بهذا يمكن القول إن الواو رسم تاريخي تعاقبي، و الألف المعلقة رسم آني وصفي للواقع اللغوي. فما أعظم أن تجتمع المقاربتان في كلمة واحدة ! بل في كتابتها فقط.

---

1 ـ يراجع: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج 4، ص. 141.

2 ـ ابن منظور: لسان العرب، ج 14، ص358.

و مما يؤكد هذه الصيغة وجود كلمة عربية قديمة هي "زكا" تعني الشفع من العدد، و من ذلك قالوا للزوج: "زكا" (1) و هذا الاستعمال غير متداول منذ قرون .

و من الأمثلة أيضا أن لفظ "ربا"، أورده "ابن منظور" في نصوص على صيغة "رِبْوَة"، كقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « "من أبى فعليه الرِبْوَة" أي مَن تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له » (2)فـ"الربوا" هو الرِبْوَة.

و هكذا يُقدم المصحف الشريف في رسمه مادة ثرية من المباحث التأثيلية، لا يمكن التفصيل فيها و تتبعها في هذا المقام، و هي تتطلب من الهمة والمهارة و العلم الواسع و الراسخ ما لا يزعمه هذا البحث لنفسه، غير أن يرنو إلى استشرافه في دراسات أوسع و أعمق ـ إن شاء الله تعالى.

---

1 ـ المرجع السابق، ج ، ص.

2 ـ المرجع نفسه، ج ، ص.

2 ـ مستويات التأثيل النظرية في كتاب العين:

2 ـ 1 ـ كتاب العين:

"من أحبّ أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب و المسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد"[1]، كلمة ردّدها "سفيان الثوري" أحد أكابر التابعين، و هي كفيلة بأن تبرز ما تميز به "أبو عبد الرحمن"، "سيّد الأدباء في علمه و زهده"[2]، فهو السابق إلى كثير من العلوم فهو "أول من استخرج العروض، و ضبط اللغة، و حصر أشعار العرب."[3] كانت العربية تجري منه مجرى الدم، و لا غرو فهو "أزديّ" خالص العروبة، و كان من أعلم الناس بالقرآن و السنّة، فهو الذي وصل بين إمامين من السبعة القرّاء الذين أجمعت الأمّة على الأخذ منهم: "أبي عمرو بن العلاء" أستاذه، و "الكسائي" تلميذه. من أهمّ مؤلفاته: كتاب الإيقاع، و كتاب النّغم،و كتاب العروض، و كتاب الشواهد، و كتاب النّقط و الشكل، و كتاب فائت العين، و كتاب الجمل، و كتاب العوامل، هذا إضافة إلى كتاب العين[4] ـ المعجم موضوع البحث ـ، هذا و لقد كان "الخليل" لا يحبّ أن يؤلّف في علم سبقه إلى التأليف فيه غيره[5]، فأيّ علم، و أيّة همّة كانا لهذا الرجل، و لولا أن يسطو الاستطراد على مستلزمات البحث و مطالبه الأساسية، لكان الحديث عن "الخليل بن أحمد" أطول و أكثر تفصيلا.

---

1 ـ الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، ج01، ص. 301.

2 ـ المرجع نفسه، ص. 300.

3 ـ المرجع نفسه، ص. 300.

4 ـ يراجع: ـ ابن النديم: الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط 01، ص. 200.

ـ الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، ج01، ص ص. 300-301.

5 ـ السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة و أنواعها، شرح و ضبط و تصحيح و تعليق: محمد أحمد جاد المولى ـ علي محمد البخاري ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 01، د ت، ج01، ص. 80.

أ ـ حول نسبة كتاب العين إلى "الخليل":

اعتاد الباحثون في بداية دراستهم لمعجم "كتاب العين" أن يخصّصوا صفحات كثيرة لمعالجة إشكالية افتعلت و هي صحّة نسبة الكتاب إلى "الخليل بن أحمد"، و يحاول كلّ واحد منهم أن يعرض الأقوال كلّها، و يذكر حجة أصحابها، و يجتهد في تصنيفها و الردّ عليها، حتى صار هذا الصنيع سنّة دأب عليها المؤلفون في الدراسات المعجماتية من "السيوطي" إلى الباحثين في عصرنا.[1] و هو أمر أخذ من العناية أكثر مما يجب، و ربما شغل الناس عن استخراج ما في "كتاب العين" من كنوز. لذا، لن يخوض البحث في هذه المسالة مرة أخرى، خاصة بعد أن تصدّى للردّ على الشبهات التي أثارها بعض القدماء، و كثير من المستشرقين، و من اقتفى أثرهم نخبة من العلماء منهم "الأب أنستاس الكرملي"، محقق "كتاب العين"، و ناشر الجزء الأول منه سنة 1914 [2]، و "عبد الله درويش" محقق و ناشر لقطعة أكبر من معجم "الخليل" سنة 1967،[3] و الأستاذان "مهدي المخزومي"، و "إبراهيم السامرائي" محقّقا المعجم، و ناشراه بأكمله في ثمانية مجلدات سنة 1980 [4]، و باحثون آخرون نكتفي منهم بذكر "حسين نصار" [5] و "محمد حسين آل ياسين" [6].

و حقيقة الأمر أن "كتاب العين" من تميزه، و إحداثه طفرة في عصره، لم يصدّق الأولون و الآخرون، غير المنصفين منهم، أن يكون للعرب مثله في القرن الثاني للهجرة، فنفاسته سبب الطعن فيه، و إلا فكيف يُستكثر على رجل

---

1 ـ يراجع: ـ السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة و أنواعها، ج 01، ص ص. 82-86.

ـ نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. ص. 219-232.

2 ـ يراجع: آل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص. 149.

3 ـ المرجع نفسه، ص. 230.

4 ـ يراجع: المخزومي، مهدي ـ و ـ السامرائي، إبراهيم: كتاب العين، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1980، التقديم، ص ص. 05-27.

5 ـ نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. ص. 219-232.

6 ـ يراجع: آل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص. 149.

كـ "الخليل بن أحمد" أن يؤلف معجم العين، و هو الذي كان وراء تأليف كتب أخرى لغيره و لم يدّعها لنفسه؟ فقد قال "أبو العباس ثعلب": "اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنتان و أربعون إنسانا منهم سيبويه، و الأصول و المسائل للخليل."[1] و قال محقق معجم "البارع": "و لكنني بعد أن حققت النصّ وقعت على حقيقة طريفة جديرة بالإعلان، هي أنّ البارع ما هو إلا كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي."[2] و صاحب البارع "القالي" هو الذي قال عن كتاب العين: "لم يلتفت أحد من العلماء إليه يومئذ، و لا استجازوا رواية حرف منه"[3]، فيا عجبا ممن قال هذا عن غيره، و التفت هو إليه، و استجاز الأخذ منه!

ب ـ منهج كتاب العين:

يتضح من كيفية ترتيب "الخليل" لمعجمه أنه لم يكن مشغولا بإيجاد طريقة تنظم مادة مصنّفه، و إنما رسم أهدافا لغوية جليلة، و أبرز من خلال منهج الكتاب تصوّره العبقري لكثير من الجوانب المعجمية، فمن حيث توزيع الأبواب على حروف العربية اختار ترتيبا صوتيا، و رأى أن اتّباع الترتيب الهجائي المعروف يخلّ ببعض ما ضبط به نفسه من دقّة و علم؛ فلو بدأ بالألف لكانت ابتداء أوّل معجم عربي بحرف معتل، و لو بدأ بما بعده أي الباء لما استجاب ذلك لأيّ ترتيب، و الأشياء تعرف بمبادئها، و قد بيّن ذلك تلميذه "الليث" حين قال: "فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أوّل أ، ب، ت، ث، و هو الألف، لأنّ الألف حرف معتلّ، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني."[4]

---

1 ـ ابن النديم: الفهرست، ص 233..

2 ـ يراجع: آل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص. 237.

3 ـ السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة و أنواعها، ج 01، ص. 84.

4 ـ الفراهيدي: كتاب العبن، المجلد 01، ص. 47.

فعبارة "أعمل فكره فيه" تشير إلى أن الأمر لم يكن ارتجالا، كما أنّ تأليف "الخليل" سبْقٌ ليس له نظير في عصره يتبعه في طريقته. و من هنا يمكن القول إنّ ترتيب المعجمات كلّها على أساس الحروف من حسنات "أبي عبد الرحمن".

و كان الترتيب الذي استقرّ عليه تدرج الأصوات في الجهاز الصوتي، أي المخارج، و هنا أبدى خبرته بالأصوات حيث ابتكر طريقة تحديد مخارجها، "و إنّما كان ذواقه إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: أبْ، أتْ، أثْ، أحْ، أعْ، أغْ". [1]

و قدّم بذلك أوّل ترتيب عربي لمخارج الأصوات، و لم يغفل "الخليل" ـ كما زعم كثيرون ـ عن بعد الهمزة و الهاء في عمق الجهاز الصوتي، و لكنّه نظر إليهما بفكر اللغوي البصير، فقد روى "السيوطي" عن "ابن كيسان" أنّه قال: سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص و التغيير و الحذف، و لا بالألف لأنّها لا تكون في ابتداء كلمة، و لا في اسم و لا فعل إلاّ زائدة أو مبدلة. و لا بالهاء لأنّها مهموسة خفيّة لا صوت لها، فنزلتُ إلى الحيّز الثاني، و فيه العين و الحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف."[2] فاختيار العين مبدأ كان نتيجة نظر و بحث ليس خطأ في تقدير أبعد الأصوات مخرجا، و كيف يخطئ "الخليل" في هذا و هو الذي كان "يعيش في جو الأصوات و الأنغام: في قراءة القرآن، و في تفعيلات العروض، و في ألحان الموسيقى و إيقاعاتها."[3]

---

1 ـ المرجع السابق، ج 01، ص. 47.

2 ـ المرجع نفسه، ج 1، ص. 47.

3 ـ السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة و أنواعها، ج 01، ص. 90.

و قد يكون نافلة أن يضاف إلى هذا "أنّ كلمة "العين" تعني، بجانب حرف الهجاء، العين الباصرة التي تستعمل كثيرا في جوهر الشيء و كنهه."[1] فعين المال أنفسه، و عين اليقين أوكده، و لا يستبعدان أن يفطن "الخليل" إلى هذا كلّه فيسمي المعجم باسم هذا الحرف العربي الناصع، و ليس مصادفة أن عرضت اللجنة المنظّمة للمعرض الدوليّ العربي بألمانيا منذ سنوات قليلة "كتاب العين" ـ باعتباره أول معجم عربي ـ في صورة لافتة عليها شكل الكتاب، و بجانبه عين إنسان مكبّرة الحجم، و كأنّ هذا المعجم أبصر العربية و حرسها. و مما يمكن إضافته في هذا الشأن أنّ الطريقة التي اعتمدها "الخليل" في تبويب معجمه، بتقليب البناء اللغوي على أشكاله الممكنة كلها، تجعل حرف العين يأخذ أكثر الأبنية، و بالتالي يكون حظه من "كتاب العين" هو الأكبر، و لقد أخذ من المجلدات الثمانية مجلدين كاملين.

فقد جمع حرف "العين" بين العمق الصوتي، و البعد الدلالي، و الحسّ السيميائي، و التقدير الكمي. أ لا يرشحه هذا كله ليكون عنوانا للمعجم، و أول حروفه فيه؟

أما الأمر الثاني في تصور "الخليل" لمنهج معجمه، فتظهر عبقريته في تحديد الأبنية الأصلية، فبعد أن رتّب الحروف على نحو: ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة [2] قال: "كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي، و الثلاثي، و الرباعي، و الخماسي، [...] و ليس للعرب بناء في الأسماء و لا في الأفعال أكثر

---

1 ـ نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. 175.

2 ـ الفراهيدي: كتاب العين، المجلد 01، ص. 48.

من خمسة أحرف."[1]، و بعد أن حدد الأبنية عقد الأبواب على تقليبها على أوجهها الممكنة، فصار لكلّ بناء ثنائي وجهان، و لكل ثلاثي ستة أوجه، و لكل رباعي أربعة و عشرون، و لكل خماسي مئة و عشرة وجها، و بهذا يكون قد أحصى الأشكال التي يمكن أن تأتي عليها الكلمات في اللسان العربي، و هذا الذي جعله يقول في أخر الكتاب: "هذا آخر كلام العرب"[2]، إنّما قصد ا ما يسمح به نظام اللسان العربي من أبنية، تمثل الموجود بالقوة، و لم يقصد ما توهمه "ابن فارس" من أنّ "الخليل" ادّعى الإحاطة باللغة كلها. و سيتناول ترتيب معجم "العين" بشيء من التفصيل فيما سيأتي من هذا الفصل قصد استنباط ما يمكن أن يدلّ على نزعة تأثيلية تضاف إلى قدرات و مواهب "الخليل بن أحمد الفراهيدي".

و مما يلفت الانتباه في مقدمة "كتاب العين"، ما حوته ـ وحدها ـ من آراء صوتاتية، تجعل من "الفراهيدي" المؤسس الأول لعلم الأصوات عند العرب، تحليلا، و وصفا، و مصطلحا، و مقارنة.[3] و المبدع في توظيفه لغايات لغوية جليلة كما سيأتي.

---

1 ـ المرجع السابق، ص ص. 48-49.

2 ـ ابن فارس، أحمد: الصاحبي في فقه اللغة، ص. 49.

3 ـ يراجع: الفراهيدي: كتاب العين، المجلد 01، ص ص. 47-61.

2 ـ 2 ـ المستوى الصوتي للتأثيل في كتاب العين:

إنّ أوّل ما يلفت الانتباه في "كتاب العين" مقدّمته التي استوعبت الدافع إلى تأليفه الظاهر من قول "الخليل" لتلميذه "اللّيث": "لاستوعب في ذلك كلام العرب"[1]، و منهجية تصنيفه قامت على أساسين: صوتي، يعالج في هذا القسم، و بنائي سيكون موضوع القسم الثاني.

فالمقدمة من تطرقها إلى الأساس الصوتي تعتبر "أوّل مادة في علم الأصوات دلّت على أصالة علم "الخليل"، و أنه صاحب هذا العلم و رائده الأول."[2] و أول دافع إلى الطرح الخليلي لأصوات العربية حرصه على أن لا يصرفه تنظيم المعجم عن نظرته اللغوية؛ فهو لم يشأ إيجاد أية طريقة ترتّب المداخل. و إنّما على هذه تكون منبثقة من أسس اللسان العربي لاسيما الجانب الصوتي. فابتكر منهجية تتابع الأبنية بحسب تدرج مخارج حروفها الأولى في الجهاز الصوتي. فوضع بذلك أول نظام لمخارج الحروف، لا يزال يتلقى بالقبول لدى الباحثين إلى اليوم، و تكاد تقرّه البحوث الصوتية الحديثة غير العربية.[3]

ـ موقع الهمزة من الرؤية الخليلية:

غير أن اللافت للانتباه في ترتيب "الخليل"، إحصاؤه للهمزة، و الألف من حروف الحلق، و جعلهما في آخر أبواب الكتاب، و هو يعلم أنّه ليس بعد الشفتين مخرج صوتي من حيث التدرج. و قد برر ذلك بأنّ "الألف حرف معتلّ"[4]، و الهمزة تكون "عمادا و سلّما للسان إلى حرف البناء، لأن اللسان لا ينطلق

---

1 ـ ابن النديم: الفهرست، ص201.

2 ـ المخزومي، مهدي ـ و ـ السامرائي، إبراهيم: كتاب العين، ج01، ص. 10.

3 ـ يراجع: نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. 195.

4 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج 01، ص. 47.

بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل."[1] و من الواضح أنّ "الخليل" يستعمل "الألف" و "الهمزة" للدلالة على الحرفين معا، بل إنه يجعلهما في حيز واحد، فيقول: "و أربعة أحرف جُوف و هي الواو و الياء و الألف و الهمزة."[2] و معنى هذا أنّ الألف و الهمزة ليستا مستبعدتين من الحلق فحسب، بل إنهما لا تنتميان لأيّ مخرج صوتي، فهما من الأصوات الجوفية التي ينطلق الهواء عند النطق بها من الصدر قبل أن يصل إلى الحلق، و هذا ما ثبت في الدراسات القرآنية، و وافق عليه علم الحديث، و حسبنا تحليل صاحب "كتاب العين" الذي قال فيه عن الألف و الواو والياء و الهمزة: "إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيّز تُنسَب إليه إلاّ الجوف."[3]

و بالتأمل في هذه التحليلات يُتوصّل إلى أنّ الألف و الهمزة عند "الخليل" وسيلتان للنطق و إخراج الصوت عما تدل عليه كلمات: علّة ـ عماد ـ سلّم، فما النظرة التي أدّت به إلى هذا التخريج الصوتي؟ إن المتتبع لأبواب "كتاب العين" يُلفي "الخليل" دائما شاكّا في أصلية الهمزة في كلّ كلمة، و كأنّه يرى لها سبلا غير الذي شاع عند غيره. فما هذا السبيل؟

لقد حرص على ضم الهمزة إلى حروف العلة التي هي مدّ للحركات، أي صوائت طويلة ، كما أخرجها من مدارج الجهاز الصوتي، و جعلها جوفية.

ألا يشير هذا إلى اعتبار "الخليل" ـ بنظرة تطورية ـ الهمزة من الصوائت؟ و أنّها كانت ترافق الحروف الصحيحة، و تساعد على النطق بها، و قد يتجلّى هذا التصور من قول "الخليل" عن حروف العربية جميعها: "في العربية تسعة و عشرون حرفا، منها خمسة و عشرون حرفا صحاحا لها أحيانا و مدارج،

---

1 ـ المرجع السابق، ج01، ص. 49.

2 ـ المرجع نفسه، ج 01، ص. 57.

3 ـ المرجع نفسه، ج 01، ص. 57.

و أربعة أحرف جُوْف و هي: الواو و الباء و الألف اللينة و الهمزة، و سميت جُوْفا لأنّها تخرج من الجوف، فلا تقع في درجة من مدارج اللسان."[1]

أ و لا تقارب المقابلة صحيح / أجوف، الثنائية صامت / صائت consonne/voyelle، و ما هو الأداء الصوتي للصوائت في اللغة الأوربية، أ ليس هو نفسه الهمزة العربية بحكات مختلفة؟

و بالنظر إلى أقدم واقع لغوي عربي في الجزيرة العربية احتفظت لنا به القراءات القرآنية، يبدو أداء الهمزة متباينا بين الروايات و القراءات، و بالتالي بين القبائل. و قد أشير من قبل في هذا البحث إلى أن التطور في الأداء العربي كان سائرا نحو تسهيل الهمزة، فأهل الحجاز لم يكونوا ينبرون، غير بعض أهل مكة. و قد ثبت أنه كلما جرى بالمفردة الكلام اتّجه بالهمزة نحو التسهيل، كما يظهر من خلال ما رواه "ابن منظور" عن بعض الهذليين، و هو قولهم: "قد توضيت، فلم يهمز و حوّلها ياء." [2] فمن كثرة تداول ألفاظ الوضوء بعد مجيء الإسلام، اضطرّ هؤلاء إلى تسهيل همزته. و من الواضح تحوّل الهمزة إلى حركة في القراءات التي تسهلها، كما في رواية "ورش" عن "نافع" لقوله تعالى: "بلى منَ اوْفى بعهده و اتّقى إنّ الله يحبّ المتقين." [3] فلو تحققت الهمزة، لكانت النون ساكنة و الهمزة هي المفتوحة، و هذه قاعدة مطّردة لالتقاء الساكنين بفعل عدم نطق الهمزة.

و من هنا يمكن القول أن "الخليل بن أحمد" فتح أفقا، و لو لم يصرح به، يسمح باقتراض قد يجد من الأدلة عند العناية به ما يحوله إلى حقيقة، و هو أن اللسان

---

1 ـ المرجع السابق، ج 01، ص. 57.
2 ـ ابن منظور: لسان العرب، ج 01، ص. 22.
3 ـ سورة آل عمران: الآية 76.

الأقدم العربي كانت الهمزة فيه حاضرة مع كل صوت تحدد حكته، و لا يزال العرب يتخلصون منه طلبا للتخفيف حتى وصل ما آل إليه عند نزول القرآن الكريم. و في قراءة "حمزة بن حبيب" قارئ الكوفة ما يحتفظ ببعض هذا الحضور المكثف للهمزة في الكلام، فهو أكثر القرّاء تحقيقا للهمزة، و له وقفة قبل كل همزة مسبوقة بساكن.[1] و هو الذي يحقق الهمزة في "جبريل" فيقرأها "جبرئيل". [2] و هي أقرب صورة اللسان العبري الذي يحتمل أن تكون المفردة اقترضت منه فـ "جبرا" تعني في العبرية الرجل القوي، و "إيل": "الله" و هذا التطابق بين قراءة "حمزة" و العبرية يسند ما استنتج عن الهمزة، إذ العبرية إحدى الساميات التي غادر أصحابها الجزيرة العربية آخذين معهم بعض الأداء القديم للسامية الأمّ، أم العربية فتطورت كثيرا لبقاء أهلها في أرضهم الأصلية. و يبقى هذا محاولة لاستنباط شيء له ما يشير إليه في "كتاب العين" ت "الخليل بن أحمد".

ـ معالجة الاقتراض اللغوي من خلال حروف الذلاقة:

إذا كان ما سبق يمثل شيئا من نظرة "الخليل" إلى الأصوات منفردة، فإنه ـ و في المقدمة أيضا ـ ينظر إليها متآلفة مع غيرها في كلمة واحدة. و يخرج إلى الناس بنظرية حروف الذلاقة الستة: ر ـ ل ـ ن ـ ف ـ ب ـ م. مفادها أنه إذا وجدت "كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلاقة أو الشفوية و لا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك [فإنّ] تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب."[3]

---

1 ـ يراجع: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج 01، ص ص. 325-326.
2 ـ محيسن، محمد سالم: القراءات و أثرها في علو م اللغة، ص. 267.
3 ـ الفراهيدي: كتاب العبن، ج 01، ص. 52.

و هذه النظرة تمكننا "اعتمادا على علم الأصوات العربي و خصائصه المتميزة من أن ندرك بطريقة دقيقة نسبيا، الألفاظ التي عربتها العربية"[1]، فهي "تحدد لأول مرة في التاريخ العام للغات عموما، و في تاريخ العربية الخصائص اللغوية فالعلمية لمسألة المعرّب و الدخيل في اللغة العربية"[2]، و تزود التأثيلي بمادة صوتية يهتدي بها في تنقيبه عن الأثيل و الدخيل، و يميز بين المعرّب و الأصيل، و إن كانت لا تحدد صفات الكلم العربي الخالص، لكنها تقدم ما لا يجعله كذلك، فهي تعين ـ على الأقل ت على إخراج الدخيل من دائرة المفردات العربية أصالة، و تمدنا بما يدعم أقوال القائلين بعجمة لفظ من الألفاظ، و هذا ما جعل محققي "كتاب العين"، يستعيران لفظا من غير معجم اللغويين لوصف ما صنعه "الخليل"، فقالا عنه إنه استطاع أن يقطع بصورة الكلمة و هندستها" [3]، فكأنه توصل إلى "الحمض النووي" (A.D.N) المميز للسان العربي يساعد على التعرف إلى صحة انتماء الكلمات إليه، أو على الأقل عدم انتماء مفردة إليه.

و كأن "الخليل" اطلع على التكوين العربي القح للكلمات، و علم أن السابقين الأولين من مستعملي لغة الضاد كانوا حرصين في توليد المفردات، و إنشائها على أن تحتوي ـ على الأقل ـ على حرف واحد من أحرف الذلاقة، و ربما أدى بنا هذا إلى القول إن هذه الأحرف من أقدم أصوات اللغة السامية الأم التي احتفظت بها العربية في تطورها فازدادت بها خفّة.

و من هنا يمكن استثمار هذه الرؤية الجليلة في بعد جمالي للعربية لا يحسن أحد تذوقه كما فعل صاحب"كتاب العين"، فقد تفطن إلى هذا البعد، و قال عن حروف الذلاقة: "فلما ذلقت الحروف الستة، و مذل بهن اللسان، و سهلت عليه في المنطق

---

1 ـ الحمزاوي، محمد رشاد: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص. 496.

2 ـ المرجع نفسه، ص. 496.

3 ـ المخزومي، مهدي ـ و ـ السامرائي، إبراهيم: كتاب العين، ج01، ص. 13.

كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها"[1]، فالمسألة عنده ليست خاضعة لمعيارية محضة، تضع قاعدة لتركيب الكلمات، و إنما هي نابعة من إحساس عميق بجمال العربية، و لخبرته بالأصوات "أقام نقده [للصيغ الرباعية و الخماسية] على الناحية الصوتية فيها، فالمتناسق عنده عربي صحيح، و الناشز مولد دخيل"[2]، من اجل ذلك استدرك "الخليل" على نفسه، و ذكر كلمات شذت عن هذا التصور، كـ "العسجد" ـ مثلا ـ، و خلت من حروف الذلاقة "و لذلك نزرن و فقللن، و لولا ما لزمهنّ من العين و القاف ما حسُنّ على حال".[3] فكأنّه جعل شرطا ضابطا لقبول عربية الكلمة و قد عريت من حروف الذلاقة، و هو احتواؤها على حرفي العين و القاف، و أضاف إليهما السين و الدّال[4]في الأسماء. و كان تعليله لوضع هذين الشرطين أن "العين و القاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه، لأنهما أطلق الحروف و أضخمها جرسا"[5]، و أما الدال فلأنها "لانت عن صلابة الطاء و كرازتها، و ارتفعت عن خفوت التاء فحسنت"[6]، و السين لأنها صارت "بين مخرج الصاد و الزاي [...] فمهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من الحروف الذّلّق و الشفوية فإنه لا يعرى من أحد حرفي الطلاقة أو كليهما."[7] و في هذا محاولة لتمديد قائمة الأصوات التي تمحض اللفظ للعربية، و لو اعتنى بها الدارسون جميعها لحققوا من الغايات اللغوية الشيء الكثير، و واضح من الأصوات المضافة إلى حروف الذلاقة أنها تشترك معها في ميزة هي تخفيف

---

1 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج 01، ص. 52.

2 ـ نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. 188.

3 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج 01، ص. 52.

4 ـ المرجع نفسه، ص. ج01، ص. 53.

5 ـ المرجع نفسه، ص. ج01، ص. 53.

6 ـ المرجع نفسه، ص. ج01، ص. 53.

7 ـ المرجع نفسه، ص. ج01، ص. 53.

الكلام و تحسينه، و كأنّ اللسان العربي، لو أردنا تعميم القاعدة، يطلب في كل كلمه الخفة و الجمال و هما معياران قلّ أن يلتفت لغوي خيبر إليهما. فكأن "الخليل" يقول: حيثما كانت خفة اللفظ و جماله فثم اللسان العربي.

و من هذه المنزلة التي وضع فيها صاحب "كتاب العين" حروف الذلاقة و أربعة غيرها، يمكن مقاربة أحد أهداف التأثيلية و هو المساهمة في التجديد اللغوي، و توليد الكلمات، و ذلك من حيث إمداد الحقل المعجمي بالأصوات التي يمكن الحرص على إدماجها في الصيغ المستحدثة، لأنها مما يسهّل النطق، و يحقّق الفصاحة في الكلمات. و الأمر يتجلى أكثر في وضع المصطلحات لأنه من عمل المتخصصين، أو المجامع اللغوية، فحري بهم أن يلتمسوا اللفظ الخفيف، و الكلم الفصيح بالإفادة من حروف الذلاقة، و حروف العين و القاف و السين و الدال. كما أن تعريب الكلمات الأجنبية ـ إن دعت إليه الحاجة ـ يقرّب الأعجمي من العربي أكثر بالسير في هذا السبيل.

و تبقى الإشارة في الأخير إلى أمرين إنصافا لـ "الخليل" هما:

ـ أن مقدمة "كتاب العين" احتوت على مادة صوتية تجعلنا "ندرك أن الخليل استطاع أن ينشئ في العربية معجما في المصطلح الصوتي لا نعرفه قبل الخليل بهذه السعة و العمق."[1]

ـ أن "الخليل" جسد شيئا من طموحه في "استيعاب كلام العرب [الذي] يقتضي أولا التمييز بين ما هو منه و ما ليس منه"[2]، مما جعله يتناول في مقدمته من

---

1 ـ المخزومي، مهدي ـ و ـ السامرائي، إبراهيم: كتاب العين، ج01، ص. 12.
2 ـ بن مراد، إبراهيم: مسائل في المعجم، ص. 15.

الناحية، الصوتية سمات الكلام العربي، فكأنه جعل من الثنائية: أثيل / دخيل من منظور صوتي بيانا لما يمكن أن يستوعبه نظام اللسان العربي، مضاهاة للثنائية الأكثر تجليا مستعمل / مهمل التي تدخل ضمن الجزء الآتي من هذا الفصل.

2 ـ 3 ـ المستوى الإحصائي للتأثيل في كتاب العين:

سبقت الإشارة إلى أنّ "الخليل" ابتكر طرقا متميزة لتبويب معجمه، تنبئ كلها بحسه اللغوي، و نظرته التطورية للسان العربي، و التي يمكن للتأثيلية أن تقاربها من خلال الجوانب الآتية:

أ ـ تقليب الأبنية:

بين "الخليل" في مقدمة معجمه أنه سيتخذ من الحروف التسعة و العشرين [1] أبنية عليها مدار كلام العرب، و التي حصرها في أربعة: الثنائي، و الثلاثي، و الرباعي، و الخماسي؛ "وليس للعرب بناء في الأسماء و لا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف." [2] ثم وضّح فكرته الرائدة و المبدعة في تبويب الكتاب على الصيغ الممكنة التي تأتي عليها أحرف كل بناء، فالأبنية "الثنائية تتصرف على وجهين نحو: قَدْ ـ دَق ـ شدْ ـ دشْ"[3]، و الثلاثية "على ستة أوجه، و تسمى مسدوسة، و هي نحو: ضرب ـ ضبر ـ برض ـ بضر ـ رضب ـ ربض"[4]، أم الأبنية الرباعية فإنها "تتصرف على أربعة و عشرين وجها و ذلك أن حروفها و هي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح و هي ستة أوجه فتصير أربعة و عشرين وجها"[5]، و أما الخماسية فـ "تتصرف على مئة و عشرين وجها، و ذلك أنّ حروفها، و هي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي، و هي أربعة و عشرون حرفا فتصير مئة و عشرين وجها."[6]

و هذا ما يؤكد أن "الخليل" ظل مشدودا بفكرة حصر "كلام العرب، و ألفاظهم

---

1 ـ فصل "الخليل" الألف عن الهمزة لذا صار عدد الحروف تسعة و عشرين.

2 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج 01، ص. 49.

3 ـ المرجع نفسه، ج 01، ص. 59.

4 ـ المرجع نفسه، ج 01، ص. 59.

5 ـ المرجع نفسه، ج 01، ص. 59.

6 ـ المرجع نفسه، ج 01، ص. 59..

فلا يخرج منها عنه شيء."[1] و إذا كان العلماء من حوله اشتغلوا بجمع المستعمل من اللغة في رسائل مختصرة عن الإبل، و الخيل، و خلق الإنسان، و نحو ذلك و ذهب خاصتهم إلى الاعتناء بالغريب ـ كما سبق بيانه ـ؛ فإن صاحب "كتاب العين" استثمر قدراته ليتسامى إلى حصر لغة العرب كلها، و ليس هذا بنقص لمبدإ الواقع القائل إنه لا يحيط بالغة أحد، حتى قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبيّ[2]، بل إن المتأمل واجد فيه تأكيدا له لأنه يتعلق بالمستعمل من اللسان فقط، الذي لا يمثل من الأبنية الممكنة ـ بحسب طريقة "الخليل" ـ إلا نزرا يسيرا، فكيف يحيط به بشر؟

ب ـ الطرح الإحصائي و الفكر الرياضي للخليل:

لا يزال "أبو عبد الرحمن" يسجل سبقه الذي لا يُضاهى؛ فقد وضع أساس منهج الإحصاء، مبتكرا طريقته بالنسبة إلى حصر المعطيات الممكنة لأوزان الكلم العربي، و التي لا أحد عرفها قبله، و لا استطاع أحد أن يأتي بأحسن منها من بعده؛ بل إن "تصنيفها للكلمات قد اعتمد في المجمع الفرنسي، و في ميادين لغوية عدّة"[3]

و قد أقام "الخليل" جهده الإحصائي على أساسين لغويين هما: انحصار الحروف في تسعة و عشرين حرفا، و انحصار الكلمات في أربعة أبنية و كان ربط العلاقة بينهما لتجسيد كفاءة إحصائية يحتاج إلى فكر رياضي ثاقب، و ملكة لغوية موسوعية، و هما بعض مواهب "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، و لم يكن الأمر متاحا لغيره، و ربما ظل سبيل إحصاء قدرة نظام اللسان العربي مخفيا إلى اليوم، فليس سائغا كما حاول "حسين نصار" طرحه في قوله: "ألا يمكن باستخدام

---

1 ـ المرجع السابق، ج 01، ص. 47.

2 ـ ابن فارس، أحمد: الصاحبي في فقه اللغة، ص.49.

3 ـ الحمزاوي، محمد رشاد: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص. 494.

هذين الأساسين [...] أن يحصر اللغة [...] لا شك أن ذلك ممكن" [1]، فلم تكن مهارة "الخليل" الرياضياتية تطبيقية فحسب كما يظهر من تعليق محققي "كتاب العين": "و قد توافرت لديه أبواب منتظمة محبوكة حبكا رياضيا متقنا"[2] ـ مع ما فيه من تقريظ ـ، بل إنه تجاوز ذلك إلى التفكير الرياضي الذي يحسن تقدير المعطيات، و إيجاد التقنيات الرياضية المناسبة لها، بل المثلى في الوصول بها إلى النتائج المرجوة. و هو ما فعله الخليل، "فقد فكّر في متن اللغة تفكيرا حسابيا رياضيا، فتصور أن حروف المعجم يمكن تتبّعها فيما يجوز أن يتركّب منها من كلمات [...] ثم يتتبع ما عليه شاهد من كلام العرب من هذه التركيبات فيثبته على أنه "مستعمل"، و ما لم يجد عليه شاهدا يثبته على أنه مهمل"[3]

و على الرغم من تنبّه بعض الدارسين إلى استعمال "الخليل" فكرا رياضيا لإحصاء الأبنية الأصول للسان العربي، فإنّ البحث لم يقف على أحد ذكر الطريقة ـ أو الفكرة ـ الرياضياتية التي اعتمدها، و التي لا يمكن إلاّ أن تكون "التوفيقات" (Combinaisons)، و التي تطبق ههنا على عنصرين: عدد حروف اللغة، و عدد الأبنية، فيكون الحساب كالآتي:

ـ البناء الثنائي: 29 ×28.....812

ـ البناء الثلاثي: 29×28×27 ..... 21924 +

ـ البناء الرباعي: 29×28×27×26 ..... 570024 +

ـ البناء الخماسي: 29×28×27×26×25..... 14250600

=14843360

---

1 ـ نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. 175.

2 ـ المخزومي، مهدي ـ و ـ السامرائي، إبراهيم: كتاب العين، ج01، ص. 15.

3 ـ ظاظا، حسن: كلام العرب: من قضايا اللغة العربية، ص. 129.

و بهذا يقترب عدد الأبنية الممكنة في اللسان العربي من خمسة عشر مليون بناء، فما نصيب المستعمل من هذا؟

لا يمكن حصر المستعمل بصفة دقيقة، و لكن لو اعتبرت مفردات أضخم المعاجم العربية: "لسان العرب" لـ "ابن منظور"، التي يمكن أن يصل أقصى تقدير لها إلى المئة و الخمسين ألفا[1]، فإنّ عددها بالنسبة إلى عدد الأبنية اللغوية الممكنة تكون: 1.01 بالمئة فأي قدرة يمتلكها نظام اللسان العربي الضائع اليوم بين جهل، و عجز العارفين به؟

و هكذا فإن "عملية إحصاء العربية وحدها تعد العملية الكبرى التي هيأت لجميع أصحاب المعجمات المطولة المادة التي عقدوا عليها أبوابهم و فصولهم."[2]

و لقد كانت طفرة لغوية عجلت بإخراج الفكر العربي في نهاية القرن الثاني للهجرة من الرواية و السماع إلى حضارة التدوين و التوثيق و الدقة، التي يؤسف على تخلي أولي العلم و الأمر عنها في قرون تالية.

و لم يعتد "الخليل" بفكره الرياضي ليبتعد عن حسه اللغوي، و إنما دأب في معجمه على أن ينصّ في كل مادة على المستعمل من صيغ الأبنية المقلوبة، مما يبقي المجال مفتوحا على أي وضع لغوي يأتي بعده فيضاف إلى لائحة المفردات المستعملة، دون أن يخرج عن الأبنية التي لا تُحصى عددا.

و هذا ما يبرئ الخليل من تهمة الخطإ حين لم يذكر ضمن المستعمل بعض المفردات التي أثبتها غيره من المعجماتيين الذين لحقوا به، فما تداولته اللغة في عصور هؤلاء، لم يكن في خطاب الناس في عهد "الخليل".[3]

---

1 ـ قدّرها محمد رشاد الحمزاوي نحو تسعين ألف مفردة (90000)، يراجع: أعمال مجمع اللة العربية بالقاهرة، ص. 296.

2 ـ المخزومي، مهدي ـ و ـ السامرائي، إبراهيم: كتاب العين، ج01، ص. 8.

3 ـ يراجع: نصار، حسين: المعجم العربي، نشأته و تطوره، ج01، ص. 218.

ج ـ البعد التأثيلي لتقليبات الأبنية:

لم يشأ "الخليل" الوقوف بعلمه عند حاضره فيجمع لغة عصره و يدرسها، و إنما استعمل قدراته في بحثه، و تعامل مع اللسان العربي بما يضاهي منهج "العلوم التجريبية [في العصور المتأخرة، المعتمدة] على الوصف، و المشاهدة، و الاستنتاج من خلال آليات لغوية عربية، و هي بالتالي أسمى مظاهر الفكر العربي."[1] و بهذا توصل إلى "تصور معجم عربي [...] نظري يمسح الماضي و الحاضر و المستقبل"[2]، و يدخل ضمنه كل معجم لغوي يؤلف عبرا لعصور. و بهذا يكون قد قارب من خلال فكرة المستعمل و المهمل، ما عُرف بالموجود بالقوة، و الموجود بالفعل، فالرقم الهائل الذي وصلت إليه الأبنية الممكنة في اللسان العربي تمثل قدرة نظامه (الموجود بالقوة) المذهلة. فما حظ الملامح التأثيلية من هذه النظرية الخليلية؟

إن الإجابة على هذا السؤال تبدأ من عند "الخليل" نفسه، فقد قال: "بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين و هو أقصى الحروف، و نضم ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح و الغريب." ففي قوله "الغريب" ما يشير إلى استشرافه رصيدا لغويا غير متداول، و ما دام قد استعمل فهو من بقايا عصور غابرة، و في هذا أول تجلّ للمسة تأثيلية، و لكنها ليست التجلّي كلّه.

إن أهم ما يثير الانتباه في عمل "الخليل" أنه جعل التقليب نظاما لغويا يواكب التطور و الاستعمال يأخذ ما يحتاج إليه و يظلّ دائرا في فلكه، و يستوي في هذا السابق مع اللاحق لأنّ قانون النظام اللساني العام متى عُرف، و عُلم أنه قديم غير

---

1 ـ الحمزاوي، محمد رشاد: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص. 223.

2 ـ المرجع نفسه، ص. 224.

مستحدث سار على هداه الناس جميعا، فكأنّ "الخليل" يقرّر أن الأقدمين من العرب كانوا يلجأون إلى تقليب الأصول للحصول على مفردات يحتاجون إليها للتعبير عما يعنّ لهم. و مما يُتوسّم منه رؤية تطورية لدى "ابن أحمد" أنه كان يتخلى عن ترتيب الأبنية اللغوية بحسب ترتيب حروفها، و هو ما يُربأ بمؤسس الصوتيات، و المعجمية، و رائد الإحصاء و التنظيم و الفكر الرياضي أن يقع فيه. و ما بقي سوى افتراض أنه كان يعيّن "المادة الأصل ثم المقاليب على التوالي التاريخي، بحيث يقف من بعدُ على مقدار قدامة كلّ مادة، و معرفة العمر الطويل الذي عاشت فيه."[1]

و مما يدل على هذا من تعريفات "كتاب العين" ـ مثلا ـ في باب الرباعي من العين؛ ذكر أبنية على هذا الترتيب: دعلج ـ جعدل ـ عجلد ـ جلعد [2]، و ترتيبها بحسب تدرج المخارج: عجلد ـ جعدل ـ جلعد ـ دعلج، و لا يعقل أن "الخليل" يبدأ بالدال في "دعلج" قبل العين في "عجلد" و هو في باب العين ! و عند قراءة تعريفه للصيغة التي بدأ بها "دعلج": "ألوان الثياب"[3]، أما الصيغ الباقيات فتدل اثنان منها على نوعين من الإبل، و واحدة "عجلد" على "اللبن الخاثر"[4]. و واضح من حيث الدلالة أنه يمكن أن تكون تسمية بعض الإبل و اللبن الخاثر بناء على لون، و تقليبا لصيغة سابقة تدل على الألوان.

و قد ترشد الأبنية المهملة ـ في اصطلاح "الخليل" ـ، زيادة على بيان ما يقدر عليه نظام العربية، إلى رصيد متقادم من اللسان يرجع إليها. و هو أمر يتطلب الوصول إليه جهدا كبيرا من الباحثين، و مسحا لكل النصوص و المصادر التي لها صلة بأقدم ما حفظته الذاكرة من لغة العرب.

---

1 ـ كشلي فواز، حكمت: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، دراسة و تحليل و نقد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1996، ص. 49.

2 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج 02، ص. 317.

3 ـ المرجع نفسه ، ص. ج 02، ص. 317.

4 ـ المرجع نفسه، ج 02، ص. 317.

و هناك أمر آخر يرجح هذه الاستنتاجات، و هو ما ذهب إليه اللغويون بعد "الخليل"، في اعتبار تقليب أصول الفعل الثلاثي ضربا من الاشتقاق الذي يولد كلمات تدعم بها اللغة، مما جعل بعض الباحثين يعتبر "الخليل هو أول من فتح عيون تلاميذه على ظاهرة الاشتقاق الكبير قبل أن يفطن إليها أو علي الفارسي، و ابن جني."[1] و الفائدة من هذا الالتفات إلى الاشتقاق الكبير أن أصحابه يجعلونه وسيلة تطوير تتزود بها اللغة في مسارها الآني ـ بالنسبة إلى عصرهم ـ و المستقبل مدعومين بما يمكن أن تشترك فيه الصيغ المقلوبة من عناصر دلالية.

و ما دام الأمر كذلك، فما المانع من أن يكون الأقدمون قد فعلوا الشيء نفسه غير أن بعضه أُهمل فلم يعد يستعمل؟ و البحث عنه شاق، لكنه يقدم خدمة جليلة للمباحث التأثيلية خاصة، و للسان العربي عامة. و من حسنات هذا التوجه الخليلي إلى ضبط المستعمل، و التنبيه إلى المهمل عن الأبنية أنه يزود العربية برصيد يمكن أن تستعين به في حاجاتها المعاصرة، أمام الاضطرار إلى توليد كلمات تدل على المصنوعات الجديدة، و المفاهيم المستحدثة، و بصفة أشدّ إلحاحا إيجاد مصطلحات علمية عربية تُترجم تلك التي تفد إلى العرب من يمين و شمال، و الأمر ـ لو حصل ـ سيشبه كثيرا ما فعله الأوربيون من الاستعانة بالرصيد اللاتيني و الإغريقي في وضع مصطلحاتهم العلمية كما سبق بيانه.

و يبقى في آخر هذا الجزء من البحث أن يُسجَّل سبق "الخليل" من خل تقليبه للأبنية، و نظرية المستعمل و المهمل، يوجز اختصارا فيما يأتي:

---

1 ـ ظاظا، حسن: كلام العرب: من قضايا اللغة العربية، ص. 130.

أ ـ مقاربة "الخليل" للقدرة اللغوية "قبل أن يقاربها همبولت [Humbolt]، و دي سوسير [De Saussure]، و تشومسكي [Chomsky] حسب مفهوم اللغة (Langue) مقابلة بالكلام (Parole)."[1]

ب ـ إبراز "الخليل" للتفاعل بين اللغة و الفكر؛ "فإذا كان المستعمل يقرّ فعل الفكر في اللغة عموما من خلال ما زودها به من مفاهيم، فإن المهمل يثبت فعل اللغة في الفكر من خلال ما هيأت له من صيغ و أشكال لتحتوي مفاهيمه الممكنة."[2] و هو ما ينبغي أن يجعل القائلين بأن الفكر أكبر من اللغة يتريثون قليلا أمام اللسان العربي، فـ 14843360 بناء لغويا ممكنا ـ من غير الكلمات المشتقة المنتمية إلى كل بناء ـ كافية لتشجيع "بني إسماعيل" على أن يقولوا: لساننا أكبر من الفكر البشري كله. و من القرآن ما يستأنس به؛ فتعليم الله لـ"آدم" صنع اللغة كان قبل أي شيء آخر: "و علّم آدم الأسماء كلّها"[3]، كما أن امتنان الرب ـ عزّ و جلّ ـ على الإنسان بالقدرة على التعبير بعد نعمة الخلق مباشرة، ما يشير إلى أهمية اللسان، فقد قال تعالى: "الرحمن علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان".[4]

ج ـ ما قام به "الخليل" من إحصاء رياضي للغة، يدل على قابلية الحدات المعجمية للإحصاء و بالتالي أنها عناصر لغوية، مما يجعل المعجم "ليس كشفا غير محدود، و لا هو قائمة مفتوحة [...] بل هو رصيد ضخم من الوحدات المعجمية [Lexicologiques] المستعملة القابلة للحصر. و هو ما ينحو بالمعجم نحو أن يكون نظاما لغويا، و ليس لائحة للكلمات فقط.

---

1 ـ الحمزاوي، محمد رشاد: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص. 287.

2 ـ المرجع نفسه، ص. 224.

3 ـ سورة البقرة: الآية 31.

4 ـ سورة الرحمن: الآية 04.

2- 4 ـ المستوى الاشتقاقي للتأثيل في كتاب العين:

و هذه نظرة أخرى إلي التطور اللغوي التاريخي، فإذا كانت السابقة مبنية على تقليب أصول البناء اللغوي، فإن مظهر توليد المفردات هنا قائم على تكوين أصل ثلاثي بإلحاق صوت ثالث.

و كأن الخليل قارب اللغة آنيا و تعاقبيا، كل هذا و هو يجمع مادة أول معجم في تاريخ العرب، ممّا يجعل واقع اللغة المعهود في عصره، و قبله بقرون، و ما يعلمه من أسرار تاريخيه لتطور اللسان العربي يتنازعان؛ فمن الواضح أن ثلاثية الأصول أو بتعبير أدق انتهاء أقل الكلمات إلي ثلاثة أصوات، كان أمرا راسخا في العربية زمن الخليل يؤدي إليه كل تأمل وصفي، غير أن الذي رجع بعلمه وخبرته باللسان إلي أولى مراحل تكوينه يدرك مالا يعاينه أحد، و يصعب عليه حينئذ بيانه حيث اكتفى الفراهيديّ بقوله في بداية تقديم باب العين "و بدأنا الأبنية بالمضاعف، لأنه أخف على اللسان، و أقرب مأخذا للمتفهم"[1] ثم قال في موضع من مقدمته بشيء من الشرح والتمثيل والإلحاح الدال على قلقه من عدم تفهم مقولته ما نصه : " و العرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف و من الثلاثي المعتل، أ لا ترى يقولون صلّ اللجام يصلّ صليلا، فلو حكيه ذلك قلت: صلّ تمد اللام و تثقلها، و قد خففتها في الصلصلة و هما جميعا صوت اللجام" [2] و يظهر من خلال هذا الوصف أن اشتقاق العرب أنما قام على الثنائي، فهو إن ضعف ثانيه صار ـ على تسمية الخليل ـ ثلاثيا مضاعفا و إن أضيف إليه حرف علة فهو الثلاثي المعتل، و إن كرر المقطع

---

1 ـ الفراهيدي: كتاب العين ج1، ص. 60.

2 ـ المرجع نفسه: ج1، ص. 56.

الثنائي نفسه صار مضاعفا نحو صلصل. و حتى ما كان يبدأ به باب كل حرف من الثنائي إنما هو في حقيقته ثلاثي لأن التضعيف حرف: فـ "عق" ـ مثلا ـ هي "عقق"، فهل جهل الخليل هذا كما ظن بعض من آخذه؟ أم إنه أراد أن " يشعرنا بهذا البدء إن المضاعف الثلاثي قائم على الثنائي الذي يصار منه إلى الثلاثي "؟[1]، و أنه قد فطن الي شيء من التطور التاريخي للعربية، الذي بمقتضاه تكون "طريقة تضعيف الكلمة هي الطريقة الأولى في نقل الثنائي إلى الثلاثي". [2]

و الخلاصة أن الثلاثي نشأ من تضعيف ثاني الثنائي، أو مده فكأن اللغة في زمن غابر لا يعلمه أحد من الناس كان مدار كلماتها على أصول ثنائية، فلما دعت الحاجة الى توليد للغوي كان الخطوة الأولى بتضعيف الثاني أو مده، فإذا ازدادت الحاجة إلى التوليد رُكّب مع الأصل الثنائي حرف ثالث صحيح آخر غير الثاني.

وهذا الفهم من الخليل هو الذي تبناه ابن فارس وجعله مقياسا ألّف على أساسه معجمه " مقاييس اللغة "، حيث كان يسمى باب كل ثلاثي بالحرفين الأولين وما يثلثهما، كأن يقول مثلا: " باب الهمزة والجيم وزما يثلثهما" و يذكر فيه حسب ترتيب الثالث: أجح ـ أجد ـ أجر ـ أجص ـ أجل ـ أجم ـ أجن ـ أجأ".[3]

و تبنى هذه النظرية أيضا ابن جنّي، لكنه جعلها ضربا من الاشتقاق في العربية، و سماه الاشتقاق الكبير.

---

1 ـ مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي: كتاب العين، ص. 9.

2 ـ المرجع نفسه، ص. 9.

3 ـ ابن فارس :مقاييس اللغة ج1/ص ص. 62- 66.

ومن الطبيعي أن تكون الأبنية في أول عصور اللغة أقصر منها في آخرها، لأن الاشتقاق و التركيب يقتضيان الزيادة خاصة في المراحل الأولى من تطور اللغة. و هي بالنسبة إلى العربية مجهولة لقدم هذا اللسان، و لا يمكن تمثلها إلا بمثل ما فعل الخليل.

و إذا كان التطور بحسب ما سبق قائما على إضافة ثالث في آخرا لثنائي، فإن الخليل وجد حرية أكثر لعرض رأيه في الأسماء، فقال ملمحا إلي تطورها: " الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف: حرف يبتدئ به ،وحرف يحشى به الكلمة، و حرف يوقف عليه ".[1] و الإضافة هنا أن تأسيس الثلاثي ليس على مستوى حرفه الثالث فحسب، إنما يمكن أن تكون في الأول أو الثاني. و في هذا مقاربة لتركيب الكلمات في العصور الأخيرة عند الأوروبيين الذين اعتمدوا على ضم صوت أو مقطع صوتي إما إلي أول الكلمة ويسمى سابقة " préfixe" أو وسطها و يسمى ـ على طريقة الخليل ـ جشوا " infixe"، أو في آخرها ويسمى لاحقة "suffixe". و ما يدرينا؟ لعل ما نراه منا قريبا في اللغات الأوروبية ، هو نفسه كان بعيدا في اللسان العربي. و مما يرسخ عند الخليل هذا البعد، قوله بعد الإشارة إلى كيفية تكون الثلاثي " فأما زيد و كيد فالياء متعلقة لا يعيد بها"[2] و فيها إضافتان:

ـ الأولى أن الثلاثي الخالص ما كانت حروفه صحيحة، أما إن كان أحدها حرف علة كزيد فلا يعتد به، و كأنه لا يزال يحتفظ بمظهر التطور الذي لم يكتمل.

ـ الثانية أن الانتقال من الثنائي إلى الثلاثي يكون على مستوى الحرف الثاني، لأن موضع الياء (حرف العلة) هو المرشح تطوريا ليصير صحيحا.

---

1 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص. 49.

2 ـ المرجع نفسه، ج 1، ص. 49.

و هذا النوع من تثليث الثنائي ابتداء أو حشوا أو انتهاء يمكن ملاحظته في كثير من الأبنية الثلاثية، و الذي يعين على إدراكه دلالة مشتركة أو متقاربة بين حرفين تتواجد (أو بعض منها) عبر الثلاثيات، مثل الثنائي [بت] الذي يفيد عموما القطع، فالأول منه بتٌ: القطع المستأصل، و الدلالة المشتركة في الصيغ الثلاثية المبتناة من هذا الأصل الثنائي تتضح على النحو الآتي:

- الإسباق (préfixation) لبت : [بت] اللبت: ضرب الصدر و البطن و الأقراب بالعصا .

- الحشو (infixation) برت: ب]ر[ت: كل ما قطع به الشجر فهو برت.

- الإلحاق (suffixions) بتر: [بت]ر: البتر قطع الذنب و نحوه.

و هكذا تجد النظرة الخليلية مجالها للتطبيق في الأصول المستخدمة إلى اليوم، بما يسمح بإيجاد أثلة (étymon) هي البناء الثنائي، ترجع إليها الأبنية الثلاثية التي صارت أصولا للاشتقاق في العربية. و يتأكد " أن الفعل الثلاثي قائم على الثنائي ، و أن هذا الثنائي يصار به إلى الثلاثي إما عن طريق التضعيف، و إما عن طريق زيادة صوت آخر. و هذا الصوت الآخر قد يأتي صدرا في الفعل [...] و قد يأتي حشوا [...] و قد يأتي كسعا في آخر الفعل ". [1]

و في الأخير يمكن القول إن اعتماد طريقة محددة لتبويب كتاب العين لم يكن عملا تنظيميا تصنيفيا فحسب، و إنما هو وليد نظرة لغوية تطورية تاريخية جمعت بين الغوص في أغوار الماضي و سعة الاطلاع على الحاضر، و تهييء مادة توليدية الى المستقبل. و إذا كان "ابن جني " و "ابن فارس " و "أبو علي الفارسي " قد انتبهوا إلى فائدة تقليب الأصل الثلاثي أو إضافة ثالث إلى الثنائي

---

1 - مهدي، المخزرومي، و إبراهيم، السامرائي: كتاب العين، ج1، ص. 14.

في اشتقاق كلمات عند الحاجة إليها، و هذه رؤية مستقبلية استنبطوها من واقع لغوي وصل إليهم، فإن الخليل استطاع أن يدرك أن هذا هو التصرف اللغوي الأول الذي انبنت عليه الكلمات، فكأن هؤلاء عرفوا آخر الأمر والخليل عرف أوله و آخره .بل إن ما عرفه هؤلاء من ثمرات موسوعة الخليل اللغوية: كتاب العين.

الفصل الثالث

الجوانب التأثيلية في تعريفات كتاب العين

- تمهيـــد؛

1 - كيفية بناء الكلمات و تأصيلها؛

2 - اللغة الأمّ؛

3 - الاقتراض اللغوي؛

4 - تطوّر الدلالة؛

5 - الجغرافية اللغوية.

ـ تمهيـــــد:

يصل البحث في فصله الثالث إلى المرحلة التطبيقية الأكثر حيوية، و الأكثر تتبعا لجهود الخليل بن أحمد الفراهيدي التأثلية. فبعد أن حاول الفصل الثاني الوقوف على المستويات النظرية التي شكلت أبعادا تأثيلية ضمها كتاب العين، ها هي الدراسة تتقصى طرائقها التفصيلية، الكامنة في تعريفات أول المعجمات العربية تأسيسا ظهورا، و أشملها إحاطة بقضايا لغة الضاد.

و ستقوم المنهجية في هذا الفصل على تصنيف الملامح التأثيلية الواردة في معجم الخليل إلى مجالاتها المتعددة التي أمكن إيجاد متجلياتها فيه. و التي ستكون مقسمة على الجوانب التي يمكن مقارنتها تأثيليا، والتي هي من اختصاصات التأثيلية الحديثة، على أن يبدأ كلٌّ من هذه الجوانب بتقديم لمجاله، و أهداف بحوثه، و أهم نتائجها ضمن المنظور اللغوي الحديث، ثم يخلص مباشرة إلى عرض بعض التعريفات الخليلية ذات التوجه التأثيلي و المنتمية إلى كل مجال من المجالات المقدمة نظريا. و سيحاول البحث عرض مناهج منها بشيء من التحليل، و التوسع و المناقشة مستعينا بباحثين و علماء آخرين غير الخليل قصد إعطاء الأمثلة حقها، و تقويم المستوى التأثيلي في تعريفات كتاب العين، و لعل الهدف الأسمى لهذا الفصل هو بيان ما احتوى عليه المعجم الأول في العربية من وقفات تاريخية و نظرات تطورية قد لا تضاهي في نصوصها تقنيات المعجمات التأثيلية الحديثة عند الغربيين، لكنها ستكون بلا ريب مختزنا لقيم جليلة، تسجل السبق، و تظهر الحق في أن معجمات العربية لم تكن صفرا من أي ملمح حداثي في جمع اللغة، و تحليلها، و التأريخ لها.

وقد رتبت مباحث و تتبعات هذا الفصل على النحو الآتي :

- كيفية بناء الكلمات و تأصيلها،
- اللغة الأم ،
- الاقتراض اللغوي،
- تطور الدلالة،
- الجغرافية اللغوية.

1- كيفية بناء الكلمات و تأصيلها:

لقد كفى هذا المبحث الخوضَ في الجوانب الخاصة بتكوين الكلمات ما سبق التفصيل فيه في الفصل الأول من خلال المقاربتين: التاريخية و البنيوية للتأثيلية.

لذا سيشرع مباشرة في عرض بعض من الكلمات التي جاء تعريفها الخليلي مضمخا بنظرته التطورية للغة، و التي يمكن اعتبارها - إن ُوفق البحث إلى حسن استخراجها و تقديمها- نواة الدراسات التأثيلية، و المعجم التأثيلي معاً عند العرب.

و فيما يأتي عرض وجيز لبعض الكلمات تمثيلا لا حصرا:

- أنـــــــا:

«قال الخليل: أنـا: فيها لغتان، حذف الألف و إثباته، و أحسن ذلك أن ُتثبتها في الوقوف، و إذا مضيت عليها قلت: أنَ فعلتُ. و إذا وقفت قلت: أنـه، و إن شئتَ: أنا. و حذفها أحسن.» [1] و لا يبدو هنا تصريح من"الخليل" برغبته في الخوض في أصل تكوين ضمير المتكلم "أنا"، غير أن وقوفه عند ألف الضمير، و محاولة بيانه أنّ فيها لغتين يشير إلى صورتين يُحتمل أن تكون إحداهما متطورة، و الأخرى من بقايا الأثلة: و في تفصيل الفراهيدي عدم نطق الألف ما يشير إلى إثباته الصيغة الأولية في تلك الحقبة، أما اليوم فالألف أضحت صوتا ثالثا لازما لضمير مفرد المتكلم، و قد ذكر "محمد حسين آل ياسين" أنّ الألف ثابتة أيضا

1- الفراهيدي: كتاب العين، ج 8، ص. 399.

في بعض اللغات المشرقية العتيقة "الساميات" (1)، و هو ما يشير إلى أن تطوير كلمة "أنا" بمدّ حركة النون أمر قديم في العربية، غير أن تنبيه برغشتراسر (G.Bergstrasser) إلى حذف الألف في الآرامية (2)، و محمد التونجي إلى حذفها في الحبشية (3)، و هما لغتان ضاربتان في القدم، يلفت الانتباه إلى صورة أبعد تاريخيا، ربما كانت شاهدا على المرحلة الثنائية للغات المشرقية. و لعل هذا ما سمح لمحمد التونجي أن يذهب في التأثيل إلى أبعد من هذا، أي إلى المرحلة التي كان «إذا أراد العربي أن يتكلم عن نفسه لفظ الحرف"أ" و أشار بيده إلى نفسه »(4) و مما يدعم هذا التخمين بقاء الضمير"I" في الإنغليزية إلى اليوم و ليس فيه، في الواقع، غير الهمزة.

و هكذا ففي إشارة الخليل فتح أفق للمؤثلين، و حسبه من الأمر ذلك.

- اســـــــم:

قال الخليل:« و الاسم: أصل تأسيسه: السمو، و ألف الاسم زائدة و نقصانه الواو، فإذا صغرت قلت: سُمَي، و سَمَّيْت، و أسْميت، و تَسَمَّيْت بكذا. قال: باسم الذي في كل سورة سِمُه.» (5) و هو الرأي الذي ذهب إليه البصريون من بعد الفراهيدي، و قابلهم الكوفيون بمذهب آخر فحْواه أن الاسم مشتق من الوسم(6)، غير أن المدرستين نظرتا إلى لفظة "اسم"

1- يراجع: آل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العر،ب ص ص. 471-472.

2- برغشتراسر (G.Bergsrasser)، التطور النحوي ص 42.

3- التونجي، محمد: رأي في جذور الضمائر، مجلة اللسان العربي، العدد13، 1976، ص 103.

4- المرجع نفسه، ص 102.

5-الفراهيدي: كتاب العين ج7، ص 318.

6- يراجع،آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب ص481.

على أنها ثلاثية التأسيس، وردّوا الألف إلى واو. غير أن المؤسس الأول للغويات العربية لم ينقصه التنبّه إلى ثنائية الأصل حتى قال: "و ألف الاسم زائدة"، كما دعم هذا بالقول المأثور في أخر تعريفه و الذي فيه "سِمُه"؛ فالهاء ضمير و المستخدم من الاسم حرفا السين و الميم ، و هو ما يتوافق مع صيغة «الاسم في الأكدية : šumu، و في الآرامية: šemā أصلها: šum . » (1)

- شـــــيء:

قال الخليل: « إنما كان أصل بناء شيء: شيِّئ بوزن فَيْعِل، و لكنهم اجتمعوا قاطبة على التخفيف [...] و قال الخليل: أشياء: اسم للجميع كان أصله: فعلاء: شَيْئاء، فاستثقلت الهمزتان، فقلبت الهمزة الأولى إلى أول الكلمة فجعلت: لفعاء. »(2) و في هذا التعريف يبدو أثر الخليل في المدرستين معا، الكوفية و البصرية؛ فالأولى قال أصحابها - كما أثبته ابن الأنباري-: « و أصل شيء: شَيِّئ[...] إلا أنهم حذفوا الهمزة التي هي اللام طلبا للتخفيف.» (3) و أما الثانية فاكتفى أصحابها بمناقشة الجمع "أشياء"، و جعلوا وزنها "لفعاء"، كما ذهب إليه الخليل، بتخفيف إحدى الهمزتين في الأصل"شيئاء"، و بتقديمها إلى ما قبل فاء الكلمة، و هي لامها (4) و اتفق القراء مع الباقين في أصل المفرد "شَيِّء"، غير أنه جعل

1- برغشتراسر: التطور النحوي، ص. 55.
2- الفراهيدي: كتاب العين، ج 6، ص 296.
3- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج 2، ص. 298.
4- يراجع: المرجع نفسه، ج 2، ص ص. 299-300.

الجمع على وزن أفعلاء (1)، و هو ما يجعل الهمزة الأولى زائدة لصيغة الجمع، كما يسمح باعتبار الهمزة الأخيرة مبدلة من واو أو ياء، و هذا محال بالنسبة إلى الكلمة الأصل"شَيِّء". و هو ما جعل صاحب الإنصاف يقول: « و قولهم: إنّ أشياء في الأصل على أفعلاء، قلنا هذا باطل .» (2) و بهذا يكون الخليل بن أحمد أول من أصّل للفظ "شيء"، و بين صورتها الأولى، و تناول صيغة جمعها أشياء بوصف لغوي فائق رسم مرحلة تطورية لكلمة شيء إفرادا و جمعا، و لم يتجاوزها موغلا في القدم، غير أنه - كعهد البحث به - يترك إشارة تلمّح من بعيد إلى أثلة قد يُتوصل إلى تمثلها بوسائل لم تتح لصاحب كتاب العين. أما الإشارة فمن إيحاء عبارة الفراهيدي: « أصل بناء شيء: شيِّئ بوزن فَيعِل» (3) التي تجعل الصيغة الأصلية لـ"شيء" صفة جذورها: الشين، و الياء، و الهمزة.

و أما الوسائل فتتمثل أساسا في الرجوع إلى قريبات العربية القديمة، و معها شيء من تخمين المؤثلين المسموح به في حدود ما يمكن تبريره، فلقد ذكر "محمد حسين آل ياسين" أن الذي يرجحه في شيء « أنما في الأصل ضمير الغائبة في اللغة السامية الأم: شيء (sai) الذي تطور صوت الشين فيه إلى الهاء قياسا على ضمير المذكر: "هُوء" (hu´a) في كل اللغات السامية، فصار الضميران "هُوء" و "شيء": هوء و هيء، ثم أصبحا هو وهي في العربية.» (4) و في هذا ما يثبت قدم الهمزة في

1- يراجع: آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب. ص ص. 487-488.
2- ابن الأنباري: الإنصاف، ج 2، ص. 302.
3 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج 6، ص. 296.
4 ـ محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص 488.

الضميرين و أنها «حذفت في العربية، و أبدلت واوا في المذكر و ياء في المؤنث. و لا شكّ في أنّ ذلك الإبدال كان في زمن قديم جدا، أقدم من سائر تخفيفات الهمز في اللهجات العربية بكثير.» (1) أمّا الشين فيشهد لقدمها انتقال الضمير كما هو إلى الإنغليزية "She" الذي يدل حتى اليوم على المؤنثة الغائبة، و لم يحدث له سوى تسهيل آخره، فكأنّه انتقل إلى اللغة الهندوأوربية الأم في مرحلة تخفيف العربية همزته. كما يُسجل أخذ هذه اللغة للصورة التطورية الثانية للضمير بعد إبدال الهاء بالشين أي "هيء" رلتخصيصه للمذكر الغائب، كما هي الحال في الإنغليزية إلى اليوم، فـ "he" (هي) للمذكر و"She" (ش) للمؤنث. و مبرر ربط "شيء" (أو شيّئ كفيعل كما تأثلها الخليل) بالجذر الأول لضمائر الغائب في اللغة الأم الذي « بقي منه في العربية ظِلٌّ ضيق، و استعمال خاص، بعُدَ به عن دلالته الأولى [...] و صار يراد به معنى الحاجة معنوية و مادية، و هو الذي تؤديه لفظة شيء.» (2)

- لات:

قال الخليل : « و لولا أنّ "لات" كتب في القرآن بالتاء لكان الوقوف عليها بالهاء لأنها هاء التأنيث أنثت بها"لا".وتزيد العرب في "الآن" و حين "تاءً"، فتقول تالآن، و تحين مثل :"لات حين مناص"(3) وإنما

1- براغشتراسر: التطور النحوي. ص. 82.
2- آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، ص 488.
3- من قوله تعالى: (و نادوا و لات حين مناص)، سورة ص ، الآية 3.

هي : لا حين مناص [...] و من احتجّ بـ "لات حين مناص" أن التاء منفصلة من حين فلا حجة فيه، لأنهم قد كتبوا اللام منفصلة فيما لا ينبغي أن يفصل كقوله تعالى:« مَالِ هذا الكتاب» (1) فاللام في "لهذا" منفصلة من "هذا"، و قد وصلوا في غير موضع وصل، فكتبوا "ويكأنه"(2)» (3) و كأن الفراهيدي يريد أن يقول لأصحاب الرأي المخالف إن رسم المصحف لا يُتخذ حجة لاعتبار التاء من "حين". أما طريقته في تأثيل "لات" فقد انتهت إلى أن "لات" ليست إلا "لا" النافية مضافة إليها تاء التأنيث، التي هي في نظره مما يرسم هاءً، و يتوقف عليه بها. و أرجع كتابتها بتاء "مفتوحة" إلى التأثر برسم المصحف الذي وردت فيه الكلمة مرة واحدة، و لا يجهل أي متبصر أن لمصحف مميزاته الخاصة التي لا تشيع في قواعد الإملاء. و قد دأب العرب على إدخال التاء على بعض الحروف، مثل: « ثمت و رُبّت، و إنما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين.» (4) و يذكر "ابن هشام" في "مغني اللبيب" مذهبين آخرين في تأصيل "لات"، أحدهما ما ذكره الخليل نفسه و تولى الرد عليه، و الثاني « أنها كلمة واحدة، فعل ماض [اختلف فيه بين] أنّها في الأصل بمعنى نقص[...] و أن أصلها "ليس" بكسر الياء.» (5) ثم يقرر في نهاية مبحثه

1- من قوله تعالى: (و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)، سورة الكهف، الآية 49.

2- من قوله تعالى: (وٌيكأنه لا يفلح الكافرون) سورة القصص، الآية 82.

3- الفراهيدي: كتاب العين، ج8/ص 369.

4- الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت (لبنان)، 1995، ج1 - ص ص.281-282.

5- المرجع نفسه ج1 - ص ص. 281-282.

أن ما ذهب "إليه الخليل رأي الجمهور، و أنه الأرجح. و يبين المستشرق "برغشتراسر" أنْ « قد اشتقت العربية من: "لا" أدوات أخرى للنفي، لا توجد في سائر اللغات السامية [و أنّ "لات" منها]، و هي نادرة لا تكاد توجد إلا في القرآن الكريم و بعض الشعر العتيق.» (1)

و كأنّ خلاصة قوله أنّ "لات"من اللفظ الأثيل في اللسان العربي، القديم في استعمال أهله الغابرين الذين اصطنعوه لأنفسهم بعيدا عن المشترك بينهم و بين باقي المشرقيين الأقدمين. و يمثل هذا ضربا من الإشارات التأثيلية في القرآن الكريم، و ممّا تمحّضِها للعربية أثلَ الفراهيدي "لات" بشكل حاسم، فما ينبئ عن الكلم العربي الخالص الأثيل مثل الخليل.

و من الآراء الوجيهة التي لا يمكن الصدّ عنها فيما يتعلق بـ "لات"، ما علل به "فاضل صالح السامرائي" زيادة التاء على "لا" من رغبة في « المبالغة في النفي كما قالوا علامة، و نسابة [...] و[أنها] زيدت عليها التاء لتخصيصها عنها بأحكام، فهي أكثر ما تستعمل في نفي الزمن، قال تعالى: (و لات حين مناص)، و قيل (ندم البغاة و "لات" ساعة مندم) و قال الآخر (طلبوا صلحنا و لات أوان).» (2)

و لعل من النافلة أن يضاف على استنتاج "السامرائي" أن قوة دلالة "لات"على النفي الآتية من زيادة التاء على"لا" ليست حاصلة لتخصيصها لنفي الزمان، بل إنها، كما يبدو من أسيقة استخدامها، تنفي

1- برغشتراسر: التطوري النحوي، ص. 169 .

2- السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو، شركة العاتك للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة (مصر)، ط2، 1423هـ/2003م، ج1، ص. 237.

ما لا يمكن ترجي وقوعه، و أغلب ما يكون في معنى الندم والحسرة الفائت أمر إصلاح شأنهما، ففي القرآن يأس و ندم ممّن كفر و كذَب حين يرى العذاب غير المردود، و في السياق الثاني ندم الجائر حين يُسقط في يديه و يفقد كل شيء، و في الثالث تأييسٌ من صُلْحٍ ذهبت أسبابُه و طفح كيل اعتداء من يطلبونه بعد اشتعال نار الاقتصاص.

و ليس لـ"لات" سوى هذا المأخذ تُحمل عليه لتعود إليها الحياة في الاستعمال الآني للعربية لكل هذه المعاني القديمة التي تحملها و تكتنز شُحَنَها، خاصة أنها من محض اللسان العربي في الأحقاب الغابرة و بالطبع في أيامنا الحاضرة.

ـ لـــــن:

قال الخليل: « و أما "لن" فهي: لا أن وُصلت لكثرتها في الكلام، أ لا ترى أنها تشبه في المعنى"لا" و لكنها أوكد. تقول: لن يكرمك زيد، معناه: كأنه يطمع في إكرامه، فنفيت عنه، و وكدت النفي بـ"لن" فكانت أوكد من "لا".» (1) و لم يزد أحد على ما انتهى إليه "الخليل" في أصل بناء "لن"، فابن هشام قال: « أصل "لن" لا أن، فحذفت الهمزة تخفيفا و الألف للساكنين. » (2)

و قال صاحب التطور النحوي (3) مثل ذلك. و يظل وصف و تحليل صاحب العين يزينه جمال العتق و القدم، فقد انتبه من ذوقه لأدوات العربية إلى علة تركيب العرب "لا" النافية مع "أن"، و هو زيادة توكيد النفي و كأن الأقدمين لم يكن يرضي حسهم اللغوي التواصلي أن تستحوذ

1- الفراهيدي: كتاب العين،ج8، ص 350.

2- ابن هشام، مغني اللبيب، ج1/ص 313.

3 - يراجع: برغشتراسر، التطور النحوي، ص. 45 و ص. 169.

أداة واحدة على إفادة النفي بمستوياته الكثيرة المتفاوتة البلاغة، فكما أضافوا التاء في "لات" بحثوا عمّا يقوّي الدلالة على النفي في ما عدا التاء من الحروف ، فاستثمروا "أن" و هو حرف شديد الإيحاء إلى التوكيد، و ما ذلك إلاّ من النون، أحد حروف الذلاقة و أكثرها تقوية للمعاني، و لعلّ الهمزة قبلها عماد فقط ليُتَمكن من النطق بها ساكنة.

و بهذا تنضمّ "لن" إلى "لات" و تلحقان معا بالأدوات التي اشتقتها العربية من "لا" و التي لا توجد في قريباتها في الخصائص، و نظيراتها في القدم ـ كما أشار إليه من قبل المستشرق "برغشتراسر" ـ (1).

لـيـــــس:

قال الخليل: « ليس كلمة جحود [...] معناه "لا أيس" فطرحت الهمزة و ألزقت اللام بالياء، و دليله قول العرب: ائتني به من حيث أيس و ليس، و معناه: من حيث هو و لا هو. و الليس: مصدر الأليس، و هو الشجاع الذي لا يروعه الحرب. » (2) و هذا من تأثيلات الفراهيدي التي لم يستطع غيره الإتيان بأحسن منها أو مثلها من بعده. و عبثا حاول البصريون تقدير أصل "ليس" بغير ما ذهب إليه إمام العربية الأول، فقد قالوا- على لسان ابن هشام الأنصاري- : « ليس: و هي فعل لا يتصرف، وزنه فَعِل بالكسر، ثم التزم تخفيفه » (3) أي تخفيف حركة الياء من الكسر إلى السكون، و لم يزد "ابن هشام" و لا غيره من البصريين على هذا، فافتقر التأصيل إلى التعليل الصوتي و الشكلي، و انعدم فيه الجانب الدلالي، و خلا الطرح من أي شبيه أو نظير، مما لا يلزم في الحقيقة أحدا بحمل

---

1 - يراجع : المرجع السابق، ص 169.

2 ـ الفراهيدي: كتاب العين ج7، ص.300

3- ابن هشام: مغني اللبيب، ج1، ص. 323.

ليس على أنها فعل جامد أجوف و مكسور الياء، و كان أجدر أن يتجه تخفيفه نحو إبدال الياء ألفا. و من بين الباحثين الذين تناولوا معالجة لفظ " ليس" بتميز المستشرق "برغشتراسر"، و لم يفعل كل من محمد حسين آل ياسين، و فاضل السامرائي سوى أن كررا مقالته و أعادا نسخ جهده و ما كانا في ذلك بمجحفَين بحقه، فقد نسب كل منهما الفضل لصاحبه.(1) و تميز صاحب التطور النحوي أتاه من معرفته باللغات المشرقية القُدمى "الساميات"، مما جعل منهجه المقارن يؤتي أكله في تعضيد ما ذهب إليه "الخليل" الذي لم يُعرف عنه علم بهذه اللغات. و مما جاء به رائد الاستشراق الألماني: «"ليس" فيقابلها في الآرامية: "layt" و هي مركبة من "لا" و اسم معناه: الوجود، يُحتمل أن يكون لفظه القديم: "yitay" أو قريبا من ذلك، و هو: "yes" [يش] في العبرية، و: itay في الآرامية العتيقة [...] فمعنى: layt: لا يوجد، و هذا هو عين معنى: "ليس" الأصلي، غير أن حروفهما لا تتطابق تماما.» (2) و مما يمكن استنتاجه من هذه المقاربة المقارنة أن أقرب الصيغ إلى العربية الكلمة العبرية "yes" (يش) و تبادل الشين والسين بين بني إسماعيل و بني إسحاق أمر معروف. فـ: يش = أيس = وجود.

و ربما فُتح باب للتخمين ههنا، ليُحتمل أخذ اللغة الهندوأوروبية لفظ "yes" المستعمل اليوم في الإنغليزية بمعنى: "نعم"، فالتقارب واضح بين إثبات الوجود و لفظ الإثبات.

1- يراجع: - آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، ج 1، ص ص. 228 - 229.
و - السامرائي، فاضل: معاني النحو، ص. 473.
2- برغشتراسر: التطور النحوي، ص. 169.

و يقف البحث مرة أخرى على انتهاج اللسان العربي الأقدم اشتقاق ألفاظ من "لا" النافية، و في هذه الحال كان تركيبها مع "أيس" الكلمة المختفية من الاستعمال، و التي ربما بلغ الخليل بعضُ بقاياها في الشاهد الذي دعم به تعريفه المعجماتي، و هو قول العرب: ائتني من حيث أيس و ليس الذي زاده توضيحا شرحه لمعناه بأنه من حيث هو و لا هو.

ـ منـــــــذ:

قال الخليل: « مُندُ: النون و الذال فيها أصليتان، و قد تُحذف النون في لغة. و قيل إن بناء "منذ" مأخوذ من قولك: ِ"من إذ"، و كذلك معناها من الزمان إذا قلت: منذ كان، كان معناه: ِمن إذ كان ذلك، فلما كثر في الكلام طُرحت همزتها، و جُعلتا كلمة واحدة و رُفعت على توهم الغاية.» (1)

و في هذا التعريف تفطن إلى الدلالة الزمنية للفظ المصحوبة بمعنى الابتداء. و الذي يشهد لعبقرية الخليل و حسه اللغوي أن الشكل الآني لا يصرفه عن التأصيل المقارب للواقع اللساني.

فورود الميم و الذال مضمومتين قد ينأى بغيرالخليل عن التفكير في "من" و "إذ"، و قد يكون هذا سبب إرجاع "برغشتراسر" الكلمة إلى: "من ذو"(2) مع أن "ذو" (صاحب) مستبعدة في دلالة اللفظ على الزمان.

أما صاحب كتاب العين فقد بدا و كأنه متزود بمقاربة تحليلية بنيوية تفضي إلى المعادلة: من(ابتداء) + إذ (زمن ماض) ← منذ (مبتدأ الزمن الماضي).

1- الفراهيدي: كتاب العين، ج8، ص 192.

2- يراجع: برغشتراسر: التطور النحوي ، ص. 62.

و التعليل اللغوي حاضر في تفسير سبب اختفاء همزة "إذ"، و إن بدا تعليل الرفع غامضا، فمن الممكن إرجاعه إلى دأب العرب على ضم بعض ألفاظ الزمان عند إفرادها كـ: قبلُ و بعدُ، فربما ألحقوا "منذ" بها بعد أن خلصت للدلالة الزمنية. أما الميم فلا تفسير لضمها أنسب من الإتباع المعروف في لسان العرب و هو بعد تخفيفي جمالي في آن واحد.

- أم :

قال الخليل: « و تفسير الأم كل معانيها: أُمَّه؛ لأن تأسيسه من حرفين صحيحين، و الهاء فيه أصلية و لكن العرب حذفت تلك الهاء إذا أمنوا اللبس. و يقول بعضهم في تصغير "أم" أميمة. و الصواب أميهة تُرد إلى أصل تأسيسها.» (1) و لولا نظرة الخليل التطورية و الواقعية للغة لذهب إلى الإقرار بثنائية لفظ "أم" كما فعل كثيرون. خاصة أن كتاب العين كان قائما في ترتيب أبنيته على الإنتقال من الثنائي إلى الثلاثي إشارة إلى مرحلة لغوية سابقة للأصول الثلاثية كانت فيها من ذوات الأصلين ـ كما سبق ـ و هذه المعالجة شاهدة على ابتعاد الخليل عن المعيارية المعمّمة بلا مبرر، و التزامه بالمعطيات الحقيقية للتطور اللغوي، و هو ما جعله يتفطن إلى أن مسار الكلمة هذه المرة كان من الثلاثي إلى الثنائي خضوعا للاستعمال و طلبا للتخفيف لأن لفظ "أم" مما يجري على اللسان باستمرار.

و تأتي دراسة مقارنة أخرى من المستشرق "برغشتراسر" لتدعم تأثيل الخليل، و تؤكد:« لم تكن "الأم" من الأسماء الثنائية، فجمعها بالهاء قديم

1- الفراهيدي: كتاب العين ، ج8، ص ص. 433-434.

أيضا، يشاكله في الآرامية ' ěmmhàtà ' [...] و منه في العبرية: "ămàhōt". » (1) و هكذا تفضي الدراسة المقارنة لأقدم لغات الشرق المجاورة للعربية العتيقة، و المنبثقة و إياها من لسان واحد، إلى أنّ "الهاء" أصلية في كلمة "أم"، ممّا يجعل "أمّه" أثلة لـ "أمّ"، و هو ما يجب أن يزيل توهم أنّ "أمّ" من الثنائي المضعف و هو ما حمل الخليل على تصحيح صيغة التصغير المستعملة "أميمة" و ردّها إلى الأصل الذي هو "أميهة" مضاهيا ـ من حيث قصد أو لم يقصد ـ أخوات اللغة العربية من اللغات القديمة.

ـ بـــأبـــأ:

قال الخليل: « البأبأة: قول للإنسان لصاحبه: بأبي أنت، و معناه: أفديك بأبي، و يشق من ذلك فيقال: بأبأته. » (2) و هذه المادة شاهد على وضع الخليل الحجر الأساس لإحدى الطرق التي يمكن أن تولّد بها كلمات جديدة تحتاج إليها اللغة في مسيرتها الطويلة، ذلك هو النحت الذي يُعدّ ضربا من الاشتقاق في اللسان العربي يقوم على تأسيس كلمة من كلمتين أو أكثر بأخذ صوت أو أكثر من كل واحدة. و قد تناول كثير من علماء اللغة هذه الظاهرة بالبحث وا لتوسيع من أبرزهم "أحمد بن فارس" الذي بنى عليها نظريته في تأليف اللفظ الرباعي، حيث قال: « العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، و هو جنس من الاختصار [...] و هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد "ضبطر"، و في "الصلدم" إنه من الصلد والصدم . » (3)

1- برغشتراسر ، التطور النحوي، ص 112.
2- الفراهيدي: كتاب العين ج8/ص414.

3- أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص ص. 263- 264.

و لم يتوقف الخليل بالبحث عند تعليل تأسيس بعض الكلمات، و إنما ذهب به إلى تبرير تلاقي أصوات غير متآلفة عند العرب في بعض كلمهم، و أن مرد ذلك إلى أنه من المركب، و كأنه يفتح بابا لوضع مفردات تدعو إليها الحاجة، و قد تدفع الضرورة إلى تأليف مالا يأتلف في اللسان العربي المبين، لكنه لونٌ من تحديد مجال التساهل اللغوي، على قاعدة: تؤخذ الضرورات بقدرها. و في هذا جمع بين المثالية و الواقعية في أنسجة التواصل الاجتماعي على أكمل وجه. و قد وضح الخليل نفسه هذا كله في شرح مادة "حعل" التي هي حصيلة النحت.

ـ حـــعـــل:

قال الخليل: « إن العين لا تألف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل: "حي على"[...] فهذه كلمة جمعت من "حي" و"على" و تقول منه: حيعل ـ يحيعل ـ حيعله و هذا يشبه قولهم: تعبشم الرجل و تعبقس، و رجل عبشمي: إذا كان من عبد شمس. » (1)

1- الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص. 60.

2- اللغــة الأمّ:

يفتح هذا العنصر مجالا آخر تطّلع إليه التأثيلية، و هو مناقشة مسائل تتعلّق بالنّشأة الأولى للسان. و قد اعتاد النّاس معالجة هذا الموضوع ضمن مباحث "فقه اللغة"، مما يطرح إشكالية تنازع العلوم اللغوية مصطلحات و مباحث متعدّدة. و لعلّ مما يَأنَسُه هذا البحث في الأفق إمكانية تصنيف جديد لمضامين التخصّصات العلمية للسان العربي. و لا تُحسب التأثيلية العربية بعدئذ إلاّ آخذة بحظ وافر من جوانب دراسات لغوية كثيرة تساهم من خلالها في بلورة مفهوم المعجمية (Lexicologie) و المعجماتية (Lexicographie) العربيتين معا.

لذا، سيُكتفى في هذا الجزء من البحث بطرح موجز يسير عسى أن يعين على استشراف أفاق علمية يمكن أن تكون موضوع بحوث مستقبلية أكثر دقّة و تخصّصا.

كما سيتجاوز البحث القضايا الفقه لغوية، خاصّة تلك التي لا تفيد العمل التطبيقي أو التأسيسي في شيء كقضية توقيفية اللغة أو اصطلاحيتها، فقد أخذت أكثر من حقّها في كتب فقه اللغة العربية و الأجنبية.[1]

و أما ما يتعلق بكيفية تكوين الكلمات، و صورة ظهورها الأولى، التي ينبغي أن ينشغل بها التأثيليون، فقد كفى البحث مؤونة الحديث عن أحد أهمّ جوانبها ما تناوله في الفصل الأوّل، و هو موضوع: تكوين المفردات بمحاكاة أصوات من الطبيعة التي سبق بيان أهميتها في تأثيل بعض الكلمات.[2] و الخلاصة فيما يتعلق بها، أنّها إحدى وسائل تكوين الإنسان للسانه، و هو عنصر حيويّ يدلّ على مدى إفادة البشر ممّا بسطه الله لهم في الأرض و السماء و ما بينهما. و لا معنى لما زعمه الرافضون

---

1 - يراجع على سبيل المثال:

- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة.
- ابن جني: الخصائص.
- مونين، جورج (Georges Mounin): تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة د. بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1392هـ/1972م، ص ص. 16-20.

2 - يراجع: بديع بعقوب، إميل: فقه اللغة العربية و خصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط02، 1986م، ص ص. 14-16.

لهذه الظاهرة الإنسانية و اللسانية معا، و هو أن الإنسان أعلى من أن ينزل به في تحديد نشأة لغته إلى حظائر الحيوانات[1] و معظمهم من الغربيين، و من عجب استنكاف أقوام من أن يكون الإنسان الأول انطلق في جزء من صنعه الكلام من تقليد صوت الحيوان، و إقرارهم بأنه كلّه كان حيوانا؟!

و من القضايا التي تهمّ التأثيلية، و ترتبط بنشأة اللغات ما يتعلق بالبحث عن اللغات الأصلية التي انحدر منها لسان من الألسنة أو بعض مفرداته، و فيه تنفتح الدراسة على معالجة اللغة الأمّ.

و هنا أيضا يجب الحذر من الانزلاق إلى التحليل الفقه لغوي، و التركيز على ما له علاقة بانحدار المفردات من أصول قد تكون أقدم من الألسنة المعاصرة. أمّا تصنيف اللّغات القديمة، و مظاهرها، و تعلّق بعضها ببعض ـ مثلا ـ فلا يعني التأثيلية كثيرا. مما قد يعلّل استبدال التأثيليين مصطلح الرّصيد الأوّلي[2] (Fonds Primitif) للغة بمصطلح اللغة الأمّ.

و يعنى بـ "الرصيد الأوّلي" (Fonds Primitif) بالنسبة إلى اغلب اللغات الأوربية، الجنوبية خاصة، ما انحدر مباشرة من اللاتينية قبل أن يتمايز ليشكل اللغات الأوربية المعاصرة، فقد "تُنُوقلت الكلمات اللاتينية قرنا بعد قرن [...] و تغير النطق بها كثيرا؛ بعض الأصوات هُجِر، و بعضها اكتسب أداء آخر مما أدّى إلى تغيير مظاهر الكلمات"[3]، مثل:

"abanté" (لاتيني) ـــــــــ « Avant » (أمام. فرنسي)

"accaptare" (لاتيني) ـــــــــ "acheter" (شرى: فرنسي)

---

1 ـ يراجع عرض هذا الرأي ـ مثلا ـ عند: الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993م، ص ص. 92-93.

2- Voir : - Guiraud, Pierre : L'ancien Français "Collection : Que sais-je ?, Presses Universitaires de France (PUF), Paris, N : 1056, Année 1965, pp. 15-25.

3 : Ibid, p. 49.

و بحسب هذا التغيير، و طبيعته، و مصدره، مايز اللغويون الفرنسيون بين نوعين من الكلمات:

ـ كلمات "عالمة" (Mots Savants)[1]: و هي الكلمات المأخوذة من اللاتينية، و الإغريقية دون أن يحدث لها تغيير كبير.

ـ كلمات "شعبية" (Mots Populaires): التي أخذت من اللاتينية في تاريخ قديم، و تغيرت بحسب قوانين التطور الصوتي[2]، مثل: الأصل اللاتيني "Fragilis" الذي تحول إلى: كلمة "عالمة" (Mot Savant): "Fragile" (هش و قَصِم: سريع الانكسار)، و أخرى "شعبية" (Mot populaire): "Frêle" (هزيل)، و الفرق الشكلي واضح.

و يحدد "بيار غيرو"(P. Guiraud)" الرصيد الأوّلي الفرنسي بأنه متكون من "السلتية"[3] (Celtique)، و بقايا "جرمانية"، و رصيد "روماني" (Roman) الذي يمثّل النسبة الكبرى[4].

لهذه المعطيات لا يمكن الحديث ضمن بحوث تأثيلية عربية عن رصيد أوّلي، لأنّ اللّسان العربيّ أقدم لسان حيّ، و جذوره الأولى متوغّلة في غابر التاريخ لا يعرف أحد عنها شيئا، فإذا كانت الفرنسية القديمة تكونت ما بين سنة 843 ميلادية، و 1350 ميلادية[5]، فإن هذه الفترة تقابل ما بين 219 و 726 في التاريخ الهجري، و هي فترة لا تختلف عربيتها عن التي نتحدث بها اليوم، و لا عن أقدم النصوص الجاهلية التي وصلت إلينا.

---

1 ـ كلا النوعين ممعجم في اللصان الفرنسي، و وصف "عالمة" و "شعبية" لا يتجّه نحو الخطأ و الصواب، أو الفصاحة و العامية ـ مثلا ـ.

2- Voir : - Alise Lehmann-Françoise-Barthet : INTRODUCTION A LA LEXICOLOGIE SEMANTIQUE ET MORPHOLOGIQUE, p. 102.

3 ـ السلتية من اللغات الهندو أوربية كان يتكلم بها سكان جنوب غرب ألمانيا قبل أن يهجروا إلى بريطانيا خلال القرن الميلادي الأول.

4- Voir : - Guiraud, Pierre : L’ancien Français "Collection : Que sais-je ?, , N : 1056pp. 15.

5- Voir : Ibid, p. 5.

و لم يكن من المتوقع أن يحمل معجم لغوي موسوعي مؤسّس معالجة لقضية انحدار اللغات بعضها من بعض، و علاقات القرابة بينها، لأن هذا أقرب إلى المباحث التأثيلية النظرية منه إلى التعريفات المعجماتية و لو كانت مقاربتها تاريخية. غير أن متصفح "كتاب العين" واجد من كل علم قبسا، و من كل فنون دراسة اللسان فرعا. و مهما يظن الباحث الخليلّ مُقلا في أحد الحقول اللغوية، يُلفِ مادته ذات أبعاد جليلة، و آفاق تتسع كلما قاربها، وإن بدت من حيث طولها غير ذات بال.

و هذا ما حصل حقا و صدقا لدى الفراهيدي و هو يعرّف في معجمه مادة "كنع" حيث قال: « و كنعان بن سالم بن نوح إليه يُنسب الكنعانيون و كانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية». (1) فلا أثر للعرقية و الاعتداد المبالغ فيه بلغة الآباء، و إنما أخذ الأمور من أبسط أوجه طبيعتها، فقد حدّد الخليل نهاية نسب الكنعانيين، و وصف تقارب لغتهم مع العربية، و لو أنه استفاض في بيان ذلك لقدّم ما يمكن أن يكون منطلق البحوث التأثيلية، و المقارنة للغات المتقاربة، و صلتها باللغة الأم .

و لا سبيل إلى محاولة تصور صلة لغة الضاد بغيرها من اللغات المجاورة القديمة إلاّ داخل الاستعمال اللغوي، فالعربية ليست من المنتسبين إليها بأب أو أم و إنما العربية اللسان، فلا مكان للاعتبارات العرقية، أو الدينية، أو السياسية، أو غيرها في تحديد قرابتها مع غيرها، و مرتبتها من بينها من حيث كونها أصلا(أما)، أم منحدرة من أخرى. و فيما يأتي محاولة لتجسيد مقاربة الخليل بين الكنعانية أقدم لغات المشرق ، و العربية.

1- الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص. 205.

1-2 ـ محافظة العربية على خصائص اللغة الأم:

و تشمل هذه الظاهرة معظم الجوانب اللغوية: الصوتية، و الصرفية، و النحوية، و اللغوية، و الدلالية. فمن الناحية الصوتية كانت ملاحظة كثير من الباحثين « أنّ اللغة العربية رغما لطول الزمان الماضي عليها، قبل بروزها في ميدان التاريخ، قد حفظت الحروف الأصلية حفظا أتمّ من سائر اللغات السامية الأخرى. » (1)

و من أهم هذه الحروف، الأصوات الحلقية؛ فاللسان العربي يحتوي عليها جميعا: الهمزة، و الهاء، و العين، و الحاء، و الغين، و الخاء... بينما اختفت من كثير من قريباتها، و يظهر ذلك من مقارنة نطق بعض الكلمات في هذه اللغات كلها، فكلمة "غرب" تنطق بالعين في العبرية، و الآرامية، و الحبشية، و بالهمزة في البابلية الآشورية (2) مما يدل على تخلي هذه اللغات عن نطق الغين. و نُطق العدد "خمسة" بالحاء في العبرية و الآرامية ممّا يبين فقدان الخاء من هاتين اللغتين(3)، « و هكذا استنتج الباحثون عن اللغة السامية الأم [...] أن العربية في هذا ناطقة بما كان في نطق السامية الأم، أي بالهمزة و العين و الغين و الحاء و الهاء، و أن اختفاء هذا في بعض اللغات السامية طارئ عليها » (4) كما تحافظ العربية على كل أصوات التفخيم و الإطباق و الأصوات السنانية،(5) و يتفاوت وجودها في أخواتها من ألسن المشرقيين القدامى.

و من المظاهر اللغوية التي اشتركت فيها العربية مع "الساميات" فتميزت جميعها بها عن المجموعات اللسانية الأخرى انقسام جنس الأسماء على المذكر و المؤنث، إذ «تمعن اللغات السامية بعامة في فرق المذكر عن المؤنث إمعانا، فإذا قابلنا بينها و بين

---

1 – برغشتراسر: التطور النحوي، ص 23.
2- ظاظا، حسن: الساميون و لغاتهم، ص 18.
3- يراجع: المرجع نفسه، ص 18.
4- المرجع نفسه ، ص. 18
5- يراجع: ـ المرجع نفسه، ص ص. 19- 20 و ص. 25.
و ـ محمد محفل: العربية لغة و كتابة، مجلة التراث العربي، العدد 75، ذو الحجة 1419/ أفريل 1999م، ص ص. 24- 27.

الإنجليزية على بعض الأفعال، نحو"Went" على حاله مع الضمائر جميعها، و تقول بالعربية مثلا: أنا ذهبتُ و أنت ذهبتَ، و هي ذهبتْ، و هو ذهب، و هي ذهبت، و هما ذهبتا، و هم ذهبوا، و هن ذهبن، و نحن ذهبنا. » (1) لكنّ« العربية أكثر هذه اللغات عناية بالفرق بين صيغ المذكر و المؤنث، و أوفاها استيعابا، فقد زادت على العبرية بالميزتين الغائبات و الغائبين [...] و تزيد [...] على بقية اللغات [...] بصيغة المثنى مذكرا و مؤنثا » (2) كما تشترك العربية مع قريباتها في خصائص صرفية كالضمائر، و أخرى اشتقاقية كرجوع المفردات إلى أصول ثلاثية، و أخرى لغوية كالاشتراك في كثير من الأسماء القديمة كالأم، و الأب، و الابن... و لها في هذا كله، إضافات لم تُسجل في ما بقي من اللغات المشرقية الأخرى.(3)

1- عمايرة، إسماعيل أحمد: دراسات لغوية مقارنة، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان (الأردن)، ط1، 2003، ص. 79.

2- المرجع نفسه، ص 81.

3 – يراجع: محفل، محمّد: العربية لغة و كتابة، مجلة التراث العربي،العدد75 ، ص ص 24-27.

2- 2 ـ انسجام تسمية حروف الأبجدية الفينيقية مع معاني العربية:

تأتي أهمية الأبجدية الفينيقية من اعتبارها المصدر الأول لكل هجائيات العالم، ذلك أنها تأتي من شجرة لغة الإنسان ضمن اللغات التي « تشكل جذع هذه الشجرة قبل أن تشكل فيها اللغات[...] الإفريقية و الآرامية الفروع الأولى. » (1)

و بهذا يعود « الفضل في إبداع الأبجدية للكنعانيين الذين خطوا الخطوة الحاسمة [...] فاتخذوا الرموز الصورية و أعطوها قِيما صوتية تلائم الأصوات الهجائية في لسانهم» .(2) و الكنعانيون هم أنفسهم الفينيقيون الذين أفادت منهم كل اللغات و انشقت عنها الأبجديات العالمية الحالية.

و مما يُظهر رجوع تسمية حروف الأبجدية الأولى إلى لغة تضارع العربية، أن الحرف الأول منها رمزوا له برأس الثور و لفظُوه "أليف"(3) و الانسجام بين هذا و اللسان العربي واضح، فكأن هؤلاء المؤسسين الأولين رأوا الثور الكائن الذي يمثل كل الحيوانات الوديعة، الرفيقة للإنسان، و هذا المعنى هو مدلول "أليف" إلى يومنا هذا. بينما لفظ هذا الحرف في الإغريقية ـ مثلا- "ألــفا" (Alpha) لا صلة له بدلالة داخل هذه اللغة، و ما تفرع عليه في اللغات الأوربية المعاصرة كحرف"A" في الفرنسية أكثر بعدا و انقطاعا.

كما جعل الفينيقيون من «الرمز الذي يشير إلى البيت و سموه "بت" »(4) الحرف الثاني لأبجديتهم، و الأمر متسق تماما بين صورة البيت، و نطق الحرف، و معنى

---

1 ـ خالد قطيش ، الخط العربي وآفاقه وتطوره ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986 ، ص 24.

2- محفل، محمد: العربية لغة و كتابة، مجلة التراث العربي ، ص 40.

3- يراجع، خالد قطيش ، الخط العربي وآفاقه وتطوره، ص 166.

4- محمد محفل ، العربية لغة وكتابة ، مجلة التراث العربي، العدد 75، ص 40.

كلمة 'بيت' في لغة التخاطب المعاصرة. و مما هو أكثر جلاء و تميزا حرف العين الذي رمزوا له بشكل العين 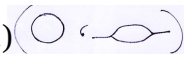(1).

كل هذا، و كثير من مثله يشير إلى توافق العربية مع أقدم خطاب عرفته بلاد المشرق، يمتد إلى ما قبل مرحلة تفكير أهل هذه المنطقة في وضع الرسوم الأولى التي كانت وسيلة توثيق للأداء الشفوي، و تحولت إلى قيم صوتية تلائم الأصوات الهجائية في ألسنة المتكلمين.

و بقي أن يشار إلى أن وضع الكتابة الأبجدية كان ابتداء من القرن الثالث عشر قبل الميلاد (2)، أي قبل حوالي 3300 سنة، و معاني أسماء الحروف لا تكاد تفقد شيئا من جانبيها الشكلي و الدلالي. فإلى أي حين من الدهر يمكن أن تمتد حياة المفردات التي أُخذت منها ألفاظ أصوات الهجاء ؟

1- يراجع: قطيش، خالد: الخط العربي و آفاق تطوره ، ص 166.

2- يراجع: ظاظا، حسن: الساميون و لغاتهم ، ص. 47.

2- 3 ـ مشابهة أقدم النقوش الآرامية للعربية:

لقد كانت منطقة "جبيل"مهد الكتابة الأبجدية « و منها انتقلت[...]إلى أوربا و غرب آسيا و جزء كبير من إفريقية، و أصبحت أيسر الطرق لتسجيل أفكار البشر تسجيلا بصريا بالحبر على الورق، و من أجل ذلك سميت هذه المدينة عند اليونان "بيبلوس" أي مدينة الكتابة، أو مدينة الصحف المسطورة» [1].

لذا، عرفت الكتابة تطورا كبيرا على الضفة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، و كانت الآرامية القديمة أجلى مظاهر هذا التطور، فهي التي اشتهرت بـ « "آرامية النقوش" و أقدم نص منها [...] يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، و لغته كانت ما تزال متأثرة بوضوح باللغة الكنعانية» (2). و لقد عُثر عليه بـ 'زنجرلى(شمأل)' ـ مملكة آرامية تقع حاليا في البقاع المتاخمة للحدود السورية الشمالية الدولية ـ (3).

و مما جاء في هذا النص:

- بالآراميـــــــة: **انــه بـر ركب بـر فنمو**

- ترجمته بالعربية: **أنــا ابن ركب ابن فنمو**

و فيه أيضا:

- بالآراميـــــــة: **أنــه بنيت بيتـا زنــه**

- ترجمته بالعربية: **أنــا بنيت البيت هـذا**

ألا يدهش القارئ هذا التشابه العجيب بين لغة نقوش قديمة، و اللغة العربية الفصيحة اليوم، حتى إن من يقرأها ليجد من التوافق ما لا يجده بين أية لهجة في أحد الأقطار العربية و اللغة المكتوبة فيه. إن هذا لممّا يختصر الزمن، و يشير إلى أن العربية

1- المرجع السابق ، ص ص. 53 – 54.

2 ـ المرجع نفسه، ص ص. 93 – 94.

3- يراجع: محمد محفل، العربية لغة وكتابة، مجلة التراث العربي، العدد 75، ص 31.

الخالدة، و الآرامية، و الكنعانية(الفينيقية) لتصدر من مشكاة واحدة، هي تلك اللغة الأم المجهولة، أو المتجاهَلة.

و من فوائد مثل هذه النقوش أنها توسع آفاق العالم العربي القديم من وسط الجزيرة العربية - كما يظن كثيرون- إلى « مجموعة تمثل الطرف العربي من الهلال الخصيب، و تشغل أقاليم سوريا ولبنان وفلسطين والأردن. و هي بدورها تتشعب شعبتين: الأولى ملاصقة لساحل البحر الأبيض المتوسط وهي الشعبة الكنعانية، و الثانية في الداخل وهي الشعبة الآرامية »[2]

و لقد حافظت هذه الأقاليم على لسانها الأقدم الذي صمد أمام تأثير الاحتلال الروماني و الفارسي، و سرعان ما رُبط حاضره بماضيه بعد الفتوحات الإسلامية، و وثق صلته بلسان القرآن العربي المبين الذي ليس إلا مظهراً لما توارثته أجياله.

و لعل هذا ما يفسر سرعة تعريب شعوب الشام و العراق و مصر و كل شمال إفريقيا بعد أن شرح الله قلوبهم للإيمان. و كأن اللسان عاد إلى أصله، و لم يخرج من لغته إلى لغة الفاتحين.

1- ظاظا، حسن: الساميون و لغاتهم ، ص. 47.

2- 4 ـ توافق لغة أقوام أقدم الأنبياء مع اللسان العربي:

قد يحتاج ما سبق التنبيه إليه من انسجام بين العربية وغيرها من اللغات القريبة القديمة، و رجوع تسمية حروف الأبجدية الفينيقية إليها، و مشابهتها للغة أقدم النقوش الآرامية، يحتاج كل ذلك إلى ما يستأنس به من خطاب شعوب سكان الجزيرة، و الشام، و العراق و مصر الغابرين، فاللغة اجتماعية قبل أي شيء آخر.

إن المتوغل في القدم أبعد من بداية الكتابة الكنعانية الفينيقية يُلفي شعوب الهلال الخصيب في العراق و الشام نازحين من موطنهم الأصلي شبه الجزيرة العربية، فقد أدّى « ميل السطح [...] [فيها] و تعرضه للرياح الموسمية،[...] [و] تغيره بانخساف قي طبقات الأرض فندر الماء[...] و جفّ النهران الكبيران » (1) إلى هجرات متتالية نحو الشمال « نقلت الكنعانيين و الفينيقيين و العموريين العمالقة منذ أزيد من ألف عام قبل عصر الخليل » (2) إبراهيم - عليه السلام ـ. و لقد أوضحت الحفريات أن عصر شيخ الأنبياء- عليه السلام ـ كان مع بداية القرن التاسع عشر قبل الميلاد (3)، أي حوالي 4000 سنة قبل يوم الناس هذا، فهو أقدم من عهد الأبجدية الأولى بحوالي سبعة قرون، لم يسجل لنا التاريخ اختلافا جوهريا بين لغة سكان الجزيرة العربية، و أهل مصر و الشام و العراق.

و لقد كان نبي الله ابراهيم - عليه السلام - دائم الحركة بين هذه الأقاليم كلها داعيا، و مُحاججا، و هاديا إلى الله تعالى من دون أن يستعجم لسانَه أحدٌ، و لقد أخبر النبي - صلى الله عليه و سلم - أن الخليل -عليه السلام – جاء زائرا ولده اسماعيل ،

1- حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ، ص 15 – 16.

2- عبد العزيز بنعبد الله ، اللغة الأم ، مجلة اللسان العربي ، العدد 11 ، 1976، ص 8.

3- يراجع، الرجع نفسه ، ص 8.

فلم يجده و جرى حوار بينه و بين كنّته التي كانت من قبيلة "جرهم"، ثم تحاور في زيارة أخرى مع زوج ابنه الثانية و هي (1) أيضا من "جرهم"، فلم يرد في الحديث النبوي على الرغم من شدة تفصيله ما يشير إلى خلل في التواصل، بل إن كلا منهما كلفها خليل الله ـ عليه السلام ـ بتبليغ رسالة شفوية إلى ولده اسماعيل ـ عليه السلام ـ ففعلت كل منهما دون نقص في وصول المقصود، بل إن أمانة النقل كانت كبيرة؛ إذ كانت عبارتا الوصيتين كنايتين، الأولى عن الطلاق: « غيرْ عتبة بابك »، و الثانية عن ترسيخ عقد النكاح: « مُريهِ يثبت عتبة بابه.» (2) فلو كان ثمة اختلاف كبيربين عربية "جرهم" و لغة إبراهيم الخليل لما سهُل تفاهمه مع زوجي ولده إسماعيل، و لما وصل قوله بحذافيره إليه، فعلم ما يصنع بعد سماعه.

و إلى أبعد من عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ يروي القرآن قصة قوم نوح ـ عليه السلام- و هو الذي عاش بعد أبي البشرية آدم ـ عليه السلام- حوالي عشرة قرون، فيذكر أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها: ود، و سواع، و يغوث، و يعوق، و نسر(3). و هي في أصلها أسماء لرجال صالحين أراد قومهم أن يخلدوا ذكراهم بتماثيل تصورهم، ثم أوحى لهم الشيطان بعبادتهم، (4) و هذا مما يزيد من رجوع الأسماء إلى غابر التاريخ: و إنها من حيث شكلها و معناها لمِمّا يُخيّل إلى المرء أنها تنتمي إلى عهد قريب؛ فـ"الود" و "النسر" كلمتان شائعتان في لغة الناس المعاصرة، و "يغوث" و "يَعوق" جاءا على وزن الفعل المضارع: "عاق: يعوق"، و "غاث: يغوث" و إن قل استخدام هذا الفعل الثلاثي و استبدل به المتكلمون مزيده الرباعي " أغاث : يُغيث".

1- يراجع، البخاري: صحيح البخاري، ج2، ص 135.

2- المرجع نفسه، ج2، ص135.

3- ذكرت الأسماء في سورة نوح، الآية 23.

4- يراجع: الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، ج28، ص. 62.

و لا يزال العرب يدأبون على تسمية أولادهم بأسماء على وزن الفعل المضارع كيزيد، و يسعد ، و يشكر، و أحمد. و أما السواع فهو - كما جاء في لسان العرب-: «السواعي مأخود من السواع و هو المذي »(1). و قد ذكر المفسرون أن "سواع" الصنم كان على صورة امرأة(2)، فالعلاقة إذن واضحة بين الشكل و معنى الاسم.

أ لا يندهش المرء من قرب الكلمات من أبسط استعمال عربي، بينما هي مما درج على ألسنة أهل أولى أحقاب تاريخ البشرية؟ فكيف لا يكون لسان كنعان مقاربا للعربية كما تفطن إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي؟

و حق لمن عرف هذا: أن يجزم بـ « أن اللغة العربية الفصحى هي بلا منازع أقدم صورة حية من اللغة السامية الأم، و أقرب هذه الصورة هي تلك التي تفرعت منها اللغات السامية »(3)، بل « يمكن القول بأن العرب البائدة الآرامية التي ترجع إلى إرم بن سام بن نوح، و منهم قبائل إبراهيم الخليل، هم العرب الأصليون الذين وضعوا لجميع الشعوب السامية لغتهم العربية الأم ، و قد نزحوا حوالي أوائل الألف الثانية قبل الميلاد إلى جنوب العراق و استقروا في مناطق بابل »(4).

و لا معنى، بعد هذا كله، لقول "جرجي زيدان": « اللغات السامية أخوات لا يُعرف لهن أم »(5). بلى إنها لمعروفة، و إنما يجحد بها الذين لا تصلهم بها واصلة الانتماء، و الحب، و كثير منهم فقد بذلك المنطق العلمي في استنتاج الأحكام كذلك الذي ذهب إليه صاحب " تاريخ آداب اللغة العربية " من أنه إذا « رأينا لفظا في

---

1 - ابن منظور \ن لسان العرب ؟

2 - يراجع الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ج28، ص 62.

3 - ظاظا، حسن ، الساميون ولغاتهم ص 16.

4 - عبد العزيز بنعبد الله، اللغة الأم ، مجلة اللسان العربي ، العدد 1974،1، ص 7.

5 - زيدان، جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، للنشر، الجزائر، 1993، ص 57.

العربية و لم نر له شبيها في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ترجح عندنا أنه دخيل فيها.»[5]

أ ليس العكس بصحيح؟ إن ورود الكلمة في اللسان العربي صحيحة فصيحة، و خلو قريباتها القُدمى منها لدليل على أنها أثيلة خاصة إذا تعددت منها المشتقات.

5- المرجع نفسه ص 61.

3 ـ الاقتراض اللغوي (Emprunt Lexique):

لعلّ الاقتراض اللغوي يكون أكثر مجالات نشأة المفردات لفتا للانتباه؛ فهو من الظواهر اللسانية التي أهمّت الباحثين منذ عهد بعيد، لرسوخه في كلّ اللغات، و تجذّره بصورة أقنعتهم بأن لا جدوى من إنكاره، أو عدم الانشغال به.

و للاقتراض اللغوي أسباب كثيرة، تكاد تكون كلها خارجية عن نظام اللسان، و لعل من أهمها:

ـ الاتصال الثقافي بين الشعوب، "فحيثما يكن اتصال ثقافي بين متكلّمي لغات مختلفة، تُستعمل كلمات مقترضة لتعيين الأشياء، و المسارات، و السلوك، [...]، و الأفكار التي لا تتوفر كلمات، أو عبارات، مخصصة لها في لغتهم"[1]، حتى اعتبر "ألبار دوزا" (A. Dauzat) "وجود علاقات اقتصادية، أو أدبية، أو اجتماعية وطيدة بين شعبين شرطا ضروريا للاقتراض اللغوي."[2]

ـ هيمنة بعض البلدان سياسيا أو حضاريا "تؤدّي إلى اقتراض من لغاتها"[3]، فمن الأمثلة على الهيمنة السياسية، انتشار لغة المحتل بين أفراد الشعوب الأصلية، و أمّا المنزلة الحضارية فأهمّ مثل له في التاريخ ما دخل إلى اللغات العالمية من مفردات عربية خلال القرون الهجرية الستة الأولى، و شيء مما بعدها.[4]

ـ و تضاف إلى الأسباب التقليدية أخرى لها صلة بتطور و سائل الاتصال في عصرنا كالصحف، و الكتب، و البث الإذاعي، و التلفزيوني.

و على نقيض ما يتبادر إلى أذهان عامة الناس من أنّ الاقتراض اللغوي نقص،

1- Robins R.H: Linguistique Générale: Une Introduction, traduit en Français par: Armand, Paris, 1973, p. 288.

2- Dauzat Albert: Précis d' histoire de langue et du vocabulaire Français, Libairie LAROUSSE, Paris, 1949, p. 132.

3- Robins R.H: Linguistique Générale: Une Introduction, p. 289.

4- Voir: Dictionnaire étymologique de la langue française, Préface D' Antoine Meillet p. 187 - 187.

و عجز في اللغات، فإنه ظاهرة صحية، تدلّ على حياة اللسان التي تتجلى في أهمّ سماتها و هي التأثير و التأثّر.

و من فوائد الاقتراض اللغوي أنه يمدّ مجالات كثيرة بمعلومات ذات نفع متعلقة بالتاريخ، و الاجتماعيات، و التقاء الحضارات، و العلاقات الدولية،... " فوجود كلمات مقترضة [مجردا] دليل على اتصالات ثقافية"[1]، و التأمّل فيها يفضي إلى تمثل صورة حقيقية عن طبيعة العلاقات بين الشعوب في فترة زمنية محددة فقد أثبتت المعجمات التأثيلية الفرنسية ـ من خلال المفردات ـ المقترضة أنّ "العربية أمدت الإسبانية بمصطلحات علمية، اعتمدتها الفرنسية من بعد [...] مثل كلمة الجبر (Algèbre)"[2]، و هو ما يشير إلى عطاء الحضارة الإسلامية العربية لسكان الضفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط، و من جزيل هذا العطاء أنه لم يأت الأوربيين من الأندلس فحسب، بل كان يدرّ عليهم فيض منه من الشرق، كما تدل عليه بعض المفردات الإيطالية المقترضة من قبل الفرنسية، و التي تدل على أن "الإيطالية استطاعت أن تؤدي [...] وظيفة الوسيط، و كذلك اللاتينية العلمية، بسبب تقدم الرياضيات و الطب في العالم العربي."[3] فيا له من فيض معرفي كان يرسله العرب المسلمون مدرارا إلى أوربا عن يمين و شمال !

و قد قام الدكتور "بوعلام بن حمودة" بدراسة لـ 2858 كلمة إسبانية ذات أصل عربي و رتبها بحسب عددها ضمن تخصصات مختلفة، فكان ترتيبه على النحو الآتي[4]:

1- Robins R.H: Linguistique Générale: Une Introduction, p. 289.

2- Dictionnaire étymologique de la langue française, Préface D' Antoine Meillet p. 188.

3- J. Dubois, Henri Mitterrand, Dauzat Albert: Dictionnaire étymologique, LAROUSSE, Paris, 2001, Introduction, p. 188.

4- Boualem Benhamouda: L'origine Arabe exacte de certaines mots Espagnols, Dar El – Oumma, Alger, 1991, pp. 188-188.

1 ـ قطاع الزراعة و الصيد.

2 ـ كلمات ذات معاني عامّة.

3 ـ قطاع النشاط الصناعي، الكيميائي، و التقليدي.

4 ـ مجال الحياة الأسرية.

5 ـ قطاع الإدارة.

6 ـ قطاع الأشغال العامة و الهندسة المعمارية.

7 ـ مجال النشاط الأدبي أو الديني.

8 ـ قطاع الحرب، و البحرية.

9 ـ علوم الحيوان.

10 ـ التجارة و النقد.

11 ـ مجال الطبخ.

12 ـ المجال الطبي.

13 ـ علم الفلك.

14 ـ الرياضيات.

و هو ما يبرز بوضوح علاقة العرب المسلمين الأوائل بغيرهم من شعوب العالم، تشهد بها المفردات المقترضة، و اللغة في تاريخ الشعوب اقوى و أصدق وثيقة يستعين بها من أراد الإنصاف و الموضوعية.

هذا، و إن للاقتراض اللغوي فوائد أخرى أجل داخل نظام اللسان، إذ "ليست اللغات المقترضة مقلّدة، و إنّما هي تدمج [المفردات] و تعيد الإنشاء."[1] فالاقتراض من وسائل إثراء المعجم اللغوي، فهو يمكّن من "تكوين وحدات لغوية جديدة دون اللجوء إلى عناصر معجمية موجودة في اللسان من قبل"[2]، و هذا المسار متنفس

1- Dauzat Albert: Précis d' histoire de langue et du vocabulaire Français, p. 134.

2- Aïno Niklas-Salminen: LA LEXICOLOGIE, p. 83.

كبير للغات الفقيرة إلى عناصر دفع حركية اشتقاقية كفيلة بتلبية حاجات المتكلمين.

و من أهمّ منافع الاقتراض أنه عامل حيوي، و وسيلة تجديد للغة، و ذلك ببعثه لمفردات تنتمي إلى لغات قديمة ميّتة، خاصة في الخطاب العلمي الذي يتطلّب التدقيق و التخصيص، فكثيرا ما أعادت اللغات أوربية تركيب كلمات من صواتم (phonèmes) لاتينية و إغريقية لهذا الغرض[1]، كاقتراضها الكلمات "Opticien" و "Ophtalmologue" و "Oculiste" لتعيين الأشخاص المشتغلين بتطبيب العيون، و بيع ما يحقق ذلك، وفقا للمسار الآتي:

O**c**uliste ——— O**ph**talmologue ———— O**p**ticien

P: شكل إغريقي 1 ——— **H** + **P**: شكل إغريقي 2 ——— **K**: شكل لاتيني.

و كلّها من الأصل الإغريقي "Oftalm".[2]

و الملاحظ في هذا الاقتراض أنه يُسهم في سدّ حاجة العلوم إلى مصطلحات جديدة، تكتسب دقّة الدّلالة من خلال حصر معناها فيما وضعت له لعدم تناولها في اللسان المستعمل. و لئن كان هذا شأن اللغات المنحدرة من أخرى ميّتة كالفرنسية، فإنّ اللسان العربي و إن لم يتميز بهذه الظاهرة، فإنّه يمكن أن يحقّق هذا الطموح الاصطلاحي من خلال إحياء مفردات خرجت من تداول المتكلّمين، و تمحيضها لمفاهيم علمية، و كذلك بعث أبنية غير مستعملة و هي تلك التي أشار "الخليل بن أحمد" إلى أنها من المُهْمَل [3] الذي يمكن استثماره.

1- Voir: Robins R.H: Linguistique Générale: Une Introduction, p. 290.

2- LAROUSSE (Nouveau Petit), Dictionnaire de la langue française, p. 715.

3 ـ يراجع: الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، في بداية كل بناء لغوي.

3 - 1 - التحليل التأثيلي للمفردات المقترضة:

قد تجلّى من خلال عرض مهام التأثيلية أن التأريخ لظهور المفردات أحد أبرز اهتماماتها المبدّأة. و من بين المعطيات التي تنتهي بالباحث إلى معرفة توقيت اقتراض الكلمات، و لو تقريبا - إن لم يتوفر التاريخ تحديدا - مسار تطوره بعد دخولها إلى اللغة المستقبِلة، إذ أنّ الدّخيلة [1] " تتعرض للتغير الصوتي نفسه الذي تكون تتعرض له اللغة التي تدخل فيها في فترة محددة." [2] و إذا كان هذا من قبيل معرفة الخاص في ضوء العام، فإنّه لا مانع من أن يسير البحث في الاتجاه المعاكس، فيشير تطور أثلة (étymon) الكلمة المقترضة إلى المسار التطوري للغة كلها في الحقبة نفسها، فيؤدي بذلك الخاص إلى استجلاء ملامح المظهر العام، و هذا مما يضاف إلى منافع دراسة ظاهرة الاقتراض اللغوي.

و الملاحظ في تطور الكلمات المقترضة أنه يتم بالصورة التي تقربها من مميزات اللغة التي انتقلت إليها، ذلك أن "الكلمات المقترضة تدمج في الطبقات الصوتية، و الهياكل الصوتمية (Schémas phonologiques) للغة التي تستقبلها، و تعوض هذه صوامتها و صوائتها بأقرب صورة ممكنة من هذه العناصر. ثم من منظور آني (و ليس تاريخي) يصير تشكلها مانعا من التعرف إلى أنها مقترضة."[3] و من هنا، صار صعبا على عامة الناس التنبّه إلى أنّ الكلمة التي يستعملها مقترضة، و لا يعلم ذلك إلا المتخصصون، أو المهتمون بالرصيد اللغوي و أسراره. و إذا كان هذا حاصلا عند من لا يتجاوز نشوء لسانهم بضعة قرون، فكيف بالناطقين بلغة لا يعلم مبتدأها إلا الله تعالى؟

و مما تجدر الإشارة إليه في نهاية جوانب التحليل التأثيلي للاقتراض اللغوي، تضييق اللغات المستقبلة لدلالات الكلمات المقترَضة، فمن "النادر أن تدخل كلمة

---

1 - تعني كامة "دخيلة" ههنا مقترضة، و لا يقصد بها المعنى الاصطلاحي العربي، و إنما المعنى اللغوي العام.

2- Robins R.H: Linguistique Générale: Une Introduction, p. 289.

3- Robins R.H: Linguistique Générale: Une Introduction, p. 290.

أجنبية بتعددها الدلالي، مهما كان محدودا، فلا تؤخذ إلا دلالة واحدة، و بهذا يُفصَل المقترَض عن وحدته الأنموذجية."[1] و هذا ما يؤكد فعّالية الألسن التي تأخذ من مفردات غيرها، و يدفع عنها رميها ـ حين تقترض ـ بالعجز أو الضعف.

و لا يمكن للبحث أن يبرح مجال الاقتراض اللغوي، من دون أن يعوج على اهتمام الباحثين العرب به، الذين اعتبرهم كثير من الدارسين متأخرين في معالجة هذا الموضوع المهمّ.[2]

بيد أن واقع الأمر يثبت سبقهم إلى الحديث عن اللفظ الأعجمي في اللسان العربي؛ كان "عبد الله بن عباس" أول من تكلم في الدخيل.[3] و هو ما جعل أحد الأسباب التي قدمها من زعم أن العرب تأخروا في دراسة الاقتراض واهيا، هو إرجاعهم ذلك التأخر ـ في نظرهم ـ إلى أسباب دينية لها صلة بالقرآن الكريم الذي استعظم اللغويون أن يحتوي لسانه على كلمات أجنبية، و الحاصل أن الدين، و خاصة الاعتناء بالقرآن الكريم، هو الذي حفّز العرب على بحث قضية إمكانية وجود أعجمي في القرآن الكريم منذ القرن الأول الهجري[4].

و قد تعرض لهذه المسألة الفقهاء، و الأصوليون، و المفسرون، و اللغويون، الذين أفرد لها كثير منهم مصنفات مستقلة على غرار "الجواليقي" في "المعرب من الكلام الأعجمي"، و "السيوطي" في "المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب"، و "الخفاجي" في "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل"، كما بيّنه البحث في عرض مصادر المعجم التأثيلي في الفصل رالأوّل.

1- Dauzat Albert: Précis d' histoire de langue et du vocabulaire Français, p. 134.

2 ـ يراجع: أ ـ حلام، الجيلالي: تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، رسالة دكتوراة، جامعة وهران، ص ص. 330-331.

ب ـ بن مراد، إبراهيم: اللفظ الأعجمي في معجم العربية التاريخي، وقائع ندوة المعجمية العربية بتونس، نوفمبر 1989م، ص ص. 207-208.

3 ـ يراجع: السيوطي، جلال الدين: الاتقان في علوم القرآن، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط01، 1427هـ / 2006م، ج 02، ص. 86.

4 ـ يراجع: المرجع نفسه، ج02، ص ص. 86-87.

و من المعجماتيين، سبقَ المؤسس الأول للمعجم العربي "الخليل بن أحمد الفراهيدي" إلى طرح الاقتراض اللغوي على مستويات ثلاثة: نظري، و اصطلاحي، و مفرداتي. أما النظري فقد بيّن من خلاله ـ كما سبق في الفصل الثاني ـ أنّ للكلمات العربية الأثيلة علامة تثبت أنّها منه أصالة، ذلك أنّها إذا تجاوزت ثلاثة أحرف دون أن يكون فيها "واحد أو اثنان من الحروف الذّلق: ر، ل، ن، ف، ب، م [...] فاعلم أنّها ليست بعربية." [1]

أمّا المستوى الاصطلاحي، فهو أول من استعمل المصطلحات: محدث ـ مبتدع ـ مولّد ـ دخيل [2]، و أمّا التطبيقي فيظهر في إبرازه أعجمية اللفظ، و نسبته إلى لغته الأصلية، و بيان ما حدث له من تغيّر أحيانا كما سيتضح من خلال المفردات المعالجة في كتاب العين من هذا المنظور، والتي زاد عددها حسب ما أحصاه البحث عن ثمانين مفردة، استعمل الخليل لثلاث وعشرين منها مصطلح "دخيل"، ولأحدى عشرة مصطلح "معرب"، و جمع بين المصطلحين : دخيل معرب في ثلاث كلمات هي: سجّيل، و فرانق، و كُرَّج. و استعمل لفظة أعجمي لخمس كلمات مقترضة، و عبارة "ليست عربية" أو"غير عربية" لثماني مفردات. و هو ما يجعل الكلمات المقترضة التي وظف الخليل لها مصطلحا و حدد درجة اقتراضها تبلغ الخمسين أي نسبة: 59,52 %، و بقية الكلمات استخدم لها عبارات عامة مثل: "عُربت"، أو "لغة العجم" و كثير منها لم يُعلق على نسبة عُجمتها.

---

1 ـ الفراهيدي: كتاب العين، مقدمة المؤلف، ص. 43.

2 ـ يراجع: خليل، حلمي: المعرب و الدخيل في المعجم التاريخي، مجلة المعجمية، ع 5 – 6، ص. 316.

و لم يحدد الخليل اللغة المقرضة إلا لحوالي ثلاثين كلمة، مما يدل على نقص في التعريف التأثيلي من هذه الناحية. أما ذكره لأثلة اللفظ المقترَض، أي صيغته في لغته الأصلية فلم يتجاوز الثمانية، و هي نسبة قليلة تبلغ 9,52 %، و خمس كلمات فقط هي التي بيّن الخليل كيفية تعريبها، ممّا يجعل نسبتها حوالي95 ,5 %.

و حرص الخليل على شرح 67 مفردة من مجموع ما اعتبره مقترَضا، و فيما يأتي نماذج لطرائق الخليل في تعريف الكلمات المقترَضة تمثيلا:

- البَـــقّـــــم:

قال الخليل: « البقّم: شجرة، و هو صِبْغ يصبغ به، [...] و إنما علمنا أنه دخيل لأنه ليس للعرب كلمة على بناء فَعّل و لو كانت عربية البناء لوُجد لها نظير إلاّ ما يقال من بَدّر، و خَصَّم، و هم بنو العنبر بن عمرو بن تميم»[1].

و هذا التعريف - وإن خلا من كثير من جوانبه الأساسية ـ فإنه يرجع إلى اللغة المقترِضة نفسها ليأخذ من خصائصها ما يستلزم معرفة الدخيل، و قد سبقت نظرية الخليل الصوتية في هذا الشأن، غير أنه في هذا المدخل جعل من وزن الاسم سببا لعدم اعتباره أثيلا، فوَزْن فَعَّل لا نظير له في الأسماء، و من علمه بالواقع اللغوي في البلاد العربية ردّ هذا الوزن إلى "بني العنبر"، فجمعت نظريته بين التأصيل والجغرافية اللغوية.

1- الفراهيدي: كتاب العين، ج5. ص. 182.

- البـــنـــد:

قال الخليل:« البند: دخيل ، و يقال فلان كثير البنود [أي كثير الحيل]، و البند أيضا كل علم من الأعلام للقائد، و الجميع البنود، و تحت كل بند عشرة آلاف [...] البنادرة و الدرابنة دخيل، هم التجار الذين يلزمون المعادن ، و أحدهم بندارة» (1).

و في هذا التعريف ذكر لدرجة عجمة اللفظ، فهو دخيل أي لم تجر عليه تغييرات عند انتقاله من لغته الأصلية إلى العربية، و ربما عدم البحث عن صيغته قبل هذا الانتقال، أي أثلته، هو الذي جَعل القول بعدم تعريبه يفرط. فمن يدري ما كان نطقه و شكله في اللسان المقرض؟ و قد أتبع الخليل مصطلح 'دخيل' شرحا وافيا لدلالة اللفظة، و هو ما يوحي بتطورها من الحيلة و المكر سلوكا، إلى العلامة اللافتة، و ربما أوحى آخر التعريف بدخول اللفظ المجال العسكري.

و في انتباه الفراهيدي للبنادرة إشارة إلى تطور شكلي و دلالي، فالأول يتمثل في إضافة "الراء"إلى "بند" و هي إحدى حروف الذلاقة التي دأب العرب على زيادتها في الكلمات تقوية للمعاني، و هي من الناحية الصوتية ممّا يجري اللفظ على ألسنة العرب أكثر، إذ هذه الحروف أخف الأصوات، و هي عند صاحب "كتاب العين" علامة مميزة لعروبة ، أو تعريب المفردات.

1- الفراهيدي: كتاب العين، ج8، ص. 52.

و التطور الثاني مستوحى من مسار العربية التطوري القديم، الذي بوَّأه الخليل مقعده الصدق في عقد أبنية معجمه، و هو تقليب أصول البناء، فمن "بنادرة" إلى "درابنة" لمسة تطورية بتغيير ترتيب حرفي الباء و النون في بداية الكلمة.

هذا، و إنّ من الواجب ذكر إهمال هذا التعريف التأثيلي تحديد اللغة الأصلية للكلمة، و صيغتها فيها، كما لم يدعم تتبّعها بشاهد، و قد تكون عبارة: "و يقال : فلان كثير البنود" ذات ملمح استشهادي يشير إلى أن اللفظ استعمل في التخاطب اليومي، و لم يرقَ إلى توظيف أدبي، أو فكري.

ـ الجُلّســـان:

قال الخليل: « و الجلسان دخيل، و هو بالفارسية "كُلشانّ". و قال:

لنا جُلّسان عندها و بنفسج سِيسَنبر و المرزَجُوش مُنمنماً

»(1).

و في هذا التأثيل ذكر الخليل درجة العجمة "دخيل"، و تنبه إلى تحديد اللغة المقرضة "الفارسية" و صيغة اللفظ فيها "كلشان"، ثم أتى بشاهد على استعمال الكلمة الدخيلة من أحد فحول شعراء العصر الجاهلي الأعشى و إن لم يصرح باسمه.

و مما يلاحظ في بداية هذا التعريف أن الفراهيدي لم يشأ وصف التغيير الذي حصل للكلمة باستبدال الجيم بالكاف و هو أمر ظاهر بين "كُلشان" و "جُلسان" و لعل هذا يشير إلى عدم نضج أمر المصطلح، فكأن دخيل هي معرب، و الخليل في هذا غير ُمليم، فهو أول من استخدم هذه المصطلحات، و الفضل للمبتدي مهما اجتهد المقتدي. و لم يحتو تعريف

1- الفراهيدي: كتاب العين، ج6/ص 54.

"جُلسان" على شرح معنى المفردة، فلا يُدرى في أي الحقول الدلالية استُعملت؟ و إنها لتدل على « نِثار الورد في المجلس [فهي] قبة يُنثر عليها الورد و الريحان: الورد الأبيض.» (1)

ـ خورنـــق:

قال الخليل: « و الخورنق: نهر، و هو بالفارسية: خُورنكاه فعُرّب الخورنق.» (2) و قد احتوى هذا التعريف التأثيلي على التقنيات الآتية: شرح المعنى المقصود ابتداء، و ذكر اللغة الأصلية للكلمة، و صيغتها الأولى، و ما حصل لها من تغيير و إن لم يُفصِّل في كيفيته، فكأن الخليل اكتفى بإيراد اللفظين ليرى القارئُ بنفسه ما حصل من إبدال صوت الكاف قافا، و إضافة الواو بعد الخاء، و حذف الهاء من آخره.

و لم يأت ههنا ذكر لدرجة العُجمة، و لا الشاهد الدال على مصدر استخدام الكلمة المقترَضة، كما لم يُتَتبّع تطورها الدلالي.

ـ ديـابـــوذ:

قال الخليل :« و ديابوذ: ثوب له سدّان، و يقال: هو كساء ليست بعربيـة، و هو بالفارسية دُوبُوذ فعُربت.» (3)

و في هذا، شرح للكلمة بمعنيين متقاربي الحقل ، فكل من الثوب،

1- رضا، أحمد : معجم متن اللغة، ص. 553 .

2- الفراهيدي: كتاب العين ج4/ص 321.

3- المرجع نفسه، ج8/ص 13.

3- لم يتمكن البحث من الاهتداء إلى صاحب البيت.

و الكساء دالّ على الستر الشامل للبدن، و استخدم الخليل لبيان درجة العُجمة عبارة: "ليست بعربية"، و قد جاء ذكر اللغة المقرضة 'الفارسية' و صيغة الكلمة فيها، و في هذا التعريف يكرر الخليل الاكتفاء بقوله "فعُرّبت" عن وصف كيفية التعريب، كما خلا التعريف أيضا من أيّ شاهد على الاستعمال.

ـ القــاقْزّة:

قال الخليل: « و القاقزة: مشربة، و هي فيالجة دون القرقارة. و يقال: هي أعجمية، و ليس في كلام العرب مثلها مما يُفصل بين حرفين مثلين مما يرجع إلى بناء"ققز" و نحوه، و أما بابل فإنه اسم خاص لا يُجرى مُجرى الأسماء العوام. و يقال: قاقوزة بمعنى قاقزّة، قال:

بقواقيز في الأكفّ علينا موزعة.» (1)

فمن تقنيات هذا التعريف: شرح معنى الكلمة، و الإشارة إلى أعجميتها، و تأكيد ذلك بالمألوف من أبنية العرب، ففي خروج اللفظ عنها مدعاة عند الخليل لاعتباره غير أثيل، و لم يهمل ذكر الشاهد غير أنه مفتقر إلى ذكر قائله مما يُصَعّب مهمة التأريخ له. و لو أن الفراهيدي نسب كل بيت لصاحبه لأعان مَن بعده من المؤثلين و المؤرخين اللغويين، و إنْ كان قِدَمُ عهده يشير- على الأقل - إلى أن شواهده لا تعدو نهاية القرن الثاني للهجرة.

---

1 – الفراهيدي: كتاب العين، ج5/ ص. 13.

ولا يحتوي هذا التعريف على تحديد اللغة المقرِضة، و لا الصيغة الأصلية للكلمة مما يؤدي إلى غياب متابعة تطور الكلمة شكلا و دلالة.

ـ كـــــرز:

قال الخليل : « و الكُرّز [من الناس]: العَييّ اللئيم، الذي يسميه الفُرْس: كرِّزيا، قال رُؤبة:

و كرّز يمشي بطين الكرز.

و الطائر يكرّز، دخيل ، قال رؤبة:

رأيتُه كما رأيتُ النسـرا

كُرِّز يلقي قادمات زُعرا. »(1)

من محتويات هذا التعريف ذكر اللغة المقرضة، و شرح المفردة، و رواية شاهدين منسوبين إلى قائلهما.

و مما لا يُلمس فيه صيغة الكلمة في لغتها الأصلية، و ما حصل لها من تغيير تعريبا، و تطويراً، و متابعة الانتقال من حقل دلالي إلى آخر.

ـ الكـوس:

قال الخليل: « الكوس: خشبة مثلثة يقيس النجار بها تربيع الخشب و تدويره، و هي كلمة فارسية. و الكُوس و الكَوْس: فعل الدابة إذا [مشت]على ثلاث، كاست تكوس كوسا. و الكوس: الغرق ، أعجمية[...] و كوّستُه على رأسه تكويسا، أي قلبتُه. »(1)

و هنا قام التعريف على: شرح معنى الكلمة، و الإشارة إلى لغتها الأصلية، و تطور دلالتها من الخشبة الثلاثية الأضلاع إلى فعل الدابة

1- المرجع السابق، ج5/ص 319.

المرتكز على ثلاثة قوائم، ثم الغرق، ثم قلب الإنسان (أو الشيء) على رأسه. و من أهم ما نقص: صيغة الكلمة في لغتها الأم، و كيفية تعريبها، و ما طرأ عليها من تغيير صوتي أو شكلي، و هو إن حصل يكون شاهدا على دخول الكلمة إلى العربية، أو تبادلات دلالاتها.

ـ المسيــح:

قال الخليل: « و المسيح عيسى بن مريم، عليه السلام، أُعرب اسمه في القرآن، و هو في التوراة مَشيخاْ، قال: "إذا المسيح يقتل المسيحا" يعني عيسى يقتل الدّجال بنيزكه. »(1)

و هنا ذكر الخليل درجة العُجمة: "أُعرب" التي مفادها "مُعرّب" و أضاف شيئا مهما و هو بيان مصدر تعريبه على طريقة بعض المعجمات الأكاديمية في العصور الحديثة، و من فائدة هذا النهج مقاربة التاريخ لظهور اللفظ في اللسان العربي الذي يمكن ـ على الأقل ـ اعتباره دخل لغة الضاد مع نزول القرآن، و تتبع موضع الكلمة في كتاب الله تعالى يساعد على حصر فترة الاقتراض أكثر، ذلك أن الآيات التي ورد فيها اسم المسيح ـ عليه السلام ـ كلها مدنية (2)، مما يجعل استعمال القرآن لهذه الكلمة واقعا بعد الهجرة، بين 1هـ و 10هـ على أوسع تقدير. و هو ما يقابل تقريبا ما بين 625 م - 635 م. و مما دعم به الخليل تأثيله ذكر صيغة اللفظ الأصلية، ومصدرها دون أن يحدد اللغة، و إن غلب على الظن أنها الآرامية.

1- المرجع السابق ،ج5/ص 392.

2- يراجع محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،دار الجيل،بيروت،لبنان، ص. 666.

و لا يمكن الانتقال من هذا الموضع من دون الإشادة بالحس اللغوي الذي تميز به الخليل و هو يعالج مادة "مسح"، التي هي أثيلة في العربية، و لها مشتقات عدة من "مسيح" المأخوذ من اسم المفعول "ممسوح" الذي عرفه بقوله:« و رجل ممسوح الوجه و مسيح إذا لم يبق على أحد شقي وجهه عين و لا حاجب إلا استوى، و المسيح الدجال على هذه الصفة .»(1)

فكأنّ صاحب كتاب العين خشي أن يُخلط بين تسمية دجال آخر الزمان بالمسيح الذي هو اسم أثيل في العربية، مشتق من فعل "مسح" و اسم عيسى بن مريم الذي هو دخيل معرّب، فلو كان غير" الخليل" لضَمَّ هذا إلى الأسماء العربية الأصيلة بفعل تأثير صيغة الكلمة، بينما فصل الحس اللغوي الواقعي التطوري عند هذا العالم العبقري بين ما اشتق و ما أشبهه في الشكل لكنه مقترَض، و لعلّ التعريب هو الذي جعل لغة الضاد تنحو به نحو صيغة قريبة من الأثلة و مستساغة لدى المتكلمين.

- المهنــدس:

قال الخليل :« المهندس الذي يقدر مجاري القُنيّ، و مواضعها حيث يُحتفر ، و هومشتق من الهندزة، فارسي صُيرت الزاي سينا، لأنه ليس بعد الدال زاي في شيء من كلام العرب.»(2)

في هذا التعريف: شرح لمعنى المفردة، و ذكر لصيغتها الأصلية، و تحديد لغتها التي انحدرت منها، و بيان التغيير الذي حصل للأثلة بعد تعريبها، ثم أتبع الخليل هذا بتعليل صوتي لاستبدال العربية السين بالزاي، ذلك أنه لا يأتلف فيها إتباع الزاي الدال.

1- المرجع السابق، ج3/ص156.

2- المرجع نفسه، ج4/ ص. 130.

4 - تطور الدلالـــة:

يغنى ما طرح في عرض المقاربة التاريخية للتاثيلية في الفصل الأول عن مزيد من المعالجة لهذا الجانب من اهتمام المعجميين. و إنّ خلاصة ذلك تجعل تتبع الدلالة قائما على أسس من أهمها:

- ضبط فترة ظهور المفردة، أو دخولها حقلا دلاليا و ملابسات ذلك .
- ضبط جانبها النطقي، و الشكلي، و تتبع معناها الأول.
- تسجيل أي تغير دلالي و توثيقه بتاريخه.
- تسجيل التغير الشكلي إن حصل.

و فيما يأتي عرض لبعض المفردات التي وقف الخليل بن أحمد على جانبها الدلالي بما تهيأ له من معطيات في عصره، و ما سمحت به تقنيات معجمه اللغوي الموسوعي:

- أوس:

قال الخليل :« أوس: قبيلة من اليمن، و اشتقاقه من آس يؤوس أوسا، و الاسم : الإياس، و هو من العوض.»(1)

أشار هذا التعريف إلى أصل إطلاق لفظ " أوس" أنه اسم قبيلة، و يتضمن هذا أنه اسم جدّ هذه القبيلة الأول الذي تسمت به، مما يشير إلى قدمه. كما تناول الخليل بيان الحقل الدلالي للكلمة الذي على أساسه اشتق الاسم، و هو العوَض. و كأنّ "أوس" عِوض لقومه عن غيره، أو عن كل شيء. و لم يغفل الخليل أصل اشتقاق الاسم.

1- المرجع السابق، ج7/ ص. 329.

و لم يسجل التعريف توقيت أول ظهور للكلمة، و قد يُعذر من يؤثل للعربية في هذا، لبعدها الزمني .

و لم يذكر الخليل أي تغير لدلالة "أوس"، مع أن بعض المعجمات تذكر أن هذا اللفظ أطلق على الذئب.(1)

- بـــــرج:

قال الخليل: « و البرج سعة بياض العين من حسن الحدَّقة، و إذا أبدت المرآة محاسن جيدها و وجهها قيل: قد تبرجت، و مع ذلك [أي مرافقا له] ترى من عينييها حسن نظر.»(2)

في هذا التعريف محاولة لبيان الدلالة الأولى للبرج، و هو صفة حسن في الوجه من اتساع العين و شدة بياضها، ثم انتقلت الدلالة إلى إبداء كل المحاسن، لكن ما يشبه الاستدراك في قول الخليل: "و مع ذلك ترى من عينيها حسن نظر" يشيرإلى مرحلة سابقة من التطور الدلالي كان اللفظ فيها متعلقا بتعمد إظهار المرأة حسن عينيها فقط، و هو تعليل لاشتقاق فعل"تبرج"، و بعد ذلك حصل له تعميم. و في هذا إشارة إلى أن شكل العين هو أصل مشتقات مادة "برج" جميعها، و منها جاء برج: « اتسع أمره في الأكل والشرب.»(3) و البُرج بمعنى الحصن.

- الحواريون:

قال الخليل: « و الحواريون: الذين كانوا مع عيسى عليه السلام ينصرونه و كانوا قصارين، يقال: فعل الحواريون كذا، و نصر الحواريون كذا، فلما جرى على ألسنة الناس سمي كل ناصر حواريا.»(4)

1- يراجع: رضا، أحمد: معجم متن اللغة، ج 1/ص 222.

2- الفراهيدي: كتاب العين ، ج115/6.

3- رضا، أحمد: معجم متن اللغة، ج1/ص 263.

4 - الفراهيدي: كتاب العين ، 38/ ص 288.

أهم ما في هذا التعريف ربط ظهور الكلمة بالوقائع التي أدت إلى ذلك، و إن غاب تأريخها. فلفظ الحواريين كان يطلق على محترفي دق الثياب و تبيضها، و يغلب على الظن أن هذا لم يكن عند العرب، و يبدو من خلال طرح الخليل لأصل الدلالة أن هؤلاء القصار المحورون للثياب كانوا ذوي نشاط و مواقف في المجتمع مما جعل ذكرهم متداولا، و ربما تميزوا في مرحلة بنصرة بعض المبادئ أو الناس، فاتخذ اسمهم المهني دلالة أخلاقية اجتماعية تمثلت في نصر أهل الحق و أولهم الأنبياء و الرسل. و هذا النوع من المعالجة لأصل الدلالة يسمى سرد قصة الكلمة (Histoire du mot) في المعجمية الحديثة.

- الزقـــوم:

قال الخليل: « الزقم: أكل الزقوم. و يقال الزقوم بلغة إفريقية؛ الزبد بالتمر. (و لما نزلت آية الزقوم لم تعرفه قريش، فقدم رجل من إفريقية و سئل عن الزقوم فقال الإفريقي: الزقوم بلغة إفريقية ، الزبد والتمر)(1). فقال أبو جهل: هاتي يا جارية تمرا وزبدا نزدقمه فجعلوا يتزقمون منه و يأكلونه، و قالوا أ بهذا يخوفنا محمد [صلى الله عليه وسلم]، فبين الله في آية أخرى:" إنا جعلناها فتنة للظالمين، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. (2)"» (3)

يحمل هذا العريف تأثيلا لكلمة "زقوم" بتحديد لغتها و بيئتها الجغرافية الأصليين. و في ذكر القصة فوائد منها:

- بيان قصة الكلمة (Histoire du mot) .

1- ما بين قوسين إضافة من"التهذيب"أخذه' الأزهري من "العين" و أثبته المحققان في متن معجم العين.

2- سورة الصافات الآية 63.

3- الفراهيدي: كتاب العين، ج5/ص 94.

ـ المصدر الأول الذي استعملها و هو القرآن الكريم ، في قوله تعالى: (لآكلون من شجر من زقوم، فمالئون منها البطون) (1)

ـ تحديد الفترة التي دخلت فيها الكلمة اللسان العربي، و قد ذكرت في ثلاثة مواضع في القرآن، كل آياتها مكية، مما يساعد على التأريخ لظهور اللفظ في العربية بما بين حوالي 611 م (سنة البعثة) و 624 م (بداية الهجرة).

ـ الشـــــام:

قال الخليل: « الشأم: أرض سميت به لأنها من مشأمة القبلة.» (2)

لا يحتوي هذا التعريف على الكثير من جوانب التعريف التأثيلي، و كل ما جاء فيه بيان لعلة تسمية الشام. غير أنّ هذا الاسم قديم عند العرب، و أمر القبلة لم يكن معروفا في الجاهلية، و إنما كان التوجه في الصلاة إلى بيت المقدس، و هو ما حصل للمسلمين أنفسهم أول الأمر قبل أن تتحول القبلة إلى بيت الحرام.

و الذي يمكن تصوره أن العرب في تحديد الاتجاهات الأربعة كانوا يواجهون مشرق الشمس، وجهته هي المشرق، و من كان على هذا الوضع كانت اليمن عن يمينه، و منه تسميتها بهذا الاسم، و الشام أشأم منه.

ـ العقيقـــة:

قال الخليل: « العرب تقول: عقّ الرجل عن ابنه يعِق إذا حلق عقيقته و ذبح عنه شاة و تسمى الشاه التي تُذبح لذلك عقيقة [...] و من الحديث:

1- سورة الواقعة ، الآية 52.

2- الفراهيدي: كتاب العين، ج6/ص 295.

كل امرئ مرتهن بعقيقته. و في الحديث: أن رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ عق عن الحسن والحسين بزنة شعرهما ورقا. [...] العقيقة تجمع عِققا. و العقيقة: الشعر الذي يولد الولد به. و تُسمى الشاة التي تذبح لذلك عقيقة، يقع اسم الذبح على الطعام، كما وقع اسم الجزور التي تنقع على النقيعة، و قال زهير في العقيقة :

أ ذلك أم أقبّ البطن جَأبٌ عليــه من عقيقته عفـــاء

و قال امرؤ القيس :

يا هند لا تنكحــي بُوهـــة عليه عقيقتُــه أحْسبـــا

و يقال: أعقت الحامل إذا نبتت العقيقة على ولدها في بطنها فهي معقّ و عقوق [...] و عقيقة البرق: ما يبقى في السحاب من شعاعه، و جمعه العقائق، قال عمرو بن كلثوم:

بسُمْـر من قنا الخطِّـي لُدْنٍ و بيضٍ كالعقائق يَختلينـــا .» (1)

على الرغم من أن هذا التعريف لم يظهر عليه التدرج في انتقال الدلالة من الأقدم إلى الأحدث. فقد قدّم الخليل فيه مادة لغوية يمكن للمطلع عليها أن يرسم مسارا تطوريا للفظ المعالج بين الجاهلية و الإسلام. فالعقيقة في الجاهلية ذات مدلولين: عقيقة البرق (شعاعه الباقي) و عقيقة الولد

---

1 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج 1، ص ص. 62 – 63.

(أول مـا بنيـت علـى رأسـه مـن شـعر). و الـشاهد علـى المعنـى الأول لعمرو بن كلثوم، أما الشاهد على الثاني فهو لزهير بن أبي سلمى.

و ليس ثمة من سبيل إلى الحكم بقدم أحد المدلولين بالنسبة إلى الآخر، لأن صاحبي الشاهدين متقاربان من حيث انتماؤهما الزمني.

لكن العقيقة بمعنى الشاة تذبح على المولود فهي من استعمال عصر صدر الإسلام، فالسنة النبوية هي التي حثت على أن يعقّ على المولود.

و بهذا يمكن رسم تطور دلالة هذه الكلمة على النحو الآتي: شعاع البرق (عمرو بن كلثوم)← شعر المولود (زهير) ← الشاة تذبح بعد حلق شعر المولود (حديث رسول الله – صلى الله عليه و سلم -)

5 ـ الجغرافية اللغوية:

إذا كانت الأقسام السابقة من هذا الفصل أشارت إلى متانة الصلة بين اللغة و التاريخ باعتباره مؤثرا في تطورها، فإنّ لارتباط اللسان بالبيئة و الأرض التي يسكنها المتكلمون به أهمية كبيرة و إن قلّت نسبته مقارنة مع التاريخ. ذلك أنّه "يُمكن حصول تباعد لغوي آت من توسّع جغرافي لبعض الشعوب."[1] و يضرب "روبينس" (Robins) لهذا مثلا باختلاف الهولندية التي يتكلم بها محتلو إفريقيا الجنوبية المسمّاة "Africaans" عنها في هولندا.[2]

و على هذا النحو يمكن ملاحظة اختلاف اللغات السامية التي هاجر أهلها من الجزيرة العربية، موطنهم الأصلي، فيما بينها، و اختلافها جميعها عن السامية الأمّ، التي ظلّت لغة العرب الباقين في جزيرتهم أقرب شيء إليها.[3] و البعد التأثيلي في هذه الظاهرة أنها تساعد على معرفة الرصيد الأولي الذي انحدرت منه كلمات اللغات المتقاربة، فبالنسبة إلى مثال "روبينس" (Robins) تظل هولندية هولندا تختزن أصول ما تفرّع منها في إفريقيا الجنوبية. فمن حيث تحريك أواخر الكلم ظهرت "لغات سامية [...] تخلت جميعها عن ظاهرة الإعراب [...] و في مقدمة هذه اللغات مجموعة تمثل الطرف العربي من الهلال الخصيب، و تشغل أقاليم سوريا و لبنان و فلسطين و الأرد، و هي بدورها تتشعب شعبتين: الأولى ملاصقة لساحل البحر الأبيض المتوسط و هي الشعبة الكنعانية، و الثانية في الداخل و هي الشعبة الآرامية."[4] بينما ظلت العربية محافظة على الإعراب.[5]

1- Robins R.H: Linguistique Générale: Une Introduction, p. 276.

2- Voir: Ibid, 276.

3 ـ يراجع: أ ـ ظاظا، حسن: الساميون و لغاتهم، ص. 16.

ب ـ زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، م. و . ف. م، الجزائر، 1993، ص ص. 57-76.

4 ـ ظاظا، حسن: الساميون و لغاتهم، ص. 47.

5 ـ مما يجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم هو الذي أبقى على إعرابية اللسان العربي إلى اليوم، و ذلك لحكمة جليلة تتمثل في إعطاء المتكلم سبيلا إلى التقديم و التأخير في تركيب جملة بحسب أهمية اللفظ، أو غرضه البلاغي منه، و قد يمثل الممنوع من الصرف مرحلة انتقالية شرعت فيها العربية نحو التخلي عن الإعراب أوقفها الذكر الحكيم.

و من هنا أمكن القول إنّ السامية الأمّ كانت لغة معربة، و هذه نتيجة تعني التأثيلي قبل غيره؛ فهو الذي لا يفتأ يبحث "عن المساحة الجغرافية للكلمة: في أي المناطق استعملت ابتداء؟ في أيِّ متكلَّم [Parler] محليّ، و في أي أسماء الأماكن نجدها؟ ما نظيراتها في اللغات [المتقاربة]؟ [و هكذا] تضم الجغرافية اللسانياتية، و اللهجاتية (Dialectologie)، و اللسانيات المقارنة معطياتها إلى التاريخ."[1]

و العلاقة بين الجغرافية و التأثيل متبادلة، ذات اتجاهين؛ فكما يُعرف أصل من منطقة سكان الناطقين به، يُعرف إقليم مجموعة معينة من تأثيل كلمة تسمّوا بها أو بأحد مشتقاتها. فالعبرانيون ـ مثلا ـ يدعون حقا ليس لهم، و هو أرض فلسطين التي عمرها الكنعانيون قبلهم، و يفيد تأثيل الباحث "إدوار دورم" (Edouard Dhorme) للفظ <عبريّ> أنه "مشتقّ من الفعل الشائع في العربية <عبر> بمعنى اجتاز، و العِبْر بكسر العين و سكون الباء اسم موجود في اللغة العبرية بكسرتين خفيفتين، و معناها كما هو في العربية: الجهة الأخرى التي يستلزم الوصول إليها اجتيازا أو عبورا [...] فيكون العبري [بناء على هذا] هو ساكن الأرض الواقعة إلى الضفة الغربية من الفرات و هي الأقاليم المتاخمة لسوريا، و التي تسمى بادية الشام. كذلك كانت تسمية عبري تنطبق على من يهاجر من العراق فيعبر نهر الفرات إلى الشام."[2] و لا تزال التأثيلية تساقط على الناس فوائد جليلة.

و لا يمكن الانتقال من ثنائية التأثيلية و الجغرافية دون الإشارة إلى ان ثمّة كنوزا نفيسة تحتفظ بها القراءات القرآنية تعين على تمثّل جغرافية لغوية للهجات العربية، تكون أرضية التطلّع إلى الأصول الأولى للغة الفصحى الراقية التي جرت على السنة القرشيين، و نزل بها القرآن الكريم. و قد وقف البحث على كثير منها، لا يمكن سردها و تحليلها ههنا استجابة لمنهجه، و تحقيقا للتوازن بين أجزائه، و قد تُرجى

1- J. Dubois, Henri Mitterrand, Dauzat Albert: Dictionnaire étymologique, p. 209.

2 ـ ظاظا، حسن: الساميون و لغاتهم، ص ص. 62-63.

لأفق علميّ آخر. و سيُكتفى بمثال واحد لعلّه يجلي هذه الحقيقة، و يشير إلى المقصود. و هو مرتبط بظاهرة صوتية لا تزال آثارها إلى اليوم، و هي النّبر: أي تحقيق الهمزة. فقد ثبت أنّ القرّاء الذين يحقّقون الهمزة ـ عموما ـ هم: أبو عمرو بن العلاء، و ابن عامر، و عاصم، و حمزة، و ابن حبيب، و هم بالتتابع قرّاء: البصرة، و الشام، و الكوفة. أمّا تسهيل الهمزة فقد عُرف به نافع قارئ المدينة المنورة.[1] و هو ما يبيّن أنّ سكان منطقة الحجاز كانوا يميلون إلى تسهيل الهمزة في كلامهم، و بهذا جاءت المعجمات العربية، فقد روى " ابن منظور" عن "أبي زيد اللغوي" أنّه قال: "أهل الحجاز، و هذيل، و أهل مكّة، و المدينة لا ينبرون."[2] مما يجعل من تحقيق الهمزة ظاهرة حضرية تميزت بها المدن الكبرى و ما حولها من المناطق المتمركزة في شمال الجزيرة. أمّا وسطها و جنوبها فتغلب عليه البداوة لتنائي القبائل بعضها عن بعض، فكأن تسهيل الهمزة أضحى سمة البدو في الكلام.[3] و هذا المثال يشير إلى أنّ القراءات القرآنية "هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغويّ الذي كان سائدا في شبه الجزيرة قبل الإسلام، [...] [و هي] أصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية"[4]، و هي وسيلة معرفة الأداء الأقدم للعرب من خلال توزّعهم، يفيد التأثيل في محاولة رسم مسار تطوّري للسان العربيّ.

و بعد هذا العرض المختصر ـ بحسب ما أُتيح ـ لجوانب التأثيلية ضمن المنظور اللغوي العامّ، فإنّه صار حقّا على البحث أن ينتهي منه إلى صورة معجماتية للتأثيلية، يهتدي بها أصحاب الصناعة المعجماتية في تعريفاتهم.

---

1 ـ يراجع: ابن الجزري، أبو جعفر محمد بن محمد (ت 823هـ): النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1423هـ / 2002م، ج01، ص ص. 282-325.

2 ـ ابن منظور: لسان العرب، ج01، ص. 22.

3 ـ يراجع: ـ محيسن، محمد سالم: القراءات و أثرها في علوم العربية، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، مصر، 1984م، ص. 94.

و ـ الراجحي، عبده: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، الإسكندرية،

مصر، 1998م، ص ص. 105-118.

4 ـ الراجحي، عبده: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص. 93.

و بهذا، يخلص هذا القسم إلى العلاقات المكانية بين الظواهر اللغوية، و تأتي فائدتها بالنسبة إلى التوجّه التأثيلي من جهة أنّ بعض المناطق قد يحتفظ أهلها بعادات قديمة، و مثل هذا الأمر جلي في لهجات القبائل العربية في الجاهلية، و في العصور الإسلامية الأولى، أي إلى عصر الخليل بن أحمد الفراهيديّ، الذي سيأتي تتبّع مداخل معجمه التي تحتوي على بُعْدٍ جغرافيّ قابل لأن تستلهم منه إشارات تأثيلية؛ و منها:

- بـــــأس:

قال الخليل: "البأس: الحرب [...] و منه بئس، و هو نقيض صلح، [...] و إذا جعلوه نعتا قالوا: نَعِيم و بئيس، كما يقرأ [قوله تعالى]: <بعذاب بئيس>[1] على فَعيل، و لغة سفلى مضر: نِعيم و بِئيس يكسرون الفاء في فعيل إذا كان الحرف الثاني منه من حروف الحلق الستة، و بِلُغَتِهم كُسِر الظِّئين ز رِئيس و دِهين، و أمّا من كسر كِثِير، و أشباه ذلك من غير حروف الحلق فإنّهم ناس من أهل اليمن، و أهل الشّحر يكسرون كلّ فعيل و هو قبيح إلاّ في الحروف الستة، و فيها أيضا يكسرون صدر كلّ فعل يجيء على بناء عمل، نحو قولك: شِهد و سِعِد، و يقرأون" <و ما شِهدنا إلاّ بما علمنا>[2]."[3]

و في هذا التعريف يفتح الخليل أفقا لسانيا آخر، يقوم على رصد العادات اللغوية عند العرب، و اختلاف لهجاتهم في شيء ممّا تميّزت به العربية، و هو الحركات. و قد خصّ ههنا حركة أوّل الكلمة المتبوع بحرف حلقي ببين الفتح و الكسر في الصيغة الوصفية "فعيل".

---

1 ـ سورة الأعراف: الآية. 165.

2 ـ سورة يوسف: الآية. 81.

3 ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج 7، ص. 317.

و لقد عرف كيف يخرج من ضيق المثال الذي يدرسه "يئيس" إلى كلّ ما هو على زنته. و الواقع اللغوي في جزيرة العرب في عصر الخليل و قبله يدلّ على أنّ هذا الاختلاف بين فتح أوّل الكلمة و كسرها في الكلمات التي يكون ثانيها حرفا حلقيا متفرّعة من الفعل إلى كلّ مشتقاته. و لا تفسير لها سوى ميل من يكسر الأوّل إلاّ الاتبّاع، الذي يسوغه أنّ الصوت الثاني في الكلمة "حرف حلقي يجوز أن يتبعه ما قبله في الحركة مثل: شَهِد و شِهِد، و لَعِب و لِعِب [الواردة] بفتح الفاء و كسرها."[1]

و قد سجّلت لنا القراءات القرآنية مذهبين لقراءة "نِعِمّا" في قوله تعالى: "إنّ الله نِعِمّا يَعِظُكم به"[2]؛ أحدهما بفتح النون و كسر العين، و هي قراءة ابن عامر، و حمزة، و الكسائي، و الثاني يكسر النون و العين "نِعِمّا" كما هم الحال في رواية ورش عن نافع. و القراءات تعكس الواقع اللغوي بصدق. لكن كيف ترسم جغرافية هذين المذهبين في البلاد العربية وقت وجودهما معا؟

لقد نسب الخليل كسر فاء "فَعيل" إلى سفلى مضر، و يظهر من قول ابن فارس: "و لا الكسر الذي تسمعه من <أسد> و <قيس> مثل: تِعلمون و نِعلم و مثل شِعير و بِعير."[3] أنّه ينسبه إلى قبيلتي قيس و أسد، كما يفتح ابن فارس بابا آخر يمكن ضمّه إلى هذه الظاهرة، من خلال تمثيله بـ "تِعلمون" و "نِعلم" و هو ما عرف عند اللغويين بكسر حرف المضارعة،

1 ـ محيسن، محمّد سالم: القراءات و أثرها في علوم اللغة، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، مصر، 1984، ص. 130.

2 ـ سورة النساء: الآية. 58.

3 ـ ابن فارس، أحمد: الصاحبي، ص. 56.

الذي يبدو أنّه بدأ في الأفعال التي فاؤها حرف حلق، ثمّ اتّسع إلى البقية لأنّ علّة الاتباع فيها واضحة، و هي مجيء الحرف الحلقي ثانيا في الكلمة بإدخال حرف المضارعة على أوّل الفعل.

و بهذا يصير الأمر ظاهرة لغوية عرفت عند العرب، بل صار "الكسر لغة جميع العرب إلاّ أهل الحجاز."[1] و بهذا قال الفرّاء فيما رواه عنه ابن فارس.[2] و ما دام الكسر ناتجا من الاتباع فليس بأصل، و خلوّ لغة الحجاز منه دليل على أنّ القبائل العربية المتاخمة للمتكلّمين بالآرامية، و العبرية، و الحبشية، و غيرهم هم الذين ظهر عندهم هذا التصرّف في النطق تأثرا و تأثيرا، أمّا قريش و من حولهم فقد أبقوا على الأصل، و هذا معروف عنهم إذ سلموا من التأثر بحكم بقائهم في أرضهم بما هيّأ الله لهم من أسباب الأمن، و الغذاء الذي اضطرّ غيرهم إلى الهجرة الشمال، و أقصى الجنوب، قال تعالى: "فليعبدوا ربّ هذا البيت لذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف".[3] فإذا كان الساميون يعترفون بمحافظة اللسان العربيّ على أقدم صورة حيّة من اللغة السامية الأمّ، فإنّه يحقّ للعرب أن يعتقدوا أنّ لغة الحجاز هي التي حافظت على القدر الأكبر لأقدم رصيد من العربية الأولى.[4]

و هكذا يمكن القول إنّ كسر ما قبل الحرف الحلقيّ اتّباعا مرحلة تطوّرية، ربّما كانت آثار مجاورة مجتمعات عُرفت لغتها بالابتداء بالكسر كالعبرية ـ مثلا ـ، و قد يكون هذا مظهرا من مظاهر لغة الحضَر تأثرت به بعض

---

1 ـ آل ياسين، محمّد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب، ص. 335.

2 ـ يراجع: ابن فارس، أحمد: الصاحبي، ص. 50.

3 ـ سورة قريش: الآية. 3- 4.

4 ـ يراجع: ظاظا، حسن: الساميون و لغاتهم، ص ص. 15- 16.

القبائل القريبة منهم، ثمّ انتقل إلى من سواهم، ما عدا سكان أمّ القرى و من حولها.

و بعد هذا كلّه، يمكن الاعتراف للخليل بن أحمد بفضل السبق إلى فتح أفق من الدراسات اللغوية يقوم على رصد الظواهر الكلامية عند العرب، و عاداتهم اللغوية، و يساعد على الرنوّ إلى دراسة لسانياتية جغرافية عربية، من أهمّ فوائدها أنّها تقدّم صورة عن المسار التطوّريّ للغة من خلال ما تحتفظ به لغات القبائل و لهجاتها.

- بـــــرخ:

قال الخليل: "البَرْخ: ضرب بالسيف يقطع بعض اللحم، و البَرْخ الرخيص بلغة عُمان، و البرخ: الحرب، و أهل عُمان يقولون/ كيف أسعاركم؟ فيقول المجيب: بَرْخ هكذا، أي رخيص.

و قول رؤبة:

و لو أقــول برّخوا لبرّخوا

لمارِ سَرْجسَ و قد تدخدخوا

قوله: برّخوا أي برّكوا، أخذها من النبطية."[1]

يفيد هذا التعريف أنّ أهل عُمان وحدهم انفردوا بدلالة "البَرْخ" على رخص الأسعار.

و لا يمكن أن يعرف أصل هذا المعنى، غير أنّ ذكر الخليل لبيت رؤبة الذي استعمل فيه "برّخوا" بمعنى "برّكوا" مُبدِلا الكاف خاء على طريقة النبطيين ـ حسب الخليل ـ يسمح بالتفكير في إمكانية حصول الشيء نفسه

---

1 ـ الفراهيدي: كتاب العين، ج 4، ص ص. 256- 257.

عند أهل عُمان، و أنّ "برخ" قد يكون أصلها "برك" من البركة التي تصدق على رخص الأسعار في السوق، و إمكانية اشتراء أشياء أكثر من المعتاد. و على أيّة حال فإنّ الأمر يحتاج إلى متابعة لهجة أهل عُمان، و معرفة خصائصها الصوتية، و هو أمر قد لا يُتاح اليوم، غير أنّ مثل إشارات الخليل الخاطفة قد تشكّل توجيها و محفّزا للبحث، و من يدري لعلّ مجتهدا واجد ما لم يكن يعلم هو و من يتشرّف بالبحث في اللسان العربي معه. و ممّا يمكن استشرافه إمكانية ربط كلمة "بَرْشَ" في لهجة التونسيين التي تعني "كثيرا" بـ "برخ" العُمانية القديمة، بـ "بركة" العربية الفصيحة، ففي كلّ هذه المفردات مفهوم التكثير و الزيادة.

و يظهر الخليل علما واسعا بلغات العرب و لهجاتهم، و هو أكثر من أن يحصى، و ممّا جاء من هذه اللغات في كتاب العين:

- **لغة أهل الحجاز:**

ـ خـوخـــة: قال الخليل: "الخوخة: مفترق بين بيتين، أو دارين لم يُنصب عليهما باب بلغة أهل الحجاز [...] و أهل مكة يسمّن ضربا من الثياب أخضر: الخوخة."[1]

- **لغة هذيل:**

ـ المستخمر: "و المستخمر: الشّرّيب، هذلية".[2]

و قال:

ـ الخموش: "الخامشة، و جمعها: الخوامش: صغار مسايل الماء و الدوافع، و الخموش: البعوض بلغة هذيل."[3]

---

1 ـ المرجع السابق، ج4، ص ص. 317- 318.

2 ـ المرجع نفسه، ج 4، ص. 263.

3 ـ المرجع نفسه، ج 4، ص. 174.

- **لغة تميـــــم:**

ـ الخبع: "الخبعُ، الخبء في لغة تميم".[1]

و من علمه بالظواهر الخاصة المميزة للقبائل، ضمّن الفراهيدي معجمه بعض ملاحظاته المتعلّقة بها، و منها تمثيلا: "من ترك عنعنة تميم، و كشكشة ربيعة فهم الفصحاء. أمّا تميم فإنّهم يجعلون بدل الهمزة عينا [..] و ربيعة تجعل مكان الكاف المكسورة شينا [...] بل يقولون: عليكِشْ و بكِشْ".[2]

و من الحسّ اللغوي الذي تميّز به الخليل، أنّ ذكر هذه العادات اللغوية الصوتية من دون أن يَسِمَها بالنقص أو العيب كما فعل كثيرا ممّن جاء بعده. و ربّما كان هذا التسامح من صاحب "العين" إيذانا بإمكانية دراسة هذه المذاهب في نطق بعض الأصوات تاريخيا، و إيجاد مصادر لها في لغة سابقة، أو مقرضة.

و من فرط تريث الخليل قبل الحكم بالخطإ، قال:

ـ ذعق: "الدّعاق بمنزلة الزّعاق [...] سمعناه فلا ندري أ لغةٌ هي أم لثغة"[3]

و لقد ميّز "بن أحمد" بين الفصيح و ما يمكن أن يشبه العاميّ في عصرنا فقال:

ـ العقوق: " و نوى العقوق: نوى هشّ ليّن رِخو المَمْضَغَة، تُعلفه الناقة العقوق إلطافا لها، فلذلك أضيف إليها، و تأكله العجوز، و هي من كلام أهل البصرة، و لا تعرفه الأعراب في بواديها."[4]

فكأنّ هذا من بداية التأريخ لظهور العاميات في المدن الكبرى كالبصرة. و مثل هذا جدير بأن تُدرس معالمه و تُستجلى أسراره، و هو ما يظلّ أفقا علميا منشودا بعد كلّ

---

1 ـ المرجع السابق، ج1، ص 123.

2 ـ المرجع نفسه، ج 12، ص. 91.

3 ـ المرجع نفسه، ج1، ص. 148.

4 ـ المرجع نفسه، ج1، ص. 63.

ما تمّ عرضه من آراء و نظريات، و أحكام و تعريفات، و جهود بيّنات، كلّها جاء بها الخليل بن أحمد على المعجمية العربية و اللسانيات، عسى أن يهيّئ الله من الوقت، و تسهيل سلوك طرق العلم، و الهمّة ما يزيدها توضيحا و بيانا، و دراسة حتى تُقتل فهما، فيحيا بها الفراهيدي و أحفاده و لغته حياة أخرى، تليق بحياة و خلود أهمّ أسباب بقاء العربية: كلام الله تعالى المعجز، و حديث رسوله ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ.

الخاتمـــــــة

الحمد لله الذي هدى إلى هذا العمل بلطفه، و أعان على إنجازه بكرمه و فضله.

لم يكن التصدي لرسم معالم تأثيلية عربية، و ركوب بحر لُجّي ككتاب العين للفراهيدي أمرا يسيرًا، و موردا سائغا؛ فالتأثيلية لمّا تحسم قضاياها في اللسانيات الغربية الحديثة، فكيف بالمباحث العربية؟ و كتاب العين كنز مكنون، و صدَفاتُ لآلئه مضمُومة لا تنفتح إلا لعالم نحرير، و لغوي خبير، فكيف بباحث صغير؟

لذا لا يمكن أن أدعي الوصول إلى نتائج ذات بال في شأن التأثيلية العربية، أو فيما يتعلق بالصرح الخليلي الشامخ، و إنّ كل ما أستطيع زعمه أني أثرت أسئلة لعلها تكون آفاقا علمية تؤسس لتأثيلية مبثوثة بين ثنايا المعجمات و المصادر اللغوية العربية، و التي يَقدُمها كتاب العين و هو أحق بذلك و أجدر.

و لقد ظننتني بعد أن اطّوَفْتُ بمعالم التأثيلية، و النفائس الخليلية بالقدر الذي استطعته، متوصلا إلى نتائج عامة، و خاصة، و مُجْترئا على تقديم بعض الاقتراحات التي قد تكون ضاربة بسهم في التنبيه إلى الكَلَف بالتأثيلية مجالا للبحث، و طريقا إلى إنجاز معجمها، و بكتاب العين خاصة و آراء الخليل كافة مرجعا أساسا، و مشكاة لطلائع الدراسات اللغوية عند العرب .

النتائج العامة: و هي التي يمكن أن يكون قد أشار إليها، أو بعض منها، باحثون آخرون. لكن هذا البحث ركز عليها، و استجلى معالمها، و عمل على أن يجعلها خالصة للمفهوم التأثيلي، أو العمل الخليلي و هي:

1- جدارة لفظ التأثيلية بأن يكون المقابل الدقيق للمصطلح الأجنبي "étymologie".

ذلك أنه يجمع بين أمرين: احتواء مفاهيم المصطلح، و تمحيض دلالته لتخصص علمي، أمّا الأمر الأوّل فيأتي من اكتناز كلمة تأثيل العربية لمعاني التأصيل، و التكثير، و التعتيق، و التثبيت، و الإلزام، و الحقيقة كما وضَّحه تقصّص مادة "أثل" و مشتقاتها في استعمال اللسان العربي، و تعريفات المعجمات قديمها و حديثها. و هذه المعاني كلها توَفّي جوانب علم التأثيل عند الغربيين و تزيد.

و أما الأمر الثاني فيتحقق بالتزام صيغة المصدر الصناعي تأثيليته، الذي يدل مقطعُهُ الملحَق في آخره على التخصص العلمي، و الذي عبَّر عنه اللغويون العرب بياء النزعة، مما يحيط باللفظين الأجنبيين المركبين" Etymon + logie"، و مما يرسخ أحقّية التأثيلية بأن تكون مصطلحا لغويا أنها كلمة مفردة، و ليست مركبة تركيبا إضافيا على غرارعلم التأثيل- مثلا- ، و إنها، مع هذا ، تنتمي إلى جذر لغوي قليل التداول في اللسان العربي كما بيّنه تتبعه في مصادر اللسان العربي الكبرى .

و بهذا يجتمع للتأثيلية عاملان مهمان يبوّئانها مقعدها من الحقل الاصطلاحي، و هما: وحدة اللفظ، و ندرة التوظيف اللغوي.

2- سعة مجال التأثيلية : فقد تجلّى من خلال الطرح اللسانياتي للتأثيلية أنها تقرّب بين الدراسة الآنية الوصفية، و الدراسة التعاقبية التاريخية. و هو ما يؤهلها لتتضامّ في حشاها مباحث علمية شتى معجمية (لغوية)، و نحوية، و بلاغي ، و صرفية، و فقه لغوية.

و من التي أثارها البحث ما يتعلق بالقلب و الإبدال اللذين ظلا يعتبرهما الدارسون من قضايا الصرف المحضة، و منها ما يتصل باللفظ الأعجمي الذي تناوله الأقدمون ضمن الدراسات اللغوية، و يعالجه بعض المحدثين ضمن مسائل المعجمية (lexicologie) العامة.

و يضاف إلى هذه الجوانب ما أبرزه البحث من طرح أصل نشأة الألسن ، و تقارب اللغات، و أصلها (اللغة الأم) كل ذلك اعتبره علماء العربية من اختصاص فقه اللغة. فهذه و غيرها من الحقول التي عُثر على أنها تتنازعها التأثيلية علومٌ أخرى ينبغي أن تكون خالصة لها من دون المجالات اللسانياتية؛ فقد اتضح أنها قادرة على ضم التعليل إلى التأريخ، و الوصف إلى رصد التطور، و تحليل بنية الكلمة إلى تتبع مسارها .

3- وصل التأثيلية الحداثة بالتراث: و قد تبيّن ذلك خاصة في التوجه المعجماتي للتأثيلية، حيث أظهر البحث ما للتراث العربي من زخم علمي يمكن أن يزود المعجم التأثيلي بمادة ينقطع نظيرها عند غير العرب. و ذلك من خلال دراساتهم اللغوية القديمة، و التي استقرأت هذه الرسالةُ بعضا منها كالمعجمات القديمة؛ العامّة و الخاصة و الاصطلاحية، و مؤلفات الغريب و الدخيل، و كتب لحن العامة، و كتب الأضداد، و كتب المولّد، و ما ألف في الكلمات الإسلامية ... و هذا كله بيان صريح بأن تراث العرب لم يكن صفرًا من قيم تأثيلية تحتاج إلى أن يُلمّ شتاتها لتكون وحدة تأسيسية ، و قاعدة ينطلق منها التأثيليون المحدثون.

4- سبق الخليل و ريادته: فلقد كان بحق بديع علوم العربية، و حسبه من ذلك أنه كان لا يحب أن يؤلف في علم سبقه إلى التأليف فيه غيره. و من فضل الله على العرب أن لم يبادر أحدهم بوضع معجم، أو ضبط أوزان الشعر، و إلا حُرموا من كتاب العين، و علم العروض. و لولا هذه الهمّة العالية من الفراهيدي لأفرد للنّحو و الصرف مصنّفا يؤسس لهذين العِلْمين بما هو أهل لهما، فليت أبا الاسود و من عاصره سكتوا حتى يتكلم ابن أحمد، و من حسنات هذا الرجل أنه أمدّ تلميذه سيبويه بما جعله يستجيز لنفسه من علم أستاذه، و يترك لمن بعده كتابه المعروف، و لولا أنّ الأولين بلغوا من الوفاء و الأمانة أعلى مبلغ ما جاء في مقدمة الكتاب: " و أصل ما جاء به سيبويه عن الخليل [...] و إذا قال "وسألته " فإنما يعني الخليل".

و من حسناته أيضا تدبيج مقدمة معجمه كتاب العين بنظراته الصوتية و مبادراته الاصطلاحية المتعلقة بالدخيل و المعرّب و المولّد و غيرها، و إشاراته الاشتقاقية في حديثه عن تقليب الأبنية، و بناء الثلاثي من الثنائي، و نحت بعض الكلمات من وحدات عدة.

و لقد كان الخليل النجمَ الذي اهتدى به رواد المدرستين الكوفية و البصرية في تأسيس هذين المذهبين، و قد أشار البحث إلى مسائل عالجها الفراهيدي من وجهتين صار كل منهما فيما بعد رأيا تعصّبت له إحدى المدرستين.

هذا كله، و مثله معه، يجعل واضع عروض الشعر أبا للغويات العربية القديمة. كما يجعل منه سبقه إلى مقاربة التأثيلية البنيوية و الجغرافية اللغوية، و الحقول الدلالية أبا للسانيات العربية الحديثة أيضا.

5- ترقية الخليل للصناعة المعجماتية: فقد أشار البحث إلى الصورة المتكاملة التي جاء عليها كتاب العين من حيث مقدمته و ترتيبه و تصنيف أبنيته و تنظيم مداخله و تقنيات تعريفاته، مما جعل المعجم العربي يُولّد مستويا ناضجا راشدا محيطا معًا. و من رفع الخليل لشأن المعجم أن اكتسب هذا خاصية النظام المعجمي (Système lexical) ؛ فنظرية حروف الذلاقة حققت نمطية التأليف الصوتي و فكرة حصر أبنية أصول الكلمات ما بين الثنائي و الخماسي هدت إلى نمطية البنية الصرفية، و في التمييز بين المستعمل و المهمل ما يحدد نمطية الوحدات المعجمية التي تجمع بين النمطية الصوتية و الصرفية (الدالّية) و الجانب المنجز في الخطاب الموجود بالفعل (المدلولي)، و في العملية الإحصائية الناتجة من تقليب الأبنية الأصول في العربية ما يؤكد قابلية الوحدات المعجمية للإحصاء الرياضي.

و هذه كلها ترقى بالمعجم من مجرد لائحة ترتب مفردات اللغة إلى عنصر منظّم لما ينجزه الإنسان في مساره التواصلي الرابط بين الدوال و المدلولات لتحقيق الدليل اللغوي التام.

النتائج الخاصة: و هي التي يزعم البحث أنها خاصة به، لم يوقف عليها مؤسسة فيما سواه، و هذا الزعم ينبغي أن يقال بتحفظ كبير، فقد يُعثر على دراسة تناولتها لمّا يوقف عليها، و منها:

1- محاولة البحث تأثيل مصطلح التأثيلية نفسه من خلال إرجاعه إلى أصله البنائي و الدلالي، و رصد أول مستعمل للمفردة مؤسسة ًضمن مفهومها العلمي (الاصطلاحي)، و هو الباحث العراقي "عبد الحق فاضل" من خلال مقالاته، و متابعاته المعجمية في مجلة اللسان العربي.

2- اعتبار القرآن الكريم مصدرًا للتأثيل في العربية من خلال بعض صيغه المحتفظة ببقايا مراحل لغوية سابقة، و منهجه الاستعمالي للمفردات في قصصه، و تعدد قرءاته، و طريقة رسم كلِمِه في المصحف الشريف.

3- استنباط نظرة تطورية فاحصة من تبويب الخليل بن أحمد لمعجمه كتاب العين، و ترتيب أصول مداخله بالانتقال من الثنائي، إلى الثلاثي المضعف، ثم الثلاثي، و كذلك من خلال كثير من التعريفات التي تناول البحث بعضها بشيء من التحليل و المقارنة. كل هذا أكد من جانب تأثيلي علو الحس اللغوي لدى الفراهيدي، و سمح له بإرساء قواعد تعاقبية (Diachronique) للعربية تمسح الماضي و الحاضر و المستقبل.

الاقتراحات: تبين من خلال فصول الرسالة و مباحثها أن حظ المعجمية عامة و التأثيلية خاصة، قليل في الدراسات العربية، مما يحتم التنبيه في خاتمته إلى ضرورة تولية مراكز البحث، و مشاريع ما بعد التدرج، و الهيئات العلمية كافة وجهها شطر الحقول المعجمية و المعجماتية ابتغاء التوسيع، و ابتغاء تأسيسها وفق ما يضمن استحضار التراث، و الانتفاع من الحداثة.

كما يقترح البحث في خاتمته توجيه عناية الدارسين إلى توفية الخليل بن أحمد حقه من خلال إقامة الملتقيات و الندوات لتدارس شخصيته و علمه و أعماله، فللعرب و المسلمين فيه أسوة حسنة، و قدوة مثالية سواء أ تعلق الأمر بعلمه أم بورعه أم بذكائه أم بعزة نفسه أم بسبقه إلى كل خير و فضل. و إنّ في آرائه مِن التميز و العمق، و الإبداع و السبق و الموضوعية و الحذق ما يربأ بالدراسات اللسانياتية العربية في العصر الحديث على التعصب و التكلف و التعقيد و التأثر بفلسفة سابقة أو لاحقة.

و مما يمكن اقتراحه أيضا من خلال ما استنتجه البحث التفكير في إدراج اللغات المشرقية القديمة " الساميات "، و الرياضيات و بعض الجوانب الفلسفية ضمن محتويات برامج الدراسة الجامعية قبل التدرج في أقسام اللغة العربية و لِما في ذلك من فائدة جليلة، و إضافة نوعية تزود الطالب بما يجعله كفـءًا للدراسات اللغوية الدقيقة و الهادفة .

و في الختام، لابد من الإشارة إلى ضرورة توفّرالإرادة السياسية لتنمية البحث المعجمي حتى يصل بالأمة إلى إنجاز المعجم التأثيلي الذي ترنو إليه، و هو مشروع عظيم يحتاج إلى ميزانية ضخمة، و جهود كبيرة، و تعاون بين الهيئات العلمية، و تعدد الآراء العلمية و تنوعها. و إن ضعُفت همّة المسؤولين السياسيين، فإنه على المشرفين على الأقسام العلمية، و المجالس اللغوية أن يعدّوا لهذا الصرح ما يستطيعون. و من ذلك إنشاء مراكز و لجان علمية ترصد البحوث المعجمية و توحّد جهود أصحابها و ترشّدها حتى لا تخرج عن مجالها، و يمارسها غير أهلها.

وإن تعذر هذا الأمر على المستوى القومي، فلا مناص من تحقيق ذلك على مستوى القطر العربي الواحد - على الأقل -، و على مؤسسات التعليم العالي أن تبادر بذلك،

و لتكن جامعة وهران رائدة، و ليكن على رأس الهيئة العلمية المنوط بها هذا التطلع العلمي و القومي و الحضاري أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور العلامة عبد الملك مرتاض. و هو أحق بهذا المقام و أهله لماله من علم بالمعجم العربي، و خصائص اللغة، و ما يتميز به من مرونة تخير اللفظ، و توليد المفردات، و ما يُتوسم فيه من غيرة و حب للغة الضاد، مع مراسه العلمي، و خبرته في تولي أمر المجامع العلمية.

و الله أسأل أن ينفع بهذه الرسالة المبتدئة، و الخطى المتعثرة، و يهيء لي من الهمّة و الظروف و الوسائل ما يمكّنني من الارتقاء بالبحث إلى المنزلة التي هي خليقة به، و هو إليها فقير.

و لله الحمد من قبل و من بعد.

مكتبـة البحـث

القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم.

قائمة المعجمات والموسوعات:

ـ المعجمات والموسوعات العربية :

1 ـ جورج، متري عبد السميح : لغة العرب :معجم مطول للغة العربية ومصطلحاتها الحديثة، مكتبة لبنان ،الطبعة الأولى، 1993.

2 ـ الجوهري، اسماعيل بن حماد : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، الطبعة الثالثة، 1404 هـ ،1984 م.

3 ـ حجار،جوزيف نعوم : المنجد العربي الفرنسي للطلاب،منشورات دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1980.

4 ـ الحمزاوي ، محمد رشاد : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، معجم عربي أعجمي وأعجمي عربي ، الدار التونسية للنشر، تونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1987.

5 ـ الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1991.

6 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق، د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، لبنان .

7 ـ رضا، أحمد: معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1377هـ، 1958 م.

8 ـ الزبيدي، محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1306 هـ .
9 ـ الزمخشري ،جار الله أبو القاسم محمود ابن عمر: أساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ 2004 م .
10 ـ الزين ، سميح عاطف : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب العالمي، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1994.
11 ـ عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، لبنان.
12 ـ عمر، أحمد مختارومكرم ، عبد العال سالم : معجم القراءات القرآنية ، عالم الكتب ، مصر ، الطبعة الثالثة ، 1997.
13 ـ ابن فارس، أحمد معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1991.
14 ـ الفراهيدي ، الخليل بن أحمد : كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ، العراق، 1980.
15 ـ الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1420 هـ 1999 م.
16 ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى و أحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر و محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استنبول ، تركيا ، الطبعة الثانية ، 1392 هـ 1972 م .
17 ـ المسدي ، عبد السلام : قاموس اللسانيات عربي فرنسي فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب ، 1984.
18 ـ مكتب الدراسات والبحوث : القاموس : عربي / فرنسي، قاموس عام لغوي علمي، بمشاركة فريال علوان (لغة فرنسية) وجورج سيمون (لغة فرنسية) ومحمد سعيد (لغة عربية) وميشال ساسين (مراجعة)، دار الكتب العلمية، بيرو ، لبنان، الطبعة الثانية ، 1425 هـ 2004 م.

19 ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعجم العربي الأساسي ، لاروس (LAROUSSE) ، 1989 .

20 ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر،بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، 1417 هـ 1997 م.

21 ـ المنهل الوسيط: قاموس فرنسي عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1981.

22 ـ ابن النديم : الفهرست ، تحقيق مصطفى الشويمي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، الطبعة الأقلى ، 1985.

23 ـ يوسف، محمد الأشقر: قلاموس الكيمياء العامة ، إنجليزي ـ عربي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، الطبعة الأقلى ، 2000.

ـ المعجمات والموسوعات الأجنبية :

24 - ANGENAULT, Jacques : La chimie, dictionnaire encyclopédique, éditeur DUNOD, Paris, 2ème édition, 1995.

25 - Dictionnaire: Encyclopédique, tome1, Noms communs, Larousse, Paris (France) 1994.

26 - Dictionnaire Historique de la langue Française, Le Robert, Paris .1992.

27 - Dictionnaire de la langue française,Nouveau petit Larousse, Librairie LAROUSSE, Paris, 1970.

28 - Dictionnare étymologique : A.DAUZAT, Larousse, Paris VI,France, 11 ème tirage.

29 - Dictionnaire étymologique : J.DUBOIS- H.MITTERAND-A.DAUZAT, Larousse, Paris, France, 2001.

30 - Dictionnaire étymologique de la langue française: O. BLOCH W.WARTBURG, presses universitaires de France, Paris.

31 - Encyclopédie Philosophique Universelle : Les notions philosophiques, Dictionnaire, 1.Press Universitaires de France, 1990.
32 - Encyclopædia UNIVERSALIS, Paris, 1996.

قائمة المصادر ومراجع:

ـ المصادر و المراجع العربية:

33 - الأخطل :شرح ديوان الأخطل التغليبي ، وشرح إيليا الحاوي، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1968 .
34 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجمي و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع ، الدار التونسية للنشر ، 1984.
35 - الأعشى: ديوان الأعشى، دار القلم، بيروت، لبنان، دت.
36 - الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة، 1383 هـ 1964 م.
37 - آل ياسين ، محمد حسين : الدراسات اللغوية عند العرب إلأى نهاية القرن الثالث ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1400هـ 1980م .
38 - أمين، أحمد: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة.
39 - ابن الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق، حسن حمد ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية 2007 .

40 - الأندلسي ، أبو حيان : تفسير البحر المحيط ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 1413 هـ 1993 م .

41 - الأنصاري ، ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ىتحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان ، 1416 هـ 1995 م .

42 - البحتري : ديوان البحتري ، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1965 .

43 - بابتي، عزيزة فوال : معجم الشعراء الجاهليين ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1998.

44 - البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل : صحيح البخاري ، مكتبة مصر ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1427 هـ 2007 م .

45 - برغشتراسر: التطور النحوي للغة العربية ، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929 ، إخراج وتصحيح وتعليق رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، الطبعة الثانية ، 1414 هـ 1994 م .

46 - الثعاليبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1420 هـ 2000 م .

47 - جرير ،ديوان جرير : تأليف محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان .

48 - ابن الجزري، ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،1419 هـ 1998 م .

49 - ابن جني ، أبو الفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1426 هـ 2002 م.

50 - الجواليقي ،أبو منصور موهوب بن أحمد : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1419 هـ 1998 م .

51 - حافظ، ابراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.

52 - الحطيئة: ديوان الحطيئة، دراسة و تبويب د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م/1424هـ.

53 - الحمزاوي ، محمد رشاد : أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مناهج تلقية اللغة العربية تنظيرا و مصطلحا و معجما ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، 1988.

54 - الحمزاوي ، محمد رشاد : المعجم العربي إشكالات ومقاربات ، بيت الحكمة، قرطاج ، تونس ، 1991.

55 - الحمزاوي ، محمد رشاد : العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات ، دار الغرب اللإسلامي ، بيروت ، لبنان ، طبعة 1986 .

56 - رؤبة بن العجاج : مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج ، صححه و رتبهويليم وين أولوورد (W.AHLWARDT) ، برلين ، 1903.

57 - الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993.

58 - الراجحي، عبده: اللللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر، 1965.

59 - الرصافي، معروف: ديوان معروف الرصافي، شرح و تعليق يحيى شامين، دار الفكر العربي، ط،2002.

60 - ابن الرومي: ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروتلبنان، ط1، 1994.

61 - زيدان جورجي : تاريخ آداب اللغة العربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم) للنشر ، الجزائر ،1993.
62 - ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق : ثلاثة كتب في الأضداد ، تحقيق ونشر أوغست هفنر ، تعليق الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، 1913.
63 - السامرائي ، فاضل صالح : معاني النحو ، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ، الطبعة الثانية 1423 هـ 2003 م .
64 - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر،الثالثة 1408 هـ 1988 م .
65 - السيوطي ، جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر ، الطبعة الأولى 1427 هـ 2006 م.
66 - السيوطي ، جلال الدين : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1418 هـ 1998 م.
67 - السيوطي ، جلال الدين : المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، ، تحقيق محمد التونجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1416 هـ 1995 م .
68 - الشّافعي، محمد بن إدريس، مسند الإمام الشافعي، دار الطاسيلي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989.
69 - شرف ، جما الدين محمد : رواية ورش وتحريراتها من طريق طيبة النشر ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، مصر ، 2005 .
70 - الشوكاني ، محمد علي بن محمد : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية 1416هـ 1996 م .

71 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، لبنان ، 1988.

72 - ظاظا، حسن : الساميون ولغاتهم ، دار القلم، دمشق ، سوريا، والدار الشامية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية 1990 .

73 - ظاظا، حسن : كلام العرب ، من قضايا اللغة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1976.

74 - ابن عاشور ، الطاهر : تفسير التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر و التوزيع ، تونس ، 1976.

75 - العسقلاني ، أبو فضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، مراجعة وضبط وتعليق طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى محمد الهواري والسيد محمد عبد المعطي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر، طبعة جديدة 1398 هـ 1987 م .

76 - ابن عربي، محيي الدين، ديوان ابن عربي، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.

77 - عمايرة ،إسماعيل أحمد : دراسات لغوية مقارنة ، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2003.

78 - عمر بن أبي ربيعة : ديوان عمربن أبي ربيعة ، شرح و تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس ، بيروت.

79 - عمرو بن كلثوم : ديوان عمرو بن كلثوم ، دارالقلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان .

80 – عنترة، بن شداد العبسي: ديوان عنترة، دار صادر، بيروت، لبنان، 1385هـ/1966م.

81 - أبو عوانة ، يعقوب بن إسحاق: مسند أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

82 - ابن فارس ، أحمد : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها و سنن العرب في كلامها ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1414 هـ 1993 م.

83 ـ ابن الفارض: ديوان ابن الفارض، تحقيق و دراسة د. عبد الخالق محمود، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، مصر.

84 - الفرزدق، ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت (لبنان)، 1960.

85 - القرطبي ، أبو عبد الله محمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1985.

86 - قطيش ، خالد : الخط العربي وآفاق تطوره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 .

87 – كثيّرعزة : ديوان كثيّر، شرح و تحقيق: د. رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.

88 - كشلي ، فؤاد حكمت : كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي : دراسة وتحصيل ونقد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1996 .

89 - المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: موجز ديوان المتنبي، شرح اليازجي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، طبعة شباط 1984 .

90 - محمود سامي البارودي : شرح ديوان محمود سامي البارودي، شرح وتقديم حجرعاصي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002.

91 - محيسن محمد سالم : القراءات وآثرها في علوم العربية ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، مصر ، 1984.

92 - المخزومي ، مهدي والسامرائي ، ابراهيم : مقدمة كتاب العين ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق،1980.

93 - المعري، أبو العلاء: سقط الزند، تحقيق و شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1418 هـ ، 2007 م.

94 - أبو العلاء المعري، اللزوميات، تحقيق جماعة من الأخصائيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1406هـ ، 1986 م .

95 - النابغة الشيباني، ديوان النابغة الشيباني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1996.

96 - نصار، حسين: مدخل تعريف الأضداد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1423 هـ، 2003 م.

97 - نصار، حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1988.

98 - يعقوب ، إميل بديع : فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1986.

المراجـع الأجنبيـة:

99 - Aïno Niklas-Salminen: LA LEXICOLOGIE, Ed. Armand Colin/Masson, Paris, 1997.

100- Alise Lehmann-Françoise-Barthet: INTRODUCTION A LA LEXICOLOGIE SEMANTIQUE ET MORPHOLOGIQUE, Ed, NATHAN/HER, 2000,Paris, 1998.

101 - BENHAMOUDA, Boualem : L'origine arabe exacte de certains mots espagnols, Dar el oumma, Alger, 1991.

102 - DAUZAT, Albert : Précis d'histoire de la langue et du vocabulaire Français.Paris1949.

103 - Guiraud, Pierre: Structures étymologique du lexique français, Ed. PAYOT, Paris, 1986.

104 - Jespersen Otto: NATURE, EVOLUTION et ORIGINE DU LANGAGE; Traduit de l'anglais par. L. Dahan et A. Hamm, Ed. PAYOT, Paris.
105 - MEILLET, Antoine: Linguistique Historique et Linguistique Générale. Edition: champions, Paris, 1982.
106 - MORTUEUX,Marie Françoise : La lexicologie entre langue et discours , collection CAMPUS,Edition CEDES,Paris,1997.
107 - REY, Alain : Initiation à la linguistique : la lexicologie, Edition KLINCKSIEK, Paris, 1970.
108 - ROBINS, R. H : Linguistique générale : une introduction, Traduction S.DELESALLE et P.GUIRARC'H, Edition Armand Colin, Paris, 1973.

قائمة المراجع المترجمة :

109 - دي سوسير،فردينان(F.DeSaussure): علم اللغة العام ، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلبي ، بيت الموصل، العراق ، 1988.

110 - مونين، جورج (G.Mounin): تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدرالدين القاسم ، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1392هـ/ 1972 م.

قائمة الدوريات والمجلات :

- الدوريات والمجلات العربية:

111 - البكوش، الطيب: بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم التاريخي، مجلة المعجمية ، جمعية المعجمية العلربية، تونس، العددان 5 و 6 ، 1989 - 1990.

112 - بنعبد الله، عبد العزيز : اللغة الأم ، مجلة اللسان العربي ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، جامعة الدول العربية ، الرباط ، المملكة المغربية ، العدد 11 ، 1974.

113 - بيطار ، إلياس : أهمية لغات المشرق في دراسة النحو العربي ، مجلة التراث العربي، العدد 75، ذو الحجة 1419 هـ - أبريل 1999 م .

114 - التونجي ، محمد : رأي في جذور الضمائر ، مجلة اللسان العربي ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، جامعة الدول العربية ، الرباط ، المملكة المغربية ، العدد 13 ، 1976.

115 - حلمي، خليل: المعجم العربي التاريخي: مفهومه، - وظيفته - محتواه، مجلة المعجمية ، جمعية المعجمية العلربية ، تونس ، العددان 5 و 6 ، 1989 - 1990.

116 - الحمد، علي توفيق : المعجم التاريخي العربي : مفهومه- وظيفته - محتواه وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس من 14 إلى 14 نوفمبر 1989 ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 1991.

117 - الحمزاوي ،محمد رشاد : المعجم العربي التاريخي في نطاق العربية ، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس من 14 إلى 14 نوفمبر 1989 ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 1991.

118 - الخطابي ، محمد محمد : أسرار الضمائر أو رأي في جدور الضمائر ، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، جامعة الدول العربية، الرباط، المملكة المغربية، العدد 13، 1976.
119 - فاضل ، عبد الحق : حول المغامرات اللغوية ، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، جامعة الدول العربية، الرباط، المملكة المغربية، العدد 9، 1972.
120 - فاضل، عبد الحق: حول المغامرات اللغوية، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، جامعة الدول العربية، الرباط، المملكة المغربية، العدد 4، 1966.
121 – قدور ، أحمد أحمد : تراث لحن العامة مصدرا من مصادر المعجم التاريخي ، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس من 14 إلى 14 نوفمبر 1989 ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 1991.
122 - محفل، محمد: العربية: لغة وكتابة، مجلة التراث العربي، العدد 75، ذو الحجة 1419 هـ - أبريل 1999 م .
123 - ابن مراد ، إبراهيم : اللفظ الأعجمي في معجم العربية التاريخي ، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس من 14 إلى 14 نوفمبر 1989 ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 1991.
124 - هادي ، نهر : تاريخ الكلمة العربية وتطورها في الدرس اللغوي عند العرب ، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس من 14 إلى 14 نوفمبر 1989 ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 1991.
125 - الودغيري ، عبد الله : قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي ، وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس من 14 إلى 14 نوفمبر 1989 ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 1991.

126 – BENBOW,Timothy : La lexicographie historique et l’Oxford English Dictionary,
وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس من 14 إلى 14 نوفمبر 1989 ، بيت الحكمة قرطاج ، تونس ، 1991.

الرسائل الجامعية:

127 - حلام ، الجيلالي : تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة ، رسالة دكتوراه ، جامعة وهران ، 1997 .

الفهـــــــرس

	المقدمة	
	مدخــل **تأسيس مصطلح التأثيلية**	**01- 32**
	تمهيد .	02
1	ظهور مصطلح التأثيلية و تطور دلالته عند الغربيين .	03
2	استعمال مادة " أثل" و مشتقاتها في مصادر اللسان العربي.	08
3	تجليات المفهوم الاصطلاحي للتأثيلية في المعجمات العربية .	20
4	استعمال مصطلح التأثيلية عند اللغويين العرب.	29
	الفصل الأول **التأثيلية بين اللسانيات والمعجماتية.**	**33-96**
	تمهيد ..	34
1	التأثيلية لسانياتيا : - حول المفهوم اللغوي للتأثلية - المقاربة التاريخية للتأثيلية - المقاربة البنيوية للتأثلية	**35** 35 39 44
2	التأثيلية معجماتيا : ـ أهمية المعجم التأثيلي. ـ بين المعجم التأثلي و المعجم التاريخي .	61 61 63

	ـ نشأة البمعجم التاريخي .	69
	- مصادر المعجم التأثيلي .	75
	ـ تقنيات التعريف في المعجم التأثيلي .	96
	الفصل الثاني **المستويات النظرية للتأثيل في كتاب العين**	**156-101**
1	التأثيل اللغوي قبل الخليل :	102
	- أولى إرهاصات التاثيل قبل الخليل .	103
	- الإشارات التأثيلية في القرآن الكريم .	109
	- القراءات القرآنية مصدرا للتأثيل .	117
	- القيم التأثيلية في رسم المصحف .	125
2	مستويات التأثيل النظرية في كتاب العين :	129
	ـ كتاب العين .	129
	- المستوى الصوتي للتاثيل في كتاب العين .	135
	ـ المستوى الاحصائي للتأثيل في كتاب العين .	143
	ـ المستوى الإشتقاقي للتأثيل في كتاب العين .	151
	الفصــل الثالث **الجوانب التاثيلية في تعريفات كتاب العين**	**217-156**
	تمهيد.	157
1	كيفية بناء الكلمات وتأصيلها	159

2	اللغة الأم : ـ محافظة العربية على خصائص اللغة الأم . ـ انسجام تسمية حروف الأبجدية الفينيقية مع معاني العربية. ـ مشابهة أقدم النقوش الآرامية للعربية. ـ توافق لغة أقوام أقدم الأنبياء مع اللسان العربي .	173 176 178 181 183
3	الإقتراض اللغوي : ـ التحليل التاثيلي للمفردات المقترضة .	187 191
4	تطور الدلالة	202
5	الجغرافية اللغوية	208
	الخـــاتمة	218
	قائمة المصادر و المراجــع	226

ملخص :

يقوم البحث على وضع مصطلح التأثيلية في إطار اللغوي و العلمي ليستوعب كل معالم نظيره الأجنبي (Etymologie)، و تتبعه في الدراسات اللغوية عامة، و عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في "كتاب العين" خاصة. و قد قسمت الدراسة على مدخل تأسيسي لمصطلح التأثيلية، و ثلاثة فصول، تناول أولها مفهوم التأثيلية من منظور لغوي برؤية لسانياتية معجمية (Lexicologique)، و أخرى معجماتية(Lexicographique) لإستشراف المعجم التأثيلي العربي. أما الفصلان الثاني و الثالث فقاما على عرض جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي التأثيلية من خلال معجمه "كتاب العين" اهتم الفصل الثاني بالجوانب النظرية على المستوى الصوتي و الإحصائي و الإشتقاقي من خلال مقدمة الكتاب، و كان اهتمام الفصل الثالث بتجلية القيم التأثيلية التطبيقية من خلال تعريفات "كتاب العين"، و محاولة مناقشتها و عرضها على جهود علماء آخرين قدماء و محدثين.

الكلمات المفتاحية:

التأثيلية؛ المعجمية؛ المعجماتية؛ المقاربة التاريخية؛ المقاربة البنيوية؛ الإقتراض اللغوي؛ اللغة الأم؛ الجغرافية اللغوية؛ المهمل؛ المستعمل؛ الذلاقة؛ البناء.